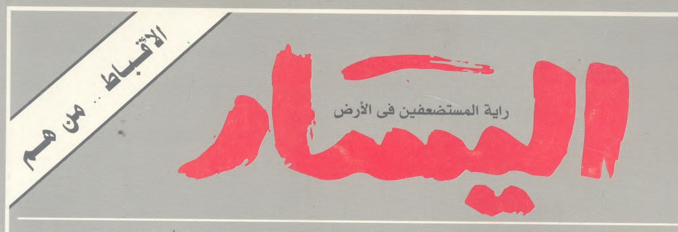


■ اليسار / العدد الثانى و الثمانون / ديسمبر ١٩٩٦ م / رجب ١٤١٧ هـ / الثمن جنيهان مصريان ■

مؤتمر القاهرة الاقتصادى .. وأوهام الرخاء

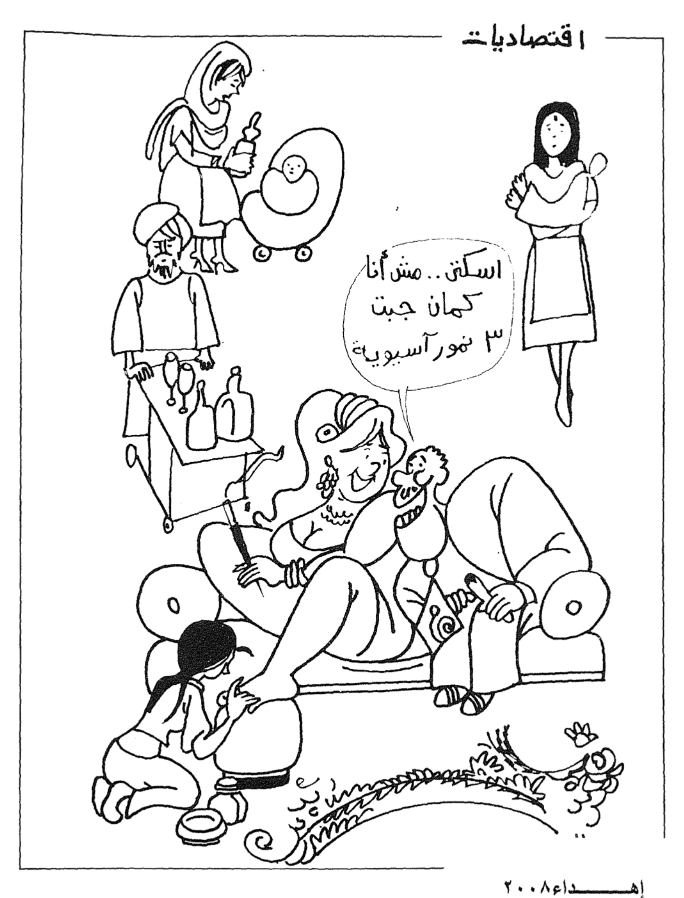
الخصخصة والمستثمر الأجنبى يا عمال مصر اتحدوا

الحزب الواحد فى قالب تعددى

الشيخ مايكل جاكسون فى الخليج والعنف فى إسرائيل

إسرائيلى يحكم مجلس الأمن الروسى

لطيفة الزيات والنضال الصوفى



إهـــــــداء٢٠٠٨

الدكتور / محمد عبد القادر محمود

جمهورية مصر العربية

فى هذا العدد

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفنى:
أحمد عز العرب
المستشارون:
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. خليل حسن خليل
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عادل غنيم
عبد الغفار شكر
عبد الغنى ابو العينين
محمد وفاء حجازى
محمود أمين العالم

شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر

AL YASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST TALAAT HARB SQ CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر: ٤٠جنيها للأفراد و٩٠جنيها للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى أدارة المجلة

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX: 5786298

لليسار دُر



كان لقاء " **جماعة أصدقاء اليسار** " فى مساء السبت ٩ نوفمبر الماضى حدثا له دلالة هامة ستنعكس علينا بالضرورة خلال الأعداد القادمة.

لقد ولدت هذه الجماعة فى العام الماضى من شخصيات عامة تنتمى لأجيال مختلفة ومدارس متنوعة ، يجمعها إصرارها على أن تستأنف " اليسار" الصدور بعد قرار توقفها القسرى بعد عدد أول أكتوبر ١٩٩٥ . وبفضلكم استأنفت " **اليسار**" الصدور فى أول يناير ١٩٩٦.

وقد دار حوار مسئول بين أراء مختلفة فى هذا الاجتماع، تناول التحرير والسياسة والفكر والاخراج والأوضاع المالية والتوزيع . وإختار المجتمعون الصديقين « **د. خليل حسن خليل** » و« **عادل غنيم**» لينضما إلى مجلس مستشارى المجلة ممثلين للجماعة ، ليشكلا إضافة نوعية انعكست بوضوح فى أول اجتماع لمجلس المستشارين منذ أسبوعين . واتفق الاجتماع على ضرورة المحافظة على الشخصية الحالية للمجلة ، مع إعطاء اهتمام أكبر للقضايا النظرية والفكر وفتح حوار واسع ومخطط حول الموضوعات الهامة التى تواجه الفكر الاشتراكى فى هذه المرحلة.

وقرر أعضاء الجماعة البدء فى حملة التبرعات السنوية التى اتفق عليها فى العام الماضى وأدت إلى انتظام صدور اليسار دون مشاكل خلال عام كامل . **وبهذه المناسبة توجه« اليسار» نداءً إلى كل الأصدقاء بدفع ماتعهدوا به سنويا خلال هذا الشهر(ديسمبر ١٩٩٦) .**

نعود للعدد الحالى الذى صدر فى ظروف صعبة . فأعضاء هيئة التحرير - باستثناء الزميلة **أمينة النقاش** - لم يساهموا فى تخطيط هذا العدد أو الكتابة فيه . وتحمل رئيس التحرير المسئولية وحيدا ويبدو أن الشكوى التى طرحها رئيس التحرير فى العدد الماضى من الزملاء الذين لم يسلموا المواد المتفق عليها ، لم تكن حافزا لهم - كما تصور - للانتظام فى العمل ، بل دفعتهم للغياب الكامل وعدم الاتصال تماما بالمجلة !!

وإلى هؤلاء جميعا أسوق نموذجا فريدا للالتزام . فالصديق والأخ والزميل **صلاح عيسى** ، فوجئ خلال الشهر الماضى بآلام حادة فى الصدر ، وعندما ذهب إلى الأطباء اكتشف أن هناك عدداً من شرايين القلب تحتاج إلى تغيير . **وتقرر إجرء جراحة عاجلة له فى لندن خلال الأيام القادمة** .ومع ذلك وبإحساس كامل بالمسئولية سلم "**مشاغبات** " و«**كتبخانة**» فى موعدهما معطيا لهم ولنا جميعا درسا فى الالتزام . و« **اليسار» تتمنى لصلاح الشفاء العاجل وأن يعود الينا بسرعة ليساهم معنا فى إصدار عدد العام الجديد (يناير ١٩٩٧)**

***

ولانظن أن هناك فرصة لاستعراض مادة هذا العدد ، ففى الحقيقة فكلها - من وجهة نظرنا - تستحق التنويه .

ومع ذلك فهناك موضوعات بعينها نشعر أنه من الضرورى الإشارة اليها .. مثل الدراسة الهامة التى بدأ فى كتابتها لنا « **سمير مرقص**» حول "**الأقباط**» ،والحوار الذى نظمه « **مركز المساعدة القانونية» لحقوق الانسان حول الأحزاب فى مصر** ، ودراسة «**مايسة زكى**» الممتعة - وتكتب للمرة الأولى فى اليسار - حول الراحلة « **د. لطيفة الزيات**» .

ورغم أن هذا العدد ارتفعت عدد صفحاته (١٦) صفحة دفعة واحدة فقد قررنا أن لانرفع السعر ونتحمل الفرق حتى لانكلف القراء المزيد.

اليسار

موقفنا

حسين عبد الرازق

مؤتمر القاهرة الاقتصادى .. وأوهام الرخاء

يلاحظ كثير من الساسة والمراقبين والمواطنين أن هناك نغمة جديدة سادت التصريحات الحكومية والإعلام الرسمى منذ تولى د. **كمال الجنزورى** رئاسة الوزارة. وجوهر هذه النغمة هو **الاغراق فى الأمل والأحلام الوردية والتبشير بالرخاء القادم على بعد خطوات قليلة ، والافراط فى الوعود وبأرقام فلكية.**

ولم ينج " **المؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا** " الذى استضافته مصر فى الفترة من ١٢ إلى ١٤ نوفمبر الماضى ، من هذا المنهج . فاذا بالتصريحات الرسمية وعناوين الصحف والتعليقات تعزف كلها على نغمة النجاح الباهر ، وحكمة الرئيس ونجاح سياسته ، وصواب قرار عقد المؤتمر فى موعده ، وأن هناك "**اجماع فى مؤتمر القاهرة الاقتصادى على وجود فرص هائلة للاستثمار والنمو فى مصر ..**" وأن " مصر اقتربت من مستوى الدول الصناعية فى الاصلاح المالى" **وأنه قد تم " تهميش إسرائيل اقليميا وترويج مصر عالميا** " و" مصر تحصد المشروعات وخيبة أمل للإسرائيليين " و" توقيع ٩ عقود لمشروعات استثمارية مصرية كبيرة "و" اتفاقات بـ ١٠ مليارات دولار" .

ومن المؤكد أن هذه الصورة الوردية أقنعت عديداً من المواطنين أن الرخاء على الأبواب ، وأننا **أوشكنا أن نصبح " أسدا"** وليس مجرد نمر أسيوى (باعتبار ماصور لهم أن النمور الأسيوية هى الأمل والنموذج) ، وبدأ كثيرون يستعدون فى فك الأحزمة من على البطون ويخططون لكيفية الاستمتاع بنهر المن الزاحف من المؤتمر ومن" الوادى الجديد فى الجنوب " و..و...

وفى ظل هذا المناخ فأى محاولة للمناقشة الموضوعية الهادئة المبنية على الحقائق والأرقام تبدو أمرا صعبا . فمن يتصدى لها سيبدو كالبوم أو الغربان ، أو من يقذف " بكرسى فى الكلوب".

وبالطبع فلسنا من هواة وأد الأمل أو تحطيم الأحلام . ولكنا لانستطيع أن نشارك فى عملية خداع للرأى العام ، أو نصمت على بيع الوهم للناس .

قد نفهم أن جزءاً من هذه الحملة ناتج عن إحساس الحكم بمدى معارضة الرأى العام للتطبيع ومايسمى بالشرق أوسطية الذى عقد مؤتمر القاهرة كخطوة فى سبيلها ، وإدراكه أن حملة أحزاب المعارضة ضد المؤتمر والتى كشفت اضطرار الحكم أمام الضغوط والتهديدات الأمريكية للتراجع وعقد المؤتمر فى موعده بعد إعلان الرئيس وأركان الحكم عزمهما على تأجيل المؤتمر إلى الربيع القادم ، فـ " **مصداقية مصر إزاء شعبها والشعوب العربية بل وشعوب المنطقة كلها لاتسمح لها بالمشاركة فى عملية تزييف الواقع وتلوينه من خلال عقد المؤتمر الاقتصادى .. ويتحتم إلغاء أو تأجيل هذا المؤتمر** " كما كتب رئيس تحرير الأهرام يوم ١٣ سبتمبر ١٩٩٦ ، تحتاج من الحكم إلى البحث عن حجج وإنجازات تبرر هذا التراجع المشين.

وقد نوافق أن الحكومة المصرية حاولت - فى حدود قدراتها وفهمها - تحجيم الدور الإسرائيلى ، عن طريق تغيير تركيب المنصة فى الجلسة الافتتاحية وقصرها على " مصر" الدولة المضيفة ورئيس المنتدى الاقتصادى العالمى (الجهة المنظمة والداعية للمؤتمر) وبالتالى إبعاد إسرائيل عن التواجد فى المنصة كما كان الحال فى مؤتمرى الدار البيضاء وعمان ، وعدم وجود كلمة لإسرائيل فى الجلسة الافتتاحية .. وبالاعلان عشية المؤتمر عن القبض على جاسوس إسرائيلى ، وبالتأكيد على رجال الأعمال المصريين بعدم إبرام أى صفقات مع الإسرائيليين خلال المؤتمر.ر

وهو أمر يحمد لها ، ويؤكد أن حركة الشارع المصرى - رغم محدوديتها - وأن معارضة الأحزاب السياسية الوطنية للتطبيع والشرق أوسطية - قادرة على الضغط على سلطة اتخاذ القرار ، وهو أمر ايجابى رغم محدوديته حتى الآن.

ولكن مالايمكن قبوله أو السكوت عنه هو

الصورة غير الحقيقية التى حاولت الحكومة والإعلام أن تخدع الرأى العام بها.

لقد ركزت الحكومة على ثلاثة موضوعات اعتبرتها جوهر هذا النجاح.

* **الأول .. وضع إطار جديد للتعاون الإقليمى ليس محوره إسرائيل** ، وإنما يقوم على ركائز ثلاث .. التعاون العربى العربى ، التعاون بين دول جنوب البحر المتوسط وأوربا على أسس مؤتمر برشلونة ، فى التعاون مع الدول الأفريقية حيث تمت دعوة (١٥) من رجال الأعمال من أفريقيا.

* **الثانى .. تهميش إسرائيل إقليميا** ، فقد كانت فى مؤتمر القاهرة مجرد دولة من الدول المشاركة ولم تحظ بالوضع المتميز الذى تمتعت به فى مؤتمرى الدار البيضاء وعمان .

* **والثالث** .. وهو ماحظى بأكبر ضجة حكومية وإعلامية ، حول " **تدفق الاستثمارات الأجنبية على مصر** " فى إشارة إلى ٩ مشروعات تحديدا هى :

أ- الاتفاق المبدئى بين هيئة البترول المصرية وشركة " أموكو" الأمريكية ، وشركة خطوط الأنابيب التركية لإنشاء شركة مشتركة لتصدير الغاز المسيل المصرى إلى تركيا ، بتكلفة تقديرية تصل إلى ٤ مليارات دولار . وسينقل المشروع عشرة مليارات من الأمتار المكعبة من الغاز سنويا اعتبارا من عام ٢٠٠٠.

ب - ٣ مشروعات استثمارية مشتركة بين مؤسسات عالمية والبنك الأهلى المصرى ، تبلغ قيمتها نحو ٣٠٠ مليون دولار تعمل فى مجال " الأوراق المالية - الخدمات التليفونية - الاتصالات الحديثة".

جـ- ٤ اتفاقات أولية على مشروعات مشتركة بين شركات مصرية وأمريكية فى مجالات النقل البحرى والاتصالات ومعالجة وتنقية المياه ومكافحة التلوث البحرى .

د - إعلان شركة " إيلى لبلى" الأمريكية عزمها إنشاء مصنع أدوية جديد بمدينة ٦ أكتوبر.

وبعض ماقالته الحكومة وإعلامها غير صحيح ، والبعض الآخر حقائق ناقصة ، وهناك أيضا حقائق أهم غابت تماما عن التصريحات الرسمية والإعلام الحكومى.

فالقول بأن القاهرة وضعت إطارا جديدا للتعاون الإقليمى ليس محوره إسرائيل ، أمر لايوجد دليل عليه . فالتعاون " العربى - العربى" لايحتاج إلى هذا المؤتمر لتحقيقه ، خاصة وهناك **٤ دول عربية غابت أو غيبت عن المؤتمر " سوريا - لبنان - العراق - السودان" ، والصومال** كذلك . وتحقيق هذا التعاون العربى لايحتاج أكثر من تنفيذ قرارات قمة القاهرة التى ظلت - خاصة فى مجال التعاون الاقتصادى والسوق المشتركة وتحرير التجارة العربية والتعاون بين دول جنوب البحر الأبيض وأوربا لم يكن مطروحا فى هذا المؤتمر ، فهنك آلية خاصة به.

كذلك فالجهة المنظمة لهذا المؤتمر وهى" **المنتدى الاقتصادى العالمى"** - وليس الحكومة المصرية - حددت منذ البداية طبيعة المؤتمر والتى تختلف عن المؤتمرين السابقين وتتكامل معها . فمؤتمر " الدار البيضاء" كان أساسا ذا طبيعة سياسية . ومؤتمر عمان ركز على آليات التعاون الإقليمى . أما مؤتمر القاهرة فقد عقد تحت شعار **"البناء من أجل المستقبل .. إيجاد بيئة مواتية للاستثمار"** وخصص لفرض هذه البيئة ، وعقد لقاءات بين رجال الأعمال ومنح فرص للمشاركين للإعلان عن مشروعاتهم المختلفة . وأشار البين الختامى بوضوح إلى أن المؤتمر" أتاح الفرصة لتشجيع الاستثمار الدولى والاقليمى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . وتم إبراز إمكانات المنطقة فى مجالات الاقتصاد والتجارة والتبادل التجارى ، التى تدعمها برامج إصلاح اقتصادى مهمة يتم تنفيذها حاليا من جانب العديد من دول المنطقة . وتشمل تلك الإصلاحات ، **الخصخصة والإصلاح الهيكلي وإزالة الحواجز أمام التجارة ، التى من شأنها إيجاد مناخ اقتصادى موات لقطاع الأعمال فى المنطقة "**.

وتم - طبقا لتصريحات " **كلاوس شواب"** رئيس المنتدى ، تخصيص ٩ غرف خاصة فى المركز الدولى للمؤتمرات لعقد اللقاءات بين رجال الأعمال ، كما تم منح ١٤ دولة مكاتب لترويج مشروعاتها ، وتم بالفعل عقد مايقرب من ٤٠ ألف اتصال شخصى بين رجال الأعمال فى المنطقة.

ورغم هذه الطبيعة النوعية الخاصة لهذا المؤتمر والتى تصب فى النهاية فى التعاون الاقليمى ، فان آليات التعاون الإقليمى المباشرة ومنهجها الذى يخدم التطبيع مع إسرائيل والنظام الشرق أوسطى والدور الإسرائيلى المهيمن ، احتلت مكانا بارزا فى المؤتمر وعلى هامشه.

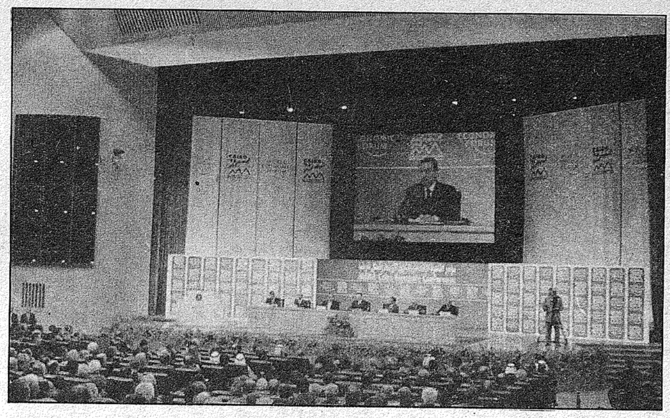
فالمؤتمر اعتمد الفكرة الإسرائيلية القائمة على " أولوية الاقتصاد على السياسة" وأن الطريق لتفكيك " الصراعات المزمنة" يتم عبر تنمية قواعد لمصالح مشتركة بين المنغمسين فيها مباشرة ويتدخل قوى من المهمومين بتداعياتها وبضرورة حلها فى المجال الدولى الأوسع .. تلك الفكرة الخبيثة التى تجعل من التطبيع والعلاقات الاقليمية الاقتصادية وإنهاء المقاطعة لإسرائيل سابقة على التسوية السياسية.

وللأسف فقد عقد مؤتمر القاهرة (الإقليمى) ليناقش القضايا الاقتصادية الاقليمية ، بينما التسوية السياسية تنتقل من التعثر إلى الدخول فى النفق المسدود ، بعد رفض حكومة نتانياهو الالتزام بالاتفاقات الموقعة مع الفلسطينيين وتوقف مباحثات التسوية مع سوريا ولبنان ، والتهديد بعدوان عسكرى جديد .. إلخ.

يقول **كلاوس شواب** بوضوح " إذا كان انفجار مشاعر الاحباط وأعمال العنف بين الفلسطينيين والإسرائيليين برهن على شئ ، فهو أن ليس من إمكان للسلام والاستقرار إلا إذا قاما على النمو الاقتصادى السريع والتعاون الإقليمى وزيادة الاستثمار وتقليص البطالة .. **أن المصالحة فى الشرق الأوسط بحاجة إلى عنصر إضافى هو" خصخصة" صنع السلام** .. ويمكن لدوائر الأعمال أن تمهد لذلك عن طريق خلق نظام الاعتماد المتبادل على بعضها بعضا ، وإطلاق عملية للتنمية الاقتصادية تكون فى مصلحة كل الأطراف . ويمكن تلخيص هذا الاتجاه بشعارين : **الإقليمية ، وانفتاح الأسواق "**

وتطبيقا لهذا المفهوم فقد اهتم مؤتمر القاهرة - على عكس ماروج الحكم وصحافته وإعلامه فى مصر - **بآليات التعاون الاقليمى .. بنك التعاون الاقتصادى والتنمية ، مؤسسة الشرق الأوسط والمتوسط للسفر والسياحة ، مجلس الأعمال الإقليمى** ويسجل البيان الختامى للمؤتمر الاقتصادى الثالث للشرق الأوسط وشمال أفريقيا الصادر فى القاهرة يوم ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ ذلك بوضوح قائلا .." ورحب المشاركون بالتقدم الملموس الذى تحقق بانشاء مؤسسة الشرق الأوسط والمتوسط للسفر والسياحة فى تونس ، كما أبرزوا أهمية بنك التعاون الاقتصادى والتنمية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى القاهرة ، إمكاناته بالنسبة لتشجيع تدفق رأس المال الى المنطقة ، مما يفسح المجال لإقامة مشروعات البنية الأساسية ، علاوة على تطوير القطاع الخاص . كما أعرب المشاركون عن الترحيب بالانتهاء من اتفاقية انشاء البنك ، وشجعوا الدول على توقيعها والتعجيل بانهاء إجراءات التمويل والتصديق بما يسمح للبنك بأن يبدأ نشاطه عام ١٩٩٧ ، كما استعرضوا ماتم انجازه بالنسبة لإنشاء مجلس الأعمال الإقليمى ، وتعهد الأطراف المعنيون من جديد بدفع هذه المبادرة قدما .. واستعرض المشاركون أنشطة سكرتارية لجنة متابعة مجموعة عمل التنمية الاقتصادية الاقليمية التى أنشئت بعمان والتى بدأت نشاطها الرسمى فى مايو ١٩٩٦ .. وسجل المشاركون استمرار الأمانة التنفيذية لمؤتمرات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى الرباط فى تطوير برامجها وأنشطتها بنجاح ..".

وقد أعلن السفير **رؤوف سعد** مساعد وزير الخارجية المصرى أنه سيتم بدءا من يناير القادم عمل فريق انتقالى لبنك التنمية لإعداد ميزانية البنك خلال الثلاث سنوات الأولى ، وبحث المشروعات الرائدة .. وأن البنك سيبدأ عمله من يناير ١٩٩٨.



الرئيس مبارك يفتتح مؤتمر القاهرة

وبالاضافة للاهتمام بآليات التعاون الإقليمي ، والتى تمثل جوهر التطبيع والنظام الشرق أوسطى كما حددته إسرئيل ، فقد حققت إسرائيل مكاسب هامة فى المؤتمر ، ولم تكن مهمشة موضوعيا خلاله.

فاسرائيل كانت أحد أعضاء لجنة التسيير فى مؤتمر القاهرة ، والتى ضمت ١١ دولة "الولايات المتحدة - روسيا - ايرلندا - اليابان - كندا - إسرائيل - مصر - الأردن - تونس - المغرب - قطر".

وخصص للوفد الإسرائيلى - مثل الوفد المصرى - جلسة خاصة فى مقر المؤتمر مساء الأربعاء ١٣ نوفمبر عرض خلالها المشروعات الإسرائيلية المختلفة (١٣٩ مشروعا كلفتها ١٣ مليون دولار).

وأعلن السيد **طاهر الشريف** سكرتير عام جمعية رجال الأعمال المصرين ، اتفاق رجال الأعمال المصرين والإسرائيليين على تشكيل **مجلس أعمال مصرى - إسرائيلى** ، أتفق - ربما خجلا - على تسميته بـ " مجموعة متابعة بين رجال الأعمال المصرين والإسرائيليين ".

وعلى هامش المؤتمر عقدت المجموعة الوزارية **لدول اعلان طابا** ،والتى تضم وزراء التجارة والاقتصاد فى " **مصر وإسرائيل والأردن وفلسطين** " بالاضافة للولايات المتحدة ، اجتماعا قررت خلاله تحرير التجارة البينية بين هذه الدول بالاضافة للولايات المتحدة ، على أن **يتم تحرير أسواق البلدان الخمس فى العام القادم بما فى ذلك فتح الأسواق وضمان حرية العمل لمستثمرى كل دولة فى أسواق الأخرى.**

وفى داخل المؤتمر أكد **د." جوليلمو موسكاتو"** رئيس مجلس إدرة مؤسسة إينى الإيطالية للبترول وشركتها التابعة " أجيب" **استمرار العمل من أجل تنفيذ مشروع غاز الشرق ، لنقل الغاز من مصر إلى غزة والأردن وإسرائيل وسوريا وتركيا** .. وربط هذا الخط بشبكة غازات من دول الخليج العربى بقطر والسعودية .

يبقى أن الأرقام والبيانات التى أذيعت داخل المؤتمر وخارجه تؤكد أن كل مايتم فى مجال العلاقات الاقتصادية الاقليمية برعاية دولية و لصالح إسرائيل . فبينما لم تزد تدفقات الاستثمار الخارجي إلى الدول العربية خلال عامى ١٩٩٤ و١٩٩٥ عن ١٪ من إجمالى الاستثمارات الدولية الخاصة بعد أن كانت فى الثمانينات ٤ر٣٪ فقد ارتفعت هذه الاستثمارات فى إسرائيل عقب اتفاقيتى أوسلو ووادى عربة من ٨٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٤ إلى ٢ر٢ مليار دولار عام ١٩٩٥ . ونما هذا الرقم بنسبة ٣٦٪ خلال النصف الأول عام ١٩٩٦ . ويشير وزير التخطيط والتعاون الإسرائيلى إلى أن **الاستثمارت الخارجية تضاعفت فى إسرائيل خمس مرات فى السنوات الأخيرة " و" انتقالها من مرحلة الحصول على المعونات الخيرية إلى الاستثمارات الفعلية ومضاعفة عدد السياح وفتح أبواب النمو الاقتصادى"** .

كما سجل معدل نمو الصادرات فى ظل التطبيع واتفاقات التسوية ارتفاعا ملحوظا فى إسرائيل قدرت بنسبة ٧ر١٤٪ و٧ر١٠ و٥ر١١٪ و١ر١٠٪ فى أعوام ٩٢ و٩٣ و٩٤ و١٩٩٥.

ويظل هناك سؤال حول ماقيل عن اتفاقات (٩) مع الشركات العالمية . فهل هذه الاتفاقات تمت بالفعل فى المؤتمر ، أم أنها اتفاقات سابقة أعلن عنها خلال المؤتمر - وهو الاحتمال الأرجح - فى محاولة لتبريره أمام الرأى العام؟

وماهو الحجم الحقيقى للاستثمارات التى ستدخل مصر نتيجة لهذه الاتفاقات هذا العام أو العام التالى؟

وماهو حجم الاستثمارات التى ستذهب إلى إسرائيل؟

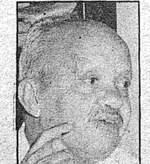
هوامش على دفتر الحياة



ذكريات

(٢)

أحمد بهاء الدين بين غضب عبد الناصر عليه.. وغضب السادات منه



د . عبد العظيم أنيس

بدأت حملة نظام **عبد الناصر** ضد الشيوعيين واليساريين المصريين في أول يناير ١٩٥٩ ،وكنت واحدا من المعتقلين. ومع أنني -والصديق **محمود أمين العالم** -قدمنا إلى مجلس عسكرى ضمن متهمين آخرين بلغ عددهم ٦١ متهما فيما أذكر،**ومع أن هذا المجلس العسكرى قد حكم بالبراءة لنا نحن الاثنين، إلاّ أننا بقينا معتقلين حتى أفرج عنا فى أوائل أبريل ١٩٦٤**، ضمن آخر دفعة أفرج عنها من معتقل الواحات.

في تلك الفترة الكئيبة التي طالت أكثر من خمس سنوات انقطعت صلتي **بأحمد بهاء الدين** ،ولكنني أتذكر أنني أرسلت له من الواحات كلمة موجزة بعد أن عين رئيسا لتحرير الأخبار(ربما كان ذلك فى أواخر عام ١٩٦٣) أرجوه مساعدة زوجتي في الحصول على عمل في الصحافة المصرية، إذ كانت قد فصلت من عملها في جريدة المساء،وبقيت هذه السنوات الخمس دون عمل يذكر، وقد حكت لى بعد ذلك أنه أرسل لها يدعوها لمقابلته وأنه وعدها خيرا، لكن الأمور تطورت بسرعة بعد إطلاق سراحي في أوائل ابريل ١٩٦٤، وعودتها إلى العمل ضمن آخرين في مؤسسة الجمهورية.

وفي المرحلة التي بدأت باطلاق سراحي حتى وفاة **عبد الناصر** في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ،عاد الدفء إلى صداقتنا مرة أخرى، لكنها لم تعد بقوة العلاقة الوثيقة القديمة. وربما كان هذا طبيعيا بعض الشئ، فقد كان بهاء قد تزوج وبدأت له مسئوليات عائلية لم تكن موجودة من قبل، وكنت أنا أيضا قد تركت ميدان العمل اليومي في الصحافة بعد تعييني مديرا عاما لادارة البحوث القياسية في وزارة الخزانة، فلم نعد نلتقي بالكثرة التي ميزت علاقتنا قبل اعتقالي.

ولقد دعاني بهاء للعشاء أنا وزوجتي في منزله فور خروجي من المعتقل، كما دعا الصديق **محمود العالم** وزوجته أيضا، وكان حريصا على أن يسمع منا تفاصيل ما حدث لنا، وكنا نحكى تلك الاحداث الأليمة ونحن نضحك بعد ما أصبحت ذكرى بعيدة،وأذكر أنه سألني عن نواياي فيما يتعلق بالعمل فأجبت بأنني لا أعرف وأنني ما زلت أفكر.

بهاء رشحنى وزيراً للخزانة ورشح محمود العالم وزيراً للثقافة فى حكومة ما بعد النكسة


محمود العالم

وبالتدرج اتضح لى أمران.. أولهما أن «بهاء» كان على صلة وثيقة بالعاملين فى مكتب الرئيس عبد الناصر، ودليل هذا أنه أول من اتصل بى وأخبرنى بصدور القرار الجمهورى بتعيينى مديرا عاما للبحوث فى وزارة الخزانة(المالية حاليا)، وقال لى أنه قرأ نص القرار الجمهورى فى مكتب الأستاذ **سامى شرف** .وكان سبب تحرك وزارة الخزانة لتعيينى أن وزير الخزانة آنذاك الدكتور **نزيه ضيف** كان زميلا لى فى المدرسة الثانوية لمدة ثلاث سنوات وفى نفس الفصل ،وكان هو نفسه يعمل بمصلحة الاحصاء عام ١٩٥٧، وكان على علم بأننى اعتذرت فى ذلك الوقت عن قبول منصب مدير عام مصلحة الاحصاء، وفضلت العمل فى الصحافة كما أوضحت فى مقال العدد الماضى.

الأمر الثانى أننى لاحظت أن **بهاء كان يتحدث معى كثيرا عندما نلتقى عن قضايا ليبرالية عديدة ،وأنه كان أقل حماسا فى حديثه عن قضية الاشتراكية ،أو بمعنى آخر فان بهاء كان يشعر خصوصا بعد الانفصال السورى عام ١٩٦١ بأزمة آليات صدور القرارات فى القمة بعيدا عن الرأى العام المصرى** ،وكان بحكم عمله فى الصحافة يعرف أسرار كثيرة لا يعرفها الشعب،وكان دائما يتساءل فى حديثه معى عن كيفية مشاركة الشعب فى تحمل المسئولية . وكنا نحن آنذاك نردد مقولة أن الديمقراطية السياسية لا تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، لكنه لم يكن متحمسا فيما يبدو لهذه المقولة.

أتذكر مثلا أنه ذهب مرة ضمن وفد صحفى فى صحبة **المشير عامر** عند زيارته الرسمية لفرنسا عندما كان **ديجول** رئيسا للجمهورية الفرنسية، وأثناء الزيارة وصلتهم فى باريس أنباء اعتقال **كمال الدين حسين** عضو مجلس قيادة الثورة السابق. وأبلغ الوفد الصحفى المشير عامر بأنباء مصر هذه وقال بهاء لى بعد عودته إن المشير عامر بدا خالى الذهن تماما من هذا الموضوع وأنه لم يزد على أن يقول عند سماعه النبأ «ها» ! وكان هذا محل اندهاش بهاء الشديد.

وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ ،واتضحت شروخ وثقوب نظام عبد الناصر ، **وقامت مظاهرات الطلبة إثر صدور أحكام الطيران، كان بهاء متعاطفا مع الطلبة دون شك**،وكان يكرر دائما أنه لابد من تغيير أساسى فى النظام،وقد علق أهمية على بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وما يتبعه من تغيرات خصوصا فى التشكيل الوزارى.

وقد حكى لى بهاء آنذاك أنه قد طلب منه كما طلب من آخرين ترشيح أسماء للوزارة الجديدة برئاسة **عبد الناصر** وأنه قد **رشحنى وزيرا للخزانة كما رشح الأستاذ العالم وزيراً للثقافة** .وكنت قد علمت أيضا أن **د. سامى الدروبى** سفير سوريا بالقاهرة –وأحد وزراء الوحدة المصرية السورية– كان رشحنى كما رشح الاستاذ العالم لنفس المنصبين،ولست أشك فى صحة هذه الواقعة لأننى أعلم من ناحية مدى صدق بهاء فى حديثه، ولأن العديد من موظفى وزارة الخزانة اتصلوا بى فى ذلك الوقت مهنئين بعد أن وصلتهم إشاعات هذا الترشيح.

وعندما صدرت قرارات التشكيل الوزارى وعين **د. عبد العزيز حجازى** وزيرا للخزانة حمدت الله كثيراً لأننى كنت أعلم مدى صعوبة عمل أى شئ جدى لتطوير عمل هذه الوزارة فى تلك الظروف الصعبة ظروف حرب الاستنزاف.

ولقد ظل بهاء رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال طوال سنوات ١٩٦٥-١٩٧٠ ،وكنت أكتب آنذاك مقالا أسبوعيا فى مجلة المصور التى كان بهاء رئيسا لتحريرها. وكان هذا المقال يتناول غالبا قضايا اقتصادية أو سياسية وأحيانا قضايا تعليمية ، ولم يكن لدى شعور من أحاديثه أنه كان سعيدا فى عمله بدار الهلال وخمنت أن هذا ربما يعود لكثرة الاعباء الإدارية التى يواجهها فى مثل

تعاطفت نقابة الصحفيين مع مظاهرات الطلبة فغضب عبد الناصر من النقيب الذى أدرك ضرورة التغيير فى النظام


كمال الدين حسين


عبد الحكيم عامر

هذه الدار، بينما شغفه الاساسى هو الكتابة لا الادارة، ولم أفهم سببا واضحا لفتور علاقته مع الصديق مصطفى بهجت بدوى الذى كان عضو مجلس الادارة المنتدب بتلك الدار.

فى تلك الفترة ،كان **بهاء نقيبا للصحفيين المصريين** بعض الوقت ونقيبا لاتحاد الصحفيين العرب،وعندما وقعت مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ ضد أحكام قضية الطيران التى صدرت آنذاك ،كان موقف النقابة مؤيدا لمطالب الطلبة،**وغضب عبد الناصر من بهاء واتهمه كما سمعنا بأنه «يمسك العصا من الوسط»**، وأعتقد أن بهاء أصيب بحالة من الاحباط بعد الاحداث التى أعقبت بيان ٣٠ مارس ، والآمال التى لم تتحقق إثر هذا البيان ، خصوصا بعد طرد الاستاذ **حلمى مراد من وزارة التعليم بسبب إلحاحه على تنفيذ وعود بيان ٣٠ مارس.**

..

وعندما مات عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ،وكنت قد عدت من بريطانيا قبل الوفاة بأسبوعين بعد قضاء عام فى بريطانيا مشتركا فى مشروع بحوث يمولها مجلس البحث العلمى البريطانى.. أتذكر أن بهاء جاء لتناول الغداء بمنزلى فى وقت كانت لا تزال أسرته بالاسكندرية أو الخارج،وخرجنا فى سيارته عصرا إلى وسط المدينة، أتذكر أنه سألنى عند بدء تحرك السيارة عن توقعاتى بعد تعيين **السادات** رئيسا للجمهورية ،**وتحدثت معه بصراحة معبرا عن تشاؤمى من وجود رجل مثل السادات على رأس السلطة، وقلت له إنه رجل لا يمكن أن يكون محل ثقة الحركة الوطنية المصرية، فقد عمل لحساب الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، وقد كان عضوا فى الحرس الحديدى الذى صنعه الملك فاروق لاغتيال خصومه وعلى رأسهم مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد، فضلا عن علاقته بالراقصة حكمت فهمى، وعلاقته إبان حكم الثورة بعبد الله المبارك، وما تردد عن علاقته بكمال أدهم مدير المخابرات السعودية.**

وأتذكر أن بهاء فتح راديو سيارته رافعا صوت المذياع، وفهمت من ذلك أنه كان يخشى أن يكون بالسيارة جهاز تسجيل مخبأ فى مكان ما، والغريب أن ما قلته هذا هو نفس ما ردده بعد ذلك بهاء فى كتابه **(محاوراتى مع السادات)** الذى صدر بعد اغتيال السادات، وقد جاء هذا فى أول الكتاب ليشرح سبب نفوره الأصلى من السادات، وهو يعود فى أواخر الكتاب ليؤكد قناعته من خلال التعامل الواسع مع السادات بأنه رجل **مغامر وليس رجل مبادئ.**

وفى ظنى أن بهاء نشر هذا الكتاب بعد اغتيال السادات **فى محاولة للرد على الذين كانوا ينتقدون صلاته بالسادات** والتى جعلته كاتب خطاباته إلى وقت كامب ديفيد ،وبهاء كان يحاول شرح طبيعة هذه العلاقة التى تأرجحت بين غضب السادات عليه فى فترات مختلفة حتى وصلت إلى فصله من الصحافة ونقله إلي الاستعلامات ، أو منع مقالاته من النشر فى الصحف، وبين الرضا فى فترات أخرى، إلى درجة أنه كان يستدعيه من الكويت حيث كان يعمل رئيسا لتحرير مجلة العربى الكويتية لاعداد خطاباته له فى المناسبات الوطنية المختلفة.

والحقيقة أن هذه الصلة بالسادات إلى قرب نهاية السبعينيات كانت محل اندهاشى وتساؤلاتى ،فانا أعلم أن السادات قد حسب بهاء على مراكز القوى الناصرية **(على صبرى** والآخرين) بشكل من الأشكال ، خصوصا أنه حاول فى دار الهلال أن يصد هجوم عناصر مثل **صالح جودت وسكينة السادات** على التيار الآخر وعلى الاتحاد السوفيتي،وأن هذا هو سبب نقله فى أوائل عصر السادات من دار الهلال إلى روزاليوسف، كما أنه شايع التيار الذى تزعمه **توفيق الحكيم** فى أتون مظاهرات الطلبة فى عام ١٩٧٢ ، عندما بدا أن السادات لا يزمع الحرب لتحرير البلاد من الاحتلال الاسرائيلى.

فكيف بعد ذلك تتواصل الصلات إلى حد ان السادات يستدعيه من الكويت كلما كان فى حاجة إلى من يعد له خطابا فى مناسبة وطنية؟!

أعتقد أن هذا اللغز يجد حله جزئيا فى إدراك صلاته الوثيقة -هو وزوجته- بالسيدة **جيهان السادات** ،والحقيقة أن كل من عرف هذه السيدة عن قرب ولمس شخصيتها

الطاغية لم يملك إلا الاعجاب بها. أتذكر مثلا أنني وبهاء دعينا إلى غداء فى منزل النائب الكويتى **عبد الله النيبارى** (ربما فى عام ١٩٨٠)وبعد الغداء عرض علينا فيلم فيديو يسجل امتحان رسالة الماجيستير للسيدة جيهان بجامعة القاهرة،وكنت مستاء من هذا العمل معتبرا هذا إحدى فضائح الجامعات المصرية، كما كنت مستاء من أستاذين كنت أكن لهما احتراما وهما **الدكتورة سهير القلماوى والدكتور مراد وهبه** لمشاركتهما فى هذه المهزلة، بينما كان بهاء وزوجته مسرورين من هذا الفيلم،وقد بقيا حتى نهايته بينما، استأذنت أنا وانصرفت بعد ربع ساعة من عرضه.

أما السبب الثانى- فى رأيى الشخصى-فى حرص بهاء على صلته بالسادات إلى زمن متأخر فهو مرضه. فقد أصيب بهاء فى أول عام ١٩٧٥ بجلطة فى أحد شرايين المخ، وكان هذا أحد أسباب رغبته فى الابتعاد عن مشاكل ومؤثرات الحياة الصحفية فى مصر وذهابه إلى الكويت. لكنه مع ذلك ظل حريصا-فى البعد- على أن تكون له صلة بتطورات الأحداث فى مصر. ولقد شاءت المصادفات أن أكون أنا أيضا بالكويت سنوات أربع مع الأمم المتحدة في نفس الفترة التى كان بهاء بها فى الكويت وكنت أراه كثيرا، ونتناقش أحيانا قليلة لأنني كنت أخشى عليه صحيا من مناقشات طويلة أو حادة. والانسان فى حالة المرض لا يفكر دائما كما يفكر وهو فى أوج صحته، والمريض يعمل حساب أشياء قد لا تخظر بباله وهو سليم.

ويرتبط بهذا أيضا ما قيل وكتب من أنه كان مؤيدا لكامب ديفيد .وأنا لم أقرأ مقالا لبهاء فيه هذا التأييد، ولكنى أستطيع أن أقول إنه **كان يلتمس للسادات عذرا فى اتجاهه هذا بسبب سوء الأحوال العربية والمحلية** . أتذكر نقاشا دار فى منزلى بالكويت وكنت من أشهر المهاجمين لاتجاه السادات بزيارة القدس وابرام معاهدة الصلح مع اسرائيل لم أكن مرتاحا لموقف بهاء الاعتذارى هذا، حتى وقت حادثة معينة ظننت فى أول الأمر أن بهاء يقف وراءها ثم تبينت أنى ظلمته.

والواقعة تتلخص فى أن بيانا صدر فى الكويت باسم المثقفين المصريين بالكويت بعد إبرام معاهدة الصلح مباشرة ،ونشر فى جميع الصحف الكويتية مما يدل على أنه كان محل رضا المسئولين الكويتيين، دون توقيع من أحد،وكان مضمون هذا البيان أن السادات قد تعجل وأنه كان بامكانه الحصول على شروط أفضل لو كان قد تمهل واستمع إلى نصيحة مستشاريه.



أنور السادات

وقد ضايقنى **هذا الأسلوب فى التفكير دون إبراز جريمة السادات فى عمل صلح منفرد بعيدا عن الاقطار العربية، هو بمثابة طعن للشعب الفسطينى**، كما ضايقنى أكثر أن البيان لا يحمل أى توقيع.

وخطر ببالى عندما قرأته فى الصحف الكويتية أنه ربما كان بهاء وراء هذا البيان خصوصا على ضوء صلاته الجيدة بالمسئولين الكويتيين وبالذات بالاستاذ **عبد العزيز حسين** وزير شئون مجلس الوزراء الكويتى، وزاد من شكوكى هذه ما عرفته من صحفيين مصريين من أن وكالة الأنباء الكويتية أرسلت إلى جميع الصحف الكويتية فى اليوم السابق على نشر البيان رسالة تقول فيها: «انتظروا بيانا هاما».واتضح أن هذا البيان «الهام» ليس إلا رسالة المثقفين المصريين.

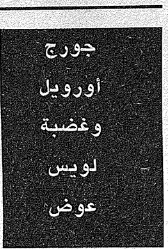
واتصلت ببهاء فور قراءة البيان فى الصحف وسألته إن كان قد قرأ البيان فاجاب أنه قد استيقظ متأخرا ولم يقرأ الصحف بعد، وسألنى : من هم الموقعون على البيان؟ فلما عرف أنه دون توقيع قال بشكل حاسم : وما قيمة بيان لا يتحمل كاتبوه مسئولية رأيهم؟

وأدركت بالطبع أن بهاء لا يقف وراء هذا البيان ،وعرفت بعد ذلك أن السفارة المصرية فى الكويت كانت تعرف بعد صدوره بأيام أن كاتبه الحقيقى هو أستاذ مصرى فى جامعة الكويت، وأنه استشار شخصا أو شخصين فيه وقام بنشره.

وكان هذا الوضع هو الذى حفزنى لكتابة مقال فى صحيفة الوطن الكويتية بعنوان «**القارعة**» وهو المقال الذى أعاد حزب التجمع طبعه ونشره بالقاهرة بعد ذلك.

لكن تلك قصة أخرى قد أعود إليها فى مناسبة تالية.

عبرت عن تشاؤمى من وجود السادات على رأس السلطة فرفع بهاء صوت مذياع السيارة خشية أن يكون. هناك جهاز تسجيل مخبأ فى سيارته



فى عام ١٩٥٣ وكنت أكتب كل أحد فى الصفحة الثقافية بجريدة المصرى أتذكر أننى كتبت مقالا عن الكاتب البريطانى **جورج أورويل**، ولا أتذكر المناسبة فى كتابة هذا المقال ربما كان فى ذكرى وفاته وربما بسبب آخر.

المهم أننى ذكرت فى هذا المقال أن أورويل عمل مع المخابرات البريطانية فى بورما. وبعد نشر هذا المقال بأيام قابلت **الدكتور لويس عوض** بالصدفة فى شارع القصر العينى، ووجدته غاضبا من المقال ومما قلته عن أورويل، واتهمنا أننا نسيئ لسمعة كاتب اشتراكى مثل أورويل لا لسبب إلا لعدائه للنظام السوفيتى الذى تمثل فى روايته **(مزرعة الحيوان) Animals Farm**.

وقد حاولت تهدئة الدكتور **لويس عوض** وذكرت له المرجع الذى اعتمدت عليه فى الاشارة إلى صلته بالمخابرات البريطانية ولكنه لم يقتنع ومضى غاضباً.

تذكرت هذا اللقاء بعد مرور أكثر من أربعين عاما على وقوعه لأن صحيفة **الجارديان** البريطانية نشرت مؤخرا خبرا عن **جورج أورويل** بمناسبة إذاعة بعض وثائق وزارة الخارجية البريطانية التى مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما.

والخبر الذى نشرته **الجارديان** بعد الاطلاع على هذه الوثائق يقول إن **أورويل** كان يتعاون مع وحدة سرية من وحدات المخابرات البريطانية تسمى (**إدارة بحوث الاعلام**) وإن كانت ملحقة بوزارة الخارجية البريطانية من الناحية الشكلية.

وتبين هذه الوثائق ان إحدى العاملات فى تلك الوحدة- وتدعى **سيليا كيروان** -قامت بزيارة **أورويل** فى المصحة التى كان يعالج بها وهو مريض بالسل، وعرضت عليه نشاط الوحدة وكتبت فى تقريرها : «ناقشت معه نواحى نشاطنا فى ثقة كبيرة. وكان سعيدا أن يسمع عن أنشطتنا وقد عبر عن تأييده القلبى لها ولأهدافنا».

وفى الشهر التالى كتب **أورويل** إلى **سيليا** معلنا استعداده لتزويدها بقائمة بأسماء الصحفيين والكتاب الشيوعيين واليساريين المتعاونين معهم والذين يميلون نحوهم . وقال فى رسالته إن القائمة هذه موجودة بمنزله بلندن وبالطبع أكد فى رسالته على أهمية وسرية هذا العمل.

ومع أن الوثائق المنشورة حديثا لا تحتوى على هذه القائمة إلا أن بالوثائق ذاتها حاشية تذكر أن مندوبة الادارة استلمت القائمة، لكن وزارة الخارجية البريطانية رفعت الاسماء من الوثيقة لاعتبارات قانونية.

وهذا الاكتشاف عن موقف **أورويل** وصلاته بالمخابرات البريطانية سوف يصدم العديدين من محبى أورويل الذين كانوا ينظرون إليه باعتباره أعظم راديكالى القرن العشرين.

وقال **مايكل فون** زعيم حزب العمال السابق وصديق **أورويل** فى الثلاثينات والاربعينيات، عندما سئل عن رأيه فى هذه الوثائق : «لقد كان هناك الكثير من اللغط فى الماضى حول تخلى أورويل عن الاشتراكية فى أواخر حياته. ولست أعتقد أن هذا صحيحاً لكنى مندهش جدا لقيامه بالتعامل مع الاجهزة السرية البريطانية».

الطريف أن هذه الوثائق توضح أن روايته **مزرعة الحيوان** ترجمت إلى عدة لغات من بينها العربية ، وأن أحد موظفى السفارة البريطانية بالقاهرة قد حبذ الترجمة إلى العربية على ضوء أن المسلمين ينظرون إلى الخنازير والكلاب كحيوانات غير نظيفة. كما يتضح من هذه الوثائق أن وحدة المخابرات هذه كانت تخشى من انتشار الفكر الشيوعى بين عمال النفط فى الظهران، وهى المدينة التى وقعت فيها مؤخراً الانفجارات فى القاعدة الأمريكية وأدت إلى مقتل ١٩ عسكرياً أمريكياً وجرح أكثر من ثمانين.

فى العدد القادم

-الجزء الثانى من دراسة «الاقباط .. من هم؟»

*** الجزء الثانى من ندوة الاحزاب السياسية فى مصر**

*** رحيل النعمان «أبى الاحرار اليمنيين».**

د. محمد على الشهارى

وموضوعات أخرى



علاء حمروش.. لمن نقول وداعاً؟

فى كل صوت شئ متكرر ،وشئ لا يتكرر أبدا. الفاجعة والذهول والدموع المرئية وما تقطره الروح فى صمت للقلب.

لمن نقول وداعا؟ **لعلاء حمروش؟**اوكان أكثرنا حيوية واقبالا على الدنيا والأصدقاء؟ وكان من أمالى أنك حى تقرأ كل ما يكتب وترقب كل ما يجرى تستحسن بعضه وترفض بعضه وتعلق بسرعة وحزم مشيحا بيدك كعادتك:« **ماشى ماشى. الناس لازم تختلف يا أبو الشباب**».

لا يكاد الانسان يعى النبأ حتى يفقد الوعى. أما الموت الذى اختطف علاء فى عز شبابه ونضارته فانه لا يعبء بمنطق ولا يأبه بذهول الأقرباء والأصدقاء والمحبين.

لمن نقول وداعا ؟**لعلاء حمروش** الذى كان رئيس اتحاد طلبة مصر عندما كانت الجامعة مركزا يشغى عقب هزيمة يونيه ١٩٦٧؟.

لمن نقول وداعا ؟ لعلاء الذى لم يمنعه اعداده لرسالة الدكتوراه فى روسيا فى الفلسفة الاسلامية، عن أن يؤجج الرغبات الكبيرة فيمن حوله فيقترح انشاء أسرة **عبد الله النديم** ثم يكون أول رئيس لها كرابطة للمصريين الوطنيين فى الخارج؟.

لمن نقول وداعا؟ له وهو يرفع علم مصر فى مهرجان الشباب بكوريا عام ٧٨ ويمضى متقدما الصفوف رغم الحظر والوفد السرى؟.

من الغريب أن هذا كله بعض من **علاء حمروش** الذى اختطفته أزمة قلبية مفاجئة دون أن يتجاوز الخامسة والأربعين ،أما قمة **علاء حمروش** الأكبر فانها باقية فى نفوس أصدقائه ومحبيه، لأنها قمة النبضة التى انقطعت فجأة، لا يستشعرها إلا القلب الذى توقفت فيه.وكان علاء دقته حاره فى قلب **جيل نما بعد ثورة يوليه فشحنته كما لم يشحن جيل من قبل بكهرباء العزة والكرامة الوطنية، ثم طعن كما لم يطعن جيل من قبل بهزيمة ٦٧**.وما بين الآمال الكبار فى العدل الاجتماعى وتحرير فلسطين والوحدة العربية وتحدى الاستعمار،وما بين طعنة الهزيمة، عاش هذا الجيل أحلامه الخاصة. ولم يتوقف اتصال علاء حمروش لحظة بتلك الأحلام، ولم يتوقف لحظة عن المشاركة، على الرغم من أن ظروفه العائلية كانت تسمح له بأن يحيا حياته الخاصة الميسرة وكانت تسمح له أن يشق طريقه إلى مناصب رفيعة متناثرة لو أنه تجنب الطريق.

وعندما أنهى علاء رسالة الدكتوراة فى الاتحاد السوفيتى اتجه للعمل فى جامعة صنعاء لعدة سنوات ،وبعد فترة من عودته إلى مصر،وضعت أزمة الفكر الاشتراكى العقائد الثابتة فى مهب الريح، وانهارت العربة وتحطمت قوائمها وفر الخيل من نارها فى كل اتجاه،وحينئذ صرنا نضحك من كل نقاط الاتفاق والاختلاف التى التهمت سنوات من العمر،وصارت تأكلنا لقمة العيش قبل أن نأكلها وهموم البيوت وزحمة الدنيا وغدت الذكريات العزيزة هى كل ثروتنا ونقودنا التى تحصيها الروح كل مساء بعد أن بقى الممثلون فى العراء دون حبكة أو نص مكتوب، يستعرض كل منهم مهارته الفردية كموجة بلا بحر، ونغمة مبتسرة دون لحن. وتشبث علاء حمروش بدور يقوم به عبر مركز ثقافة الطفل وأحلام فى إصدار كتب جيدة وملصق وفيلم للطفل، حتى اختطفه الموت المبكر من حياتنا جميعا نحن الذين عرفناه ينقب تحت الركام والحطام عن خيوط اللقاء والمودة.

لمن نقول وداعا؟ للنبضة التى اختطفت من قلبنا:**أنا وأحمد بهاء الدين شعبان والمهندس حسام حبشى وعماد عطيه وشهرت العالم ونبيل يعقوب وأبو بكر يوسف ود. سالم سلام وأحمد عبد الله وريم عويس وكمال خليل وآخرون لا يكفى كتاب لأسمائهم وأسمائهن**.

أيعقل أن الساعة قد حانت؟ وأن علينا أن نصطف لنعزف النشيد لراحل من جيل الراحلين؟ وأن تصبح مسجى ونحن لا نذكرك إلا وأنت تتقدم الصفوف وعلم مصر يرفرف على كتفك كأنه ابنك رفعته لأعلى؟.

يا أيها الحبيب وداعا،وما أقسى كلمة وداعا اذا فارق الانسان بها نفسه وعمره وضحكاته وحماسه وكل ما هو حى ومتحرك«**ماشى ماشى . الناس لازم تموت يا أبو الشباب**» .لكن ليس مبكرا هكذا،وليس بغته هكذا. ستهز رأسك الآن وتفكر ثم تحسم الأمر قائلا:« **حال الدنيا.. المهم**». وتنتقل لموضوع آخر مثل طائر قلق مشيحا بيدك وبعينيك نفس البريق.

أيها الحبيب . من يقول هذا؟ ومن يصدقه؟ وأى غدر لا يحتمل. . أى غدر فوق كل طاقات العقل والقلب؟ .لقد كنت منصفا دوما **فاصرخ أن هذا الموت ظالم لا عدل فيه**.

أحمد الخميسى



* قد يبدو هذا السؤال من الأسئلة البديهية التى لا تحتاج إلى أن تطرح، وخاصة أن موضوع الأقباط أصبح من المواد الرئيسية التى يثار حولها الكثير من النقاش فى الحقبتين الأخيرتين مع تصاعد حدة العنف الطائفى. ولكن ،وربما لهذا السبب بالتحديد ،أتصور أنه قد يكون مفيداً أن نحاول استعادة ما قد يبدو بديهيا، خاصة وأنه بمراجعة مضمون ما يثار حول الأقباط نكتشف أن **هناك إخفاقا فى فهم الأقباط ومن ثم الطروحات التى تبنى على الفهم الخاطئ.** فكما أوضحنا فى مقال سابق،نجد من ينطلق فى تناوله للأقباط من أرضية أنهم« **أهل ذمة**» وعليه يعيد طرح قانونية وضعهم السياسى(**الطائفيون**) ،وهناك من يقترب منهم مدافعا عن حقوقهم وطالباً أشكالا عدة لحمايتهم باعتبارهم أقلية (**الأقلويون**) * .

سمير مرقس

وأتصور أنه فى لحظات التأزم التى هى من أهم ملامح فقدان الذاكرة الوطنية، ربما يكون من المفيد أن نستعيد ما قد يبدو بديهيا، وذلك تنشيطا للذاكرة الوطنية، ورجوعا للمسار الوطنى الصحيح.ومن ثم يأتى سؤالنا: «**من هم الأقباط**» ؟ فى وقته كى يحاول استعادة الرؤية الصحيحة عن الاقباط باعتبارهم مواطنين كاملى المواطنة،ومن ثم ما يتأسس على ذلك من حقوق وواجبات. سوف نحاول فى إيجاز، أن نعمل على الاقتراب من الاقباط من حيث طبيعتهم، ثم علاقتهم بالكنيسة، ثم نتتبع مسارهم عبر العصور.

من هم الأقباط؟

(أ) فى معنى كلمة الأقباط:

يمكن القول أن تعبير أقباط يعادل كلمة «**مصريون**» ،والراجح أن كلمة «قبط» هى تحريف عن الكلمة اليونانية «**ايجبتوس**(**Aiguptus**)»،التى **أطلقها اليونانيون على مصر، والنيل، والمصريين.**

(ب) فى الجذر العرقى للأقباط:

ومن الناحية العرقية فان القبط ، حسب **عزيز سوريال عطية** ، ينحدرون من المصريين القدماء، فهم حسب تعبير ليدر : **أبناء الفراعنة المحدثون (Modern Sons of the Pharoahs)** ، فهم يمثلون النموذج الأقرب إلى قدماء المصريين فى ملامحهم وصفاتهم الجسمية.

وللأستاذ **أبو سيف يوسف** إضافة هامة فى هذا المجال حيث يقول: «إن معطيات الانثروبولوجيا تشير إلى أن المصريين يندرجون ضمن أحد أفرع العرق القوقازى الذى يضم ١٠٠ مليون نسمة تتدرج ألوان بشرتهم من البياض الفاتح جدا إلى البنى الغامق.وانه تدخل فى هذا العرق مجموعة البحر الابيض المتوسط»وفى هذا الموضع يركز **عزيز سوريال عطيه**:«**أن الاقباط ليسوا ساميين أو حاميين، بل بحر متوسطين**».

كثيرون من علماء الانثروبولوجى والآثار.. يؤكدون ما سبق و هو أن القبط هم السلالة المباشرة لقدماء المصريين فنجد ورل مثلا يقول:«للقبط أهمية خاصة لأنهم البقية الباقية من الشعب المصرى، ذلك الشعب الذى يمتاز بأن له أقدم تاريخ مدون».

ويضيف **ماسبيرو**:«إن القبط سكان مصر الأصليون وقد ظلوا على ما كانوا عليه دون تغيير أيا كان».

وتجدر الاشارة هنا إلى أن ما سبق يمكن تطبيقه على مسلمى مصر أيضا مما يؤكد على فكرة التجانس العرقى بين أبناء مصر. ففى دراسة للدكتور **محمد السيد غلاب** عن تطور الجنس البشرى يذكر: من الخطأ الجسيم أن نظن أن المصريين ينقسمون إلى عنصرين : عنصر عربى مسلم آخر قبطى، فالحقيقة أن مصر طوال التاريخ كانت تستقبل الهجرات-وقد استوعبهم جميعا الكيان المصرى ودخلوا فى صلب الأمة المصرية. فالمسلمون والأقباط إذن من أرومة واحدة ومن المستحيل التفرقة بينهم على أسس جسمية».

فى هذا الاتجاه تحدثنا أيضا **د. سيدة اسماعيل الكاشف** بأن مصر: «تتمتع بالتجانس العرقى بين أبنائها ، فالاختلاط الكبير الذى تم بين العرب والمصريين لم يغير من التركيب الأساسى لحجم السكان أو دمهم.. بل لم يغير من التجانس الأصلى لسكان البلاد».

(ج)الاقباط والكنيسة

من الأمور التى يجب دراستها بعمق طبيعة العلاقة بين الاقباط وكنيستهم. فالكنيسة المصرية منذ تأسيسها فى مصر، كانت كنيسة الشعب فهى لم تتأسس بقرار فوقى،ولم تدعم من حاكم قط.

ولعله من المفيد القاء الضوء على ظروف التأسيس الكنسية فى مصر،حيث أن طبيعة تأسيس الكنيسة المصرية قد حددت إلى حد كبير مسارها التاريخى ومن ثم مسار الأقباط على مدى عشرين قرناً.

أولا : الواقع المصرى قبل تأسيس الكنيسة المصرية:

لقد عرفت مصر كولاية رومانية بداية من عام ٣١ ق. م على يد **أغسطس قيصر** وبداية من هذا التاريخ لم يدع «الرومان وسيلة الا ابتكروها لاستغلال موارد البلاد إلى أقصى حد ممكن». ووظف الدين من أجل هذا الهدف، فالثالوث البطلمى المكون من**سرابيس وايزيس وهربوكراتيس** ظل محتفظا بمكان الصدارة بين الآلهة فى العصر الرومانى،وفرض على المصريين أن يعبدوا الأباطرة الرومان.لقد كانت العبادات فى هذه الفترة ذات طابع سياسى ودينى معا. فى هذا السياق ، **القهر الاجتماعى/ والدين الموظف لصالح القهر الاجتماعى**،تكررت أشكال المقاومة من الهروب إلى التمرد إلى الثورة،حتى كان الثلث الأخير من القرن الأول الميلادى حيث وجدت «البلاد تتردى فى هاوية الحروب الأهلية».**ولم يلبث أن ظهر عامل جديد فى الأفق حول الشعب المصرى من «شعب وديع مسالم إلى شعب عنيد مقاوم، ذلك العامل هو ظهور المسيحية فى مصر وانتشارها فيها»**.لقد وجد الملايين من المصريين المضطهدين فى المسيحية ضالتهم،وفى الكنيسة التى تأسست المدافع عنهم.**ومنذ بداية تأسيس الكنيسة حدث «التطابق بين الموقف الدينى والنزعة القومية»**كذلك احتضنت الكنيسة حسب **د. وليم سليمان قلادة** كلا من «الأرض والشعب».

ثانياً: تأسيس الكنيسة القبطية / المصرية:

حسبما جاء فى تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية ، يعتبر **القديس مرقس الرسول** كاتب الانجيل الثانى فى العهد الجديد(٤ أناجيل) ،هو الذى قدم المسيحية إلى شعب مصر وذلك عام ٦٠م.

لقد جاء القديس مرقس ليجد حسب **د. محمد شفيق غربال**«خليطاً من طرازين مختلفين من البيئة الحضارية وبيئة الايمان المصرى الخالص».

فبالنسبة للأولى، **البيئة الحضارية** ، فلقد كان سكان المدن الذين يتكلمون باليونانية وبخاصة فى الاسكندرية وهم من الأغريق والمصريين المشبهين بالأغريق واليهود،وهؤلاء جميعا تأثروا بالمؤثرات الدينية والثقافية السائدة فى المدن الهيلينية فى القرن الأول.«ولقد كان القوم فى تلك الآونة ينشدون تلك الوحدة التى كانت لأمراء يستمدون وجودهم من وراء مختلف الآلهة وعباداتهم».لقد أحتوت الديانة المسيحية الوافدة الجديدة بالاضافة إلى شخص السيد المسيح على شيئين حيويين خلت منهما الديانة الهيلينية، ففى تلك الديانة، بوجه عام، لم يكن يؤمن بعقيدة الخلود فى عالم آخر إلا قلة من الأخيار المحسنين أو جماعة من المطلعين على أسرار بعض الديانات ذات الطقوس السرية التى تعلق بها الناس اذ ذاك، أى لم تكن عقيدة الانسانية عامة. ولم يكن حب الانسانية اساس أية عقيدة هيلينية، كما لم تحمل واحدة منها رسالة إلى البائس والمسكين والخاطئ والمسيئ،وقد كان مذهب الرواقيين أقرب المذاهب إلى المثل الأعلى الانسانى، ولكننا لا نجده يفسح مكاناً للمحبة. ولذا لم يكن للعاملين المرهقين المثقلين إلا أن يضعوا الرجاء فى شئ آخر لم تستطع العقائد الهيلينية أن تقدمه إليهم.

أما بالنسبة للبيئة الثانية:**الايمان المصرى الخالص** ،والرجاء المصرى الصميم، فتختلف كل الاختلاف عن البيئة الحضارية التى وصفتها. فقد كان شغلها الشاغل اقامة الشعائر التى تطلبتها عبادة **أوزيريس** ،وتقوم تلك العقيدة على توجيه الايمان وتوجيه الطقوس للحصول على البعث بعد الموت بفضل **أوزيريس** ، الذى بعث حيا بعد أن أرداه الشر قتيلا، ولذا كان هم المؤمن المصرى أن يؤدى الطقوس السحرية التى بها تغلب **أوزيريس** على الموت، ولو أن الوازع الخلقى لم يغب عن المؤمنين المصريين فقد آمنوا أيضا بالحساب والميزان.. فلم يكن عجباً إذن أن تلقى المسيحية وقد نادت بالمخلص الذى قهر الموت آذاناً صاغية ولقاء حسناً.

ويستطرد **د. غربال** بقوله: «**كان من عظمة المسيحية أنها لم تجتذب الطبقة الوسطى الدنيا والطبقة الوسطى العليا فحسب، بل أنها العقيدة التى أعتنقها عامة الشعب فى الحضر والريف بحرارة وإيمان**».

لقد أدى تحول المصريين إلى المسيحية بشكل جماعى إلى أن تتكون جماعة مسيحية ممتدة وضخمة كانت هى الإرهاصة الأولى فى تأسيس جماعة منظمة هى«**الكنيسة القبطية» أقدم وأعرق مؤسسة شعبية فى مصر**.

من هنا وحسب كل المؤرخين فان الحديث عن الاقباط لا يمكن فصله عن الكنيسة والعكس صحيح خاصة مع توالى أنظمة الحكم الوافدة من الخارج. فلقد ظلت الكنيسة المصرية (حسب طاهر عبد الحكيم) «**تلعب دور القيادة الوطنية والاطار الحامى للشخصية الوطنية المصرية ،والمدافع عن مصالح المصريين**». ويضيف الأستاذ **أحمد صادق سعد** على ما سبق أن : «الاكليروس كان ينزع دائما إلى الاستقلال النسبى عن العرش، وكان له دائما الاتصال الوثيق بالكادحين يجعله يستقبل سخطهم.. مما ادى إلى تنامى المقاومة ضد الحكم البطلمى فى أواخره. وازدادت المقاومة فى القرن الثالث، إذ تلاقت المعارضة الشعبية فى حضن الكنيسة المصرية آخذه صورة الاستشهاد..» ولم يغير الاعتراف الرسمى بالمسيحية ديانة رسمية كثيرا من موقف الكنيسة المصرية فى انحيازها للحق والعدل.حيث دأب بطاركة الاسكندرية على أن يجعلوا من مصر دولة مستقلة.

(د) الأقباط عبر العصور

١) الاقباط فى العصر القبطى:

لم يتوقف الأباطرة الرومان الوثنيون عن مناصبة المسيحية العداء والبدء فى اضطهاد المسيحيين بشكل منظم ومتوال وذلك بداية من القرن الأول الميلادى، عندما أستشهد **القديس مرقس الرسول** عام ٦٨م. وكانت موجات الاضطهاد المتتالية تمتد إلى عدة سنوات ،فلقد عانى

الكنيسة المصرية لم تتأسس بقرار فوقي ولم يدعمها حاكم قط.. لذلك فهي كنيسة الشعب

الأقباط مثلا فى عهد **سبتميوس ساويرس**(١٩٣-٢١١) من اضطهاد امتد لسبع سنوات.

وكانت ذروة موجات الاضطهاد وقت **حكم دقلديانوس** (٢٨٤-٣٠٥م)،حيث بلغ اضطهاد المسيحيين أقصاه، حيث **ضربت أعناق ما يقرب من مليون مسيحى مصرى** . وقابل المصريون ذلك الاضطهاد من جانبهم بكل ما أوتوا من قوة وعناد.وقد تولدت من تلك المقاومة «حركة قومية أخذت فى النمو فيما بعد». وليس أدل على ذلك من أن الكنيسة القبطية بدأت تقويمها الذى سمته «**تقويم الشهداء**» بالسنة الأولى من حكم دقلديانوس(١) أى عام ٢٨٤ م. نتيجة لما ترك هذا الاضطهاد من أثر عظيم فى نفوس القبط. وسمى هذا العصر بعصر الشهداء، حيث توحد الوطنى بالايمانى. فمن جهة،رفض بطش حكم الرومان،ومن جهة أخرى ، رفض العبادات القديمة،والتى من ضمنها رفض قدسية شخص الامبراطور. من أجل ذلك أعتبرت المسيحية فى هذا الوقت،والكنيسة المصرية،على أنها حركة مناهضة للنظام الامبراطورى المتوارث.

لم يغير اعتراف الامبراطور **قسطنطين الأول**(٣١٣-٣٣٥م) بالمسيحية كدين مسموح به، بل الرسمى فيما بعد ، من الواقع شيئا: حيث بدأ النزاع والجدل حول طبيعة المسيح.وقد تدخل قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة فى هذه المنازعات اللاهوتية،وعقدت عدة مجامع، إلا أن أغلب الأباطرة اتخذوا سياسة دينية مناوئة لمعتقدات المسيحيين فى مصر، وذلك بدعمهم للهراطقة.(سوف نعرض لتاريخ المجامع والهرطقات فى الجزء الخاص بمرجعية الكنيسة وأهم خصائصها).

بلغ هذا النزاع ذروته فى القرن الخامس الميلادى ،وذلك عندما اختلفت الكنيستان القبطية المصرية وكنيسة القسطنطينية ،حيث تؤمن الأولى بأن **للمسيح طبيعة واحدة** Monophysite،والثانية فقد قالت بأن **للمسيح طبيعتين. مما دعا الامبراطور مرقيان** (٤٥٠-٤٥٧)من أجل ذلك إلى مجمع دينى فى خلقيدونية بآسيا الصغرى سنة ٤٥١م، فأقر المجمع مذهب الطبيعتين بعد عدة مؤامرات ودسائس،كذلك حرمان **البابا ديسقورس** بابا الكنيسة المصرية حينئذ إلا أن المؤكد أن المسألة لم تكن مسألة دينية لاهوتية فحسب، إذ اتخذ الخلاف الدينى فى مصر شكلا قوميا.وعليه فلم يقبل ديسقورس ولا مسيحيو مصر، ما أقره مجمع خلقيدونية،**وأطلقوا على الكنيسة القبطية «الكنيسة الارثوذكسية» وعلى أقباط مصر الارثوذكسيين(٢)**أى «المستقيمو الرأى» ،ليميزوا أنفسهم عن أتباع الكنيسة البيزنطية،والذين عرفوا بعد دخول العرب مصر «بالملكانيين»،لاتباعهم مذهب الامبراطور .استمر موقف التطابق بين الأقباط والكنيسة معبراً عن توحد الايمانى والوطنى.ومما يدل على أن المسألة الدينية فى مصر تطورت إلى مسألة قومية، أو امتزجت بها، ما يذكره **ساويرس بن المقفع** عن رهبان أحد الأديرة بأنهم لم يحيدوا عن المذهب الارثوذكسى ولم يقبلوا المذهب الخلقدونى لأنهم مصريون.

فرح المصريون بثورة **هرقل ضد الامبراطور فوقاس** (٦٠٢-٦١٠م) ،وساعدوا **قائده نيفتاس**الذى وكل إليه الاستيلاء على مصر، لقطع الصلة عن القسطنطينية .وعندما تم تتويج **هرقل** امبراطوراً فى سنة ٦١٠م، فرح المصريون ظناً منهم أن حكم **هرقل** (٦١٠-٦١٤م) ربما يكون أخف وطأة من حكم من سبقه من الأباطرة، وأنه سيكون خاتمة الاضطهاد وسفك الدماء، خاصة بعد أن أنقذ الدولة من الفرس بعد أن أستطاعوا غزو مصر فى سنة ٦١٦م.

حاول **هرقل** بعد ذلك أن ينقذ الدولة من الخلاف الدينى فأصدر ما سمى بصورة توفيقMono Thelma تقضى بأن يمتنع الناس عن الكلام فى طبيعة المسيح. ولم يفطن **هرقل** إلى أن مذهبه الذى حاول به التوفيق قد يأباه أهل مصر، كما أنه وقع فيما وقع فيه **جستنيان** (٥٢٧-٥٦٥م)من اسناد الرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو **قيرس** ، ليكون بطركاً وواليا معاً على مصر(يعرف قيرس عند مؤرخى العرب **بالمقوقس**).

وقد أخذ **قيرس** المصريين بأحد أمرين: إما الدخول فى مذهب **هرقل** الجديد، وإما الاضطهاد وقبل أن يصل هذا الحاكم إلى الاسكندرية فى سنة ٦٣١م ، هرب **البابا بنيامين** (٣) توقعا لما سيحل به وبالاقباط من الشدائد، من جراء فرض المذهب الجديد.

قاسى الاقباط جميع أنواع الشدائد من جراء اضطهاد **قيرس** ،الذى فاق كل اضطهاد. ويقول المؤرخون أن «سيف قيرس قطع آخر ما كان يربط المصريين إلى الدولة البيزنطية»،وتمهد السبيل بذلك **لفتح مصر علي يد العرب. كان معظم المصريين فى ذلك الوقت من الاقباط الارذثوكس وتؤكد د. سيدة اسماعيل الكاشف** ان :«**العرب فى فتحهم لمصر كانوا يحاربون البيزنطيين لا المصريين**».

وكان المصريون أذ ذاك قد أنهكتهم الأعباء المالية والاضطهادات الدينية ، حتى أن المؤرخين المسيحيين فى العصور الوسطى يذكرون ان انتصار العرب هو «غضب من الله على الروم بسبب عقيدتهم الخلقيدونية الفاسدة، وبسبب استبداد هرقل والاضطهادات التى أنزلها بالارثوذكس».

(٢)فى عصر الولاة(٤):

لقد تولى الولاية فى مصر، ولاة كانوا يحملون روح السماحة مثل**مسلمة** فى عهد البابا **أغاثون** (البابا ٣٩). فلقد لمس الأقباط فى مصر أنه قد طرأ تغير كبير إلى الأفضل على أحوال القبط،فى السنوات الخمسين التى أعقبت قدوم العرب إلى مصر. فقد ترك العرب مقاليد الأمور فى أيدى أهل مصر من القبط واحتفظوا لأنفسهم بالسيادة العليا ،وتنفيذ أحكام الدين، حتى لقد أصبح للقبط«نصيب كبير فى إدارة بلادهم ربما لم يصلوا إليه قبل الفتح العربى».

لقد عرف الاقباط خلال هذه الفترة عهداً من الحرية الدينية رزحوا تحت نقيضه فى زمن الرومان .

وعاد إلى العقيدة الارثوذكسية«عدد لا يحصى من أبنائها».. وفى

تلك الفترة ، تمكنت رئاسة الكنيسة من اعادة بناء الكثير مما تهدم من« الأديرة والكنائس والصوامع، كما سمح للقبط ببناء كنائس جديدة».

ومن الأمور اللافتة للنظر هو خوف الخلفاء من استقلال الولاة بمصر، مما جعلهم لا يسمحون لهم بالبقاء كثيرا في هذا المنصب، حتى أن بعض المؤرخين يرصد أن **هناك أكثر من مائة وال حكموا مصر على مدى ٢٢٥ عاما** ، أي أن معدل الولاية حوالي عامين فى المتوسط.وكانت لهذه السياسة أثرها فى عدم مبالاة الوالي بالصالح العام، ولا بنمو موارد البلاد على المدى البعيد، انما يهتم بتقديم أكبر جزية للخليفة، عدا ما يجمعه لنفسه. أنعكس هذا الأمر كثيرا على الاقباط من حيث التشدد فى جمع الجزية ، كذلك بعض الأوامر والقرارات والشروط التى فرضت على الاقباط ورئاستهم الدينية، من حيث الثياب التى يرتدونها، والدواب التى يركبونها،وغير ذلك مما يميز بينهم وبين المسلمين كذلك من حيث شروط بناء الجديد من الكنائيس والأديرة ، أو تجديد ما يتهدم منها.

وتقول د. **سيدة اسماعيل الكاشف** أنه «على وجه الاجمال، أن هذه الأوامر كانت تنفذ فى حين صدورها بدقة، ولكن التمسك بها كان يقل تدريجيا ،وكثيرا ما كان يتسامح مع أهل الذمة فى بناء الكنائس وفى الاحتفال بأعيادهم.. بل مشاركة الخلفاء فى عصر متأخر الاقباط الاحتفال باعيادهم الدينية».

على أن السياسة الضريبية فى ذلك الوقت، كانت من الأمور البارزة والمؤثرة على المصريين عامة، والاقباط خاصة. فلقد أبقى العرب على طرق الروم فى تدوين دووانيهم وجمع ضرائبهم،وإن كان العرب على ما يلوح أخف وطأة فى جباية الأموال.وكان للجباية مصدران رئيسيان: الجزية والخراج.وكانت الجزية تؤخذ من غير المسلمين،ويؤخذالخراج من المسلم والقبطى على حد سواء.ومع انتشار الاسلام ازدادت الحاجة إلى المال. فبدأ بعض الخلفاء والولاة يشددون أساليب الجباية.ففى ولاية **عبد العزيز بن مروان** ،وعلى الرغم من أنه أهتم بادخال اصلاحات كثيرة فى مصر،وبنيت فى عهده كنائس، فرضت الجزية على الرهبان، على الرغم من التقليد العربى بعدم فرض ضريبة على الرهبان.وخلف **عبد العزيز بن مروان** فى الولاية **عبد الله بن عبد الملك بن مروان** وكان محباً للمال جداً .. وأمر أن لا يمت ميت حتى يقوموا عنه بالجزية».واشتد أسامة بن زايد التنوفى عامل الخليفة **سليمان بن عبد الملك** فى تحصيل الضرائب.

وعندما جاء عمر أمر بالا يؤخذ الخراج من أواس الأساقفة والبيع.

تقابلت صور المقاومة التى أبداها قبط مصر وبوجه خاص بين الفلاحين،مع التشدد فى جمع الجزية بعد **عمر بن عبد العزيز**.

وقد أمل القبط خيرا عند مجئ الدولة العباسية،ولكن لم تمض ثلاث سنوات على قيامها، حتى ضوعف الخراج على القبط، ولم يتحقق ما وعد به العباسيون «من التخفيف عنهم» . فتجددت ثورات القبط، وشاركهم فيها المسلمون،مما اضطر**المأمون** أن يحضر بنفسه لقمع هذه الثورات.

(٣) فى عصر الدولة الطولونية (٨٦٨-٩٠٥م):

درج الخلفاء العباسيون منذ خلافة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) على اقطاع مصر للقادة الاتراك وكان هؤلاء القادة الترك يؤثرون البقاء فى عاصمة الخلافة،ويرسلون من يقوم بالأمر نيابة عنهم.وحين أقطع بكباك مصر(من أعظم قادة الترك شأنا فى خلافة المعتز)(٨٦٦-٨٦٩م) وكان متزوجا حينذاك من والدة **أحمد بن طولون** بعد وفاة أبيه طولون،وقع اختياره على أحمد لينوب عنه فى حكمها،وإن كان ليس على كل مصر.

ولكن ما هى إلا خمس سنوات، حتى أستطاع ابن طولون أن يكون أميرا على مصر كلها، وأن يضم لنفسه ادارة الخراج فى البلاد. وكانت الدولة الطولونية تمثل الانتقال من عصر التبعية إلى عصر الاستقلال. ويرى البعض أن تاريخ مصر الاسلامية يبدأ بالطولونيين،إذ استقل أحمد بن طولون عن السلطة المركزية، وذلك بداية من عام ٨٦٨م وحتى عام ٩٠٥م.

ويمكن القول :إن العصر الطولونى خلا من الازمات الاقتصادية، وامتاز بالرخاء وزيادة الانتاج وقد انعكس ذلك على علاقة الدولة بالكنيسة والاقباط.

وقد استطاع الاقباط المشاركة فى «**تقدم البلاد وأن ينعموا بعطف ظاهر . فهم أهل مصر سواء أسلموا أم بقوا على دينهم. وكان منهم العدد الوفير فى الوظائف الإدارية وخاصة المالية منها**».

لقد اتبع الطولونيون سياسة كسب الاقباط،والتعامل مع الكنيسة برحابة، إلا أنه أحيانا كان يعامل البابا بالشدة دون المساس بالاقباط.

(٤) فى عصر الدولة الإخشيدية (٩٣٥-٩٦٩م).

فقدت مصر استقلالها ،وعادت ولاية تابعة للخلافة العباسية فى سنة ٩٠٥ م وظلت كذلك إلى قيام الدولة الاخشيدية سنة ٩٣٥م، الذى يعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ مصر، حيث وضع فيه أساس استقلال مصر عن الخلافة العباسية.ومهد للفتح الفاطمى الذى أرسى فى وادى النيل، خلافة تناهض الخلافة العباسية ،وتجعل من مصر قطبى الرحى فى تاريخ الشرق الاسلامى.

كان فى مصر على عهد الاخشيديين كثير من المسيحيين الاقباط. وكان لهم نشاط ملحوظ فى الأعمال التى تدر الأرباح الوفيرة. فكان منهم أصحاب الضياع والأطباء والصيارفة والتجار(**ابن زولاق** فى كتاب أخبار سيبوية المصرى).

وكان للأقباط محاكمهم الكنسية الخاصة بهم، وكانوا يدفعون الجزية كل بحسب الطبقة التى ينتمى إليها.

التجانس العرقى
أول المميزات المصرية
ومن الخطأ الظن
بأن مصر منقسمة
إلى عنصرين: عربى
مسلم وآخر قبطى

التطابق بين الموقف الديني والنزعة القومية حدث منذ بداية دخول المسيحية إلى مصر. ولم يكن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح خلافا لاهوتيا فقط بل خلافاً سياسياً منحه المصريون طابعا قوميا.

وخلال هذا العصر لم يثبت أي شئ غير طبيعي مورس مع الأقباط أو كنيستهم. وكانت العلاقات بين المسلمين والأقباط فى معظم الأحيان طيبة، ولم تكن تتعكر إلا فى حالتين:**الأولى** عندما يصعد نجم العديد من الاقباط فى تولي مسئولية الشئون المالية فى البلاد بشكل يثير حفيظة البعض. **والثانية** : حين ينتصر البيزنطيون على المسلمين فى أطراف الشام، حيث تقوم المظاهرات تهاجم الأقباط وتخرب كنائسهم. إلا أن هذه المظاهرات لم تشجعها السلطة الحاكمة، حيث كانت تلجأ فى الحال إلى القوة لإخمادها. بل يذكر أن الخليفة قد أصدر عام ٩٥٢ م مرسوماً لتهدئة النفوس فى أنحاء الامبراطورية الاسلامية،وأعلن فيه **رفع الجزية عن الاساقفة والرهبان والعلمانيين المعوزين.**

(٥) فى العصر الفاطمى (الأول والثانى (٩٦٩-١١٧١م):

لما توفى **كافور الأخشيدى** عام ٩٦٨م آخر حكام الدولة الإخشيدية، اضطربت الحالة السياسية فى مصر.فى نفس الوقت كان الخليفة **المعز لدين الله**. يعد العدة لفتح مصر، وأرسل **جوهر الصقلى** لضم مصر إلى حوزة الفاطميين. وبالفعل حضر **جوهر الصقلى** وشرع فى إنشاء مدينة جديدة فى القاهرة تكون حاضرة الخلافة الفاطمية ،والتى تدين بالمذهب الشيعي، ولما استقر سلطان الفاطميين فى مصر كتب جوهر إلى المعز لدين الله يشد عليه ليتولى بنفسه زمام البلاد.

ويمكن القول: إن **فترة الدولة الفاطمية بعصريها**(الأول:٩٦٩: ١٠٥٥م والثانى ١٠٥٥: ١١٧١م)،**من الفترات التى نال فيها الأقباط قدراً كبيراً من الحرية.فى ممارسة العبادة كذلك تمتعت الكنيسة بقدر كبير من المزايا،حيث سمح بترميم الكنائس والأديرة وتجديدها.**

ويذكر أن كثيرا من الأقباط قد تولوا العديد من المناصب العليا فى الدولة،وأنهم قد لعبوا دوراً هاماً فى تاريخ مصر خلال هذه الفترة، فى كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

على أن هذا لم يمنع أن تكون هناك فترات استثنائية ، مثل فترة حكم**الحاكم بأمر الله**(٩٩٦-١٠٢٠) والذى **عرف بعنفه الشديد مع الأقباط والمسلمين غير الشيعيين**، بالاضافة إلى تصرفاته الشاذة.

لقد شهد تاريخ هذه الفترة، وخاصة العصر الفاطمى الأول، مشاهد هامة تعكس متانة العلاقة بين المسيحيين والمسلمين،فنجد مثلا الخليفة **المعز لدين الله** يستدعى إلى مجلسه بعض كبار رجال الدين المسيحى، حيث كانت تجرى بينهم وبين بقية الجالسين من المسلمين مناقشات دينية.

وحمل **الظاهر لدين الله** (١٠٢٠-١٠٣٦م) روحاً سمحة نحو الأقباط، فسمح لمن أنكر الايمان المسيحى تحت ضغوط أن يرجع إن أراد إذ قال: «**ان الدخول فى دين الاسلام يجب أن يكون اختياريا لا تحت تأثير القوة**» .ومع ضعف الدولة الفاطمية بداية **من عهد المنتصر بالله** (١٠٣٦-١١٠١م) ،تأثر إلى حد ما الوضع الدينى فى مصر لأسباب كثيرة، وتأرجح التعامل مع الاقباط وكنيستهم بين التسامح فى حدود مثلما حدث فى عهد الآمر بحكم الله(١١٠٢-١١٣١م)، الذى أتسم عهده بالتسامح مع الأقباط،مع التزام جميع النصارى بالجزية مهما كان مركزه،وبين الذل والمهانة مثلما حدث فى عهد **الحافظ لدين الله**(١١٣١-١١٤٩م).

(٦)فى عصر الدولة الأيوبية(١١٧٤-١٢٥٠):

بدأت الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م) فى أواخر الدولة الفاطمية ،فى ظل حكم **المستعلى بالله** وقد عرفت هذه الفترة باسم «**فترة الحكام الضعفاء**»،وسطوة الوزراء، أوما سمى «عهد نفوذ الوزراء أو وزير السيف»(حسب المقريزى).

وكانت للحرب الصليبية الأولى تأثيرها السلبى على حالة الأقباط ،ورئاستهم الكنسية. فلقد **نظر إليهم فى البداية باعتبارهم امتداداً لحاملى الصليب الغزاة** ،ولكن سرعان ما اختلف الأمر خاصة بعد استنجاد شاور أحد الاقوياء فى هذه الفترة، بالفرنجة لمواجهة **نور الدين محمود الدمشقى** . بل أنه عقد مع الفرنجة اتفاقا أن يكون لهم بالقاهرة «شحنة » من الفرنجة. واتفق معهم على أن يكون لهم من دخل ديار مصر فى كل سنة مائة ألف دينار .وفى سبيل إخلاء الطريق أمام الفرنجة ، أشعل النار فى الفسطاط. وكان هناك الكثير من الاقباط يعيشون فى هذه المنطقة،**الأمر الذى أشعر**

المصريين ككل أن بلدهم ذهبت ضحية خيانة الأفرنجة وشاور.

وقد نتج عن ذلك أن انضم الكثيرون إلى **شيركوه**، الذى أرسل من الشام لمواجه الفرنجة، حيث أجبرهم على الرحيل. فولاه العاضد وزيراً،ويقى ثلاثة أشهر،**وخلفه صلاح الدين يوسف بن يوسف**.

على أن الموقف السلبى تجاه الأقباط وكنيستهم، استمر على حاله لم يتغير، إلا بعد فشل محاولة الصليبين الاستيلاء على مصر، فى عهد **الآمر بن المستعلى** (١١٠١- ١١٣١). ورفض الأقباط التعاون معهم، مما جعلهم يمنعونهم من زيارة الأراضى المقدسة.

مع تولى **صلاح الدين الأيوبى** الحكم،وتأسيسه للدولة الأيوبية عام ١١٧٤م ، عاد يتخذ موقفا سلبياً من الأقباط ورئاستهم الكنسية. ولكنه مع تكرار انتصاراته على الفرنجة،واستعادته للقدس عام ١١٨٧م،والتى مثلت ذروة انجازاته، **تغير موقفه من الاقباط، الذين رفضوا التعاون مع الفرنجة، بل شاركوا مع المسلمين فى مواجهتهم.كما تغير موقفه من الكنيسة**، حيث منحها ديراً ملاصقاً للقبر المقدس،وهو المعروف باسم«**دير السلطان**». كما أعاد الكثير من الأقباط إلى وظائفهم العليا فى الدولة، واختار **قبطيا هو صفى الدولة ابن أبى المعالى الملقب بأبن شرفى كسكرتير خاص له.**

(٧) فى عصر المماليك:(١٢٥٠-١٥١٧م):

عانى الأقباط كثيراً فى عصر المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م) بدولتيها. كان الحكم المملوكى يمثل الدولة الاسلامية التى لا تحكمها سلالة عربية. فى ظل هذا الحكم لم تكن سياسة المماليك فى معاملاتهم مع الأقباط واحدة. صحيح أن الاقباط كانوا ذوى نشاط ظاهر فى دواوين الحكومة،وكانت خدمتهم ضرورية لحسن سير الأمور المملوكية فى البلاد، إلا أن الحكومة كانت تقصيهم عن الوظائف من حين لآخر، تجنباً للشغب، وتحبباً للشعب، وإرضاء لروح التعصب. ولكن هذا الاقصاء كان قصير الأمد.

ويؤكد ما سبق د. **قاسم عبده قاسم** حيث يقول: حرص سلاطين المماليك على تقرير التزامهم بالعدالة تجاه غير المسلمين من رعاياهم، بيد أنه من ناحية أخرى كانوا يمارسون عليهم الضغوط من حين لآخر لأسباب متنوعة. على أن الاقباط شاركوا المصريين فى أحداث عصر سلاطين المماليك ونشاطاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مشاركة ايجابية فى غالب الأحوال، مما ينهض دليلاً على أنهم كانوا آنذاك جزءا لا يتجزأ من المجتمع المصرى، يتأثرون باحداثه الجارية ،ويخضعون لنفس الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى خضع لها المجتمع ككل ،والتى شكلت ملامح الحياة فى ذلك العصر من ناحية ويؤثرون بقدر أو بآخر فى مجريات الأمور من عادات وتقاليد المجتمع من ناحية أخرى.

(٨) فى العصر العثمانى (١٥١٧-١٧٩٨م):

بقتل **طومان (الملك الأشرف)** ،وتعليقه على باب زويلة بواسطة**السلطان سليم** عام ١٥١٧ تحولت مصر من دولة مستقلة يحكمها سلاطين المماليك، إلى ولاية تابعة للأمبراطورية العثمانية. فالولاة لم يكن لهم هدف سوى استنزاف أموال الناس بأية طريقة كانت ،**وبدون استثناء ولا تمييز، بين مسلم ونصرانى**.وكان الباشا وهو حاكم الولاية الرسمى الذى يعينه الباب العالى كل عام، يحكم مستعيناً بجهازين: الديوان الكبير والديوان الصغير. ولم يعرف أن أحداً من كبار الموظفين أو وجهاء القبط قد شارك فى أى من هذين الديوانين. **تعرض الأقباط لكثير من الجور والظلم خلال هذا العصر، بل وفرضت كثير من القيود على الأقباط من حيث الملابس واقتناء الخيل وركوبها ،ودخول الحمامات.**

على أن هذه القيود لم تمنع القبط من التواجد فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وشغل أدوار اقتصادية وادارية مثل وظيفة «المباشر».حيث لعب المباشرون الأقباط دوراً هاما بالنسبة للأقباط والكنيسة.

وجدير بالذكر انه عندما وجد العثمانيون أنفسهم يحكمون بلاداً شاسعة، أكثريتها العظمى من المسيحيين ، أسس **محمد الفاتح** نظام الملة عام ١٤٥٣ م. وبمقتضاه عهد إلى كل بطريرك من بطاركة الطوائف المسيحية بحقوق الولاية على جميع الأمور الدينية والتعليمية والاجتماعية للطائفة. وفيما يتعلق بالقبط فقد تعاملوا مع نظام الملة فى سياق ثقافى واقتصادى مختلف. فمع استشراء تغلغل النفوذ الاوروبى فى ولايات السلطنة، حصلت الدولة الأوروبية على امتيازات ، ترتب عليها إعادة تشكيل السمات الخاصة بنظام الملل والطوائف والرعايا، بما يخدم أهداف التوسع الأوروبى. وعليه نجد قيام تحالف بين البيوت التجارية الأوروبية ،وبين جماعات المبشرين الأوروبيين، اتجه إلى الفئات المؤهلة والمستعدة للعمل مع القنصليات والاندماج فى جنسية الدول التى كان لها حق حمايتهم.وعند هذا الحد تحول **مفهوم الملة غير الاسلامية** إلى مفهوم «**الأقلية**» ،وبدأ غزو أسواق الأمبراطورية العثمانية باسم الدين. وتعاونت فرنسا مع الفاتيكان فى دفع الطوائف الكاثوليكية (العرب وغيرها) إلى أحضان الكنيسة الرومانية.

فى ظل السياق السابق ذكره، أعرض الأقباط عن التعاون مع الارساليات،ورفضت الكنيسة الاعتراف بسيادة كرسى روما على الكنيسة المصرية،فى مقابل بسط الحماية على القبط.

(٩)الاقباط فى القرن ال«١٩»:

كان لتولى **محمد على** حكم مصر سنة ١٨٠٥ أثره على مصر الحديثة ، فلقد كان صاحب مشروع عجل بانتقال مصر إلى أن تكون دولة حديثة، تتجاوز عصوراً طويلة ممتدة من الركود، على كل الأصعدة فلقد كان لمحمد على مشروعه لتحديث مصر، الذي أرتكز على «بناء جيش قوى وحديث ، وإعادة تنظيم الادارة ،والنهوض بها، واستحداث صناعات لم تكن قائمة من قبل، وادخال التعليم العصرى».على أن من أهم الأمور المميزة فى مشروع محمد على، **هو اهتمامه الخاص «بخلق اطارات من أبناء البلاد الأصليين من المسلمين والقبط». كذلك اتجاهه إلى المساواة بين المصريين عمليا فى الحقوق والواجبات. ويحفظ التاريخ أنه فى عهد محمد على الغيت قيود الزى وأطلقت حرية ممارسة الطقوس الدينية وبناء الكنائس وحرية زيارة الأراضى المقدسة،وتحسينه لحالة الأقباط الاجتماعية والاقتصادية.**

وفى عام ١٨٥٥ ،وفى ظل حكم **الخديوى سعيد** ، **أسقطت الجزية عن القبط** . ففى عام ١٨٥٦ صدر الأمر العالى بدعوة أبناء القبط إلى حمل السلاح أسوة بأبناء المسلمين.

وفى **عهد اسماعيل** ، شهدت مصر انتخاب الأقباط(عضوان من أعيان القبط وذلك من مجموع ٧٥ عضواً يشكلون المجلس) فى مجلس شورى النواب(١٨٦٦-١٨٦٩م)، أول برلمان تعرفه مصر.

شهد حكم **الخديوى توفيق** (١٨٧٩م؟) احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ ،ومنذ وفود القوات البريطانية إلى مصر، أصيبت الوطنية المصرية البازغة بانتكاسة فى مجال العلاقة بين المسلمين والأقباط حيث **أسس الانجليز حالة دينية ودائمة طوال فترة وجودهم فى مصر، على مدى سبعين عاما تقريبا.**

فلقد عملت السلطة البريطانية على تنفيذ مخططها لفصل القبط عن المسلمين بعدد من السياسات وذلك كما يلي:

(١) تفتيت الجماعة المصرية على أسس عرقية.

(٢) الغاء الدستور.

(٣) ضرب التآلف والوحدة بين مكونات الجماعة الوطنية.

(٤) تشجيع نشاط المبشرين للعمل على احتواء المؤسسة الدينية الوطنية وتفكيكها (الكنيسة الارثوذكسية).

(١٠) الأقباط فى القرن الـ «٢٠».

مرت الحالة الدينية فى مصر خلال القرن العشرين بموجات من الصعود والهبوط وبصيغة أخرى بموجات من التكامل / الاندماج والانفصال/ الشقاق بين المسلمين والأقباط فى مصر. وتكاد تكون هذه الموجات منتظمة فى تعاقبها. والراصد يمكن أن يستخرج قانونين اساسيين حول هذه الموجات هما ما يلى:

(١) أن هناك علاقة جدلية بين فترات النهضة و التقدم و«التكامل / والاندماج» بين مكونات الجماعة الوطنية، والعكس صحيح، فكلما تعرضت مصر إلى حالة التخلف والنكوص كلما حدث تراجع فى «التكامل / الاندماج» بين مكونات الجماعة.

(٢) دأب القوى الخارجية على الحيلولة دون أن تبنى مصر كيانها المستقبلى. وأحد الأسلحة التى استخدمتها القوى الخارجية، بالاضافة إلى الجانب الاقتصادي والعسكرى، هو ضرب وحدة الجماعة الوطنية.

الاحتلال البريطانى سعى دائما لتفتيت وحدة الجماعة المصرية بكل السبل

فى هذا الاطار يمكن تتبع الحالة الدينية فى مصر فى القرن العشرين كمحصلة لتفاعل هذين القانونين وذلك كما يلى:

القانون الأول: دخلت مصر القرن العشرين وهى دولة محتلة من قبل الامبراطورية البريطانية. ومنذ البداية نجد كيف شرعت سلطة الاحتلال البريطانى فى تنفيذ طائفة من السياسات التى تستهدف كبح الحركة الوطنية ، كان فى مقدمتها توظيف الاختلاف فى العقيدة الدينية بين مسلمى البلاد وقبطها. ويؤكد الاستاذ **جمال حمدان** هذا بقوله :«**أنه لا يمكن فصل الطائفية فى أية مرحلة من مراحلها عن الاستعمار**»،فهو الذى غذاها إن لم يكن خلقهاوهو الذى اتخذ منها اداة سياسية يدعم بها وجوده». إن الهدف الدائم للقوى الخارجية هو إحداث تجزئة رأسية فى بناء الجماعة الوطنية أى شقها على أساس دينى إلى مسلمين وأقباط ، الأمر الذى كان يتوافق دائما مع مراحل النكوص فى تاريخ مصر فى القرن العشرين.

استخدمت القوى الخارجية فى سبيل ذلك أسلحة تنوعت مع مر التاريخ ، على انه يمكن رصد ما يلى:

(١) الارساليات التبشيرية.

(٢) المواجهة المباشرة بين سلطة الاحتلال والجماعة الوطنية.

(٣) غرس الكيان الصهيونى فى المنطقة قسراً.

(٤) حقوق الانسان/ الاقليات.

أولا: الارساليات التبشيرية:

ظهرت حركة التبشير الأجنبية ظهورها الواضح فى مصر أواسط القرن التاسع عشر حيث دخلت حسب ما يذكر **طارق البشرى** «فى ركاب رأس المال الغربى الذى تدفق بعد كسر معاهدة ١٨٤٠ لاحتكار الدولة الذى كان أنشاه محمد على». لقد وفدت الارساليات التبشيرية فى ظل «السيطرة الغربية» ، حسب تعبير الأب **جورج قنواتى** ،حيث أنها لم تنجح فى الدخول إلى مصر و البقاء فيها إلا تحت أعلام جيش الاحتلال وفى أعقاب جنوده: ويؤكد **أمين هويدى** على أن الارساليات هى إحدى الآليات التى استخدمتها القوى الخارجية فى صراعها مع وطننا.لقد أصدرت الارساليات العديد من الكتب التى تهاجم الاسلام الأمر الذى دفع الكتاب المسلمين للهجوم على العقائد المسيحية وكان من نتيجة هذا الهجوم المتبادل وحسبه. **وليم سليمان قلاده** أن تطول آثار هذه العلاقة بين المسلمين والقبط. وكان من الطبيعى أن يترسب شئ فيما بين المصريين وبعضهم بعضاً (الأقباط والمسلمين)،وإن كان أى من الفريقين غير مسئول عنه ولم يقصد إليه».

وفى نفس الوقت اتجه نشاط المبشرين إلى العمل على «احتواء المؤسسة الدينية الوطنية لقبط» الكنيسة الارثوذكسية - بما يؤدى إلى شرذمتهم وتوزعهم على المذاهب الوافدة.

ثانيا: المواجهة المباشرة بين سلطة الاحتلال والجماعة الوطنية:

عملت سلطة الاحتلال البريطانى على شق الجماعة الوطنية من خلال اتباع ما يسمى بسياسة «فرق تسد» فعملوا على ثلاثة أمور:

(أ) غرس مفاهيم جديدة على الجماعة الوطنية.

(ب) إجهاض الحركة الوطنية الصاعدة.

(ج) التمييز بين المسلمين والأقباط فى الحياة العملية.

(أ)غرس مفاهيم جديدة على الجماعة الوطنية:

فرغم أن التجانس هو أحد المقومات الرئيسية للكيان المصرى فى عرقه ولغته وتاريخه الحضارى، ومن ثم وحدته النموذجية التى تضاعف من قدرته على الحركة وسرعة الانجاز، الأمر الذى جعل **جمال حمدان** يعتبر أن من بين أهم ملامح مصر : «التجانس البشرى والوحدة السياسية والمركزية والاستمرارية التاريخية والتجانس الطبيعى، لكونه إقليما زراعيا واحداً على طول وادى النيل».

أقول رغم التجانس فلقد قدم كرومر فكرة نظرية مضادة يمكن على أساسها تفتيت الجماعة المصرية وإقحام أجسام غريبة فيها تشوه تجانسها وتطمس خصوصيتها وتقف حائلا دون وحدتها ، فلديه أن مصر ليست أمه وجماعة سياسية متميزة، بل هى :«**جماعة دولية**»تتكون من مجموعات شتى من السكان منفصلة عن بعضها لا تضمهم وحدة.

(إجهاض الحركة الوطنية الصاعدة):

عملت سلطة الاحتلال على اجهاض الحركة الوطنية الصاعدة حيث أخذت بمقولة «**دوفرين**» من أن مصر «أمة طال استعبادها ، تحن بفطرتها إلى قبضة اليد القوية أكثر من حنينها الى النظام الدستورى المتراخى بطبيعته والحاكم الوديع خليق بأن يثير الاحتقار والعصيان أكثر

طوال القرن العشرين كانت العلاقة وثيقة دائما بين فترات النهضة القومية والاندماج الوطنى

مما يوحى بالاعتراف بالجميل».

وفى ضوء ذلك ألغى الانجليز الدستور الصادر قبل الاحتلال وكذا مجلس النواب المشكل بناء عليه.

(ج) التمييز بين المسلمين والاقباط فى الحياة العملية:

تعمد **لورد كرومر** (المعتمد البريطانى) أن يوهم الأكثرية المسلمة بأن دولة الاحتلال معنية باقرار العدالة نحو المسلمين. وأخذت السياسية الانجليزية تثير فى بعض العناصر الحاكمة من أتباعها المسلمين الاحساس بالفوارق الدينية وحق الأغلبية فى المناصب الرئيسية.

وفى نفس الوقت حاولت أن تثير لدى الاقباط أحقيتهم فى المناصب، وتهبهم بعضها لاستمالتهم وإثارة المسلمين.ولهذا لم يكن غريباً أن تحفل الأعوام **١٩٠٨-١٩١٢**باحداث شقاق بين مكونات الجماعة الوطنية وذلك بانعقاد **المؤتمرين القبطى والمصرى (الاسلامى)** وإن كان العائد النهائى للمؤتمرين يمكن اعتباره ايجابيا حيث تغلبت روح الوطنية المصرية على المؤتمرين من الجانبين.

ومن الأمور التى يجب تسجيلها هنا(وقد أوردناها فى الجزء الخاص بمسار التغيير فى الكنيسة القبطية) هو موقف الكنيسة والأقباط من الارساليات خاصة والغرب عامة، الأمر الذى وجد فيه الانجليز أن الكنيسة / الأقباط ليسوا أصدقاء حلفاء لهم،ومن ثم كان لابد من دفع الثمن.

ثالثا: غرس الكيان الصهيونى فى المنطقة قسراً:

لقد كانت الحركة الصهيونية العالمية على علاقة وثيقة بمصالح الرأسمالية الاستعمارية الأوروبية والأمريكية،وتشير وثائق عديدة إلى دور القوى الاستعمارية العالمية، الانجليزية والفرنسية وأضيفت لهم الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، فى تعبيد الطريق نحو زرع كيان استيطانى صهيونى فى قلب المنطقة ليفصل شرقها عن غربها من جانب ويعنى سيطرتها على المنطقة الممتدة بين الفرات والنيل من جانب آخر.

وتمثل استراتيجية التفتيت أحد أهم محاور الذهنية الصهيونية وتأتى كثير من الأدبيات منذ الأربعينات لتؤكد ذلك. ويأتى ما يسمى **بخطة اسرائيل فى الثمانينات** ليكون تعبيرا متبلوراً لاستراتيجية التفتيت حيث جاء فى هذه الخطة ما يلى: **ضرورة تجزئة مصر اقليميا إلى مناطق جغرافية متميزة مستغلين الانقسامات بين المسلمين والأقباط».**

رابعاً : حقوق الانسان / الأقليات:

عادت بعض قوى الغرب ، فى إطار الهيمنة على العالم الثالث، لتمارس الدور نفسه الذى كانت تمارسه القوى الاستعمارية التقليدية منذ قرنين، ولكن بآليات وأساليب وأدوات جديدة تتخذ من شعار حقوق الانسان/ الأقليات مبرراً للتدخل المقنن فى شئون العالم الثالث.وفى هذا السياق نجد مصر وقد تعرضت مؤخرا إلى مناقشة أمور العلاق بين مكونات الجماعة الوطنية على أرضية حقوق الانسان/ الأقليات . الأمر الذى خلق حالة دينية قلقة، لم تزل تفاعلاتها قائمة حتى الآن.

القانون الثانى:

يعكس تاريخ مصر فى القرن العشرين أن درجة «التكامل / الاندماج» بين مكونات الجماعة الوطنية تزداد مع فترات النهوض والتقدم والعكس صحيح، فان درجة «التكامل/ الاندماج» تتراجع لصالح التجزئة الشقاق مع فترات السقوط والتخلف.

وعليه فان الحالة الدينية تتأرجح صعودا وهبوطا فى ضوء القانون السابق. فعلى سبيل المثال فاننا نجد حسب **أبو سيف يوسف** كيف أن الأزمة المجتمعية الشاملة: إقتصادية واجتماعية وسياسة تتحكم الي حد كبير في احداث حالة من التفكك فى البنيان الاجتماعى، لذا نجد أن انعقاد المؤتمرين القبطى والمصرى(الاسلامى) فى عام ١٩١١ تولد فى ظروف أزمة اقتصادية شديدة بدأت فى عام ١٩٠٥ . وبنفس هذا المعيار نجد أحداث الفتنة الطائفية التى عرفتها مصر على مدى الربع قرن الأخير (أحداث الخانكة ١٩٧٢) تأتى فى إطار تغيرات اجتماعية واقتصادية حادة.وفى المقابل نجد أن في مشروعى ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢،وقد مثلا فترتى نهوض وتقدم فى تاريخ مصر الحديث، دفعة فى اتجاه التكامل/ الاندماج بين مكونات الجماعة الوطنية واستقرار للحالة الدينية بين المسلمين والاقباط.

الخاتمة:

كانت هذه محاولة لوضع الأسس التاريخية والمعلوماتية السليمة حول أقباط مصر.

وفى اعتقادى أن هذه الأسس لابد وأن تكون هى البداية التى يتم عليها البناء لأى باحث أو مهتم بالشأن القبطى، فى مناخ إختلطت فيه الحقائق بالاكاذيب ، والتاريخ بالأساطير،والموضوعية بالهوى.

هوامش

(١) جدير بالذكر أن الامبراطورية البيزنطية قد تأسست بالقرار الذى أصدره الامبراطور دقلديانوس وكان قد رسم فيه بأن يتولى الحكم فى الامبراطورية الرومانية امبراطوران فى وقت واحد: أحدهما من الشرق والثاني من الغرب.

(٢) ارثوذكسية كلمة يونانية الأصل تتكون من مقطعين الأول«أرثو»وتعنى واحد أو خط مستقيم،والثانى «ذوكسيا» وتعنى «رأى».

(٣) البابا بنيامين هو البابا ٣٧ فى سلسلة تاريخ البابوات.

(٤) يبدأ عصر الولاة من فتح العرب لمصر البيزنطية فى سنة ٦٤٢م وينتهى بقدوم أحمد بن طولون إلى مصر فى سنة ٨٦٨م.وقد اصطلح على تسمية هذه الفترة الطويلة من تاريخ مصر باسم عصر الولاة لان مصر كانت حينذاك ولاية تابعة للخلافة يحكمها ولاة من قبل الخلفاء فى المدينة المنورة زمن الخلفاء الراشدين،ومن الكوفة زمن على بن أبى طالب ،ومن دمشق زمن الأمويين، وأخيرا من بغداد وسامرا زمن العباسيين.



د. جـــنــزورى .. عـــفـــواً
الفلاحون رجعيون متخلفون
يرفضـــون بيـــع أرض مصــــر للأجــــانــــب

عريان نصيف

لاشك أن د. **كمال الجنزورى** يدرك جيدا- بحكم نشأته باحدى قرى مصر وارتباطه بها وبأهلها حتى الآن- أن الفلاحين المصريين لم تصل بهم درجة «الحداثة» -سواء بمفهوم النقد الادبى والفنى السائد فى هذه المرحلة، أو بمفهوم البنك الدولى وبرامج التكيف الهيكلى والشركات متعددة الجنسية- إلى الحد الذى يجعلهم يعتبرون فيه بيع مصر للأجانب ،تعبيرا غير ذى معنى، وفقا لمقولة سيادته.

واليسار- كمجلة وكتيار فكرى وسياسى أصيل بمصر- لا يتبع منهج «اقتناص الألفاظ من الأخرين لمجرد معارضتهم ولكن للحقيقة ، فان قضية بيع مقومات مصر الاقتصادية للأجانب قد أصبحت فعلا -فى مفهوم الحكم منذ منتصف السبعينات - غير ذات معنى ،وتكريس ذلك بشكل تنفيذى-عملى ومباشر- فى الفترة الأخيرة من خلال وزارة د. الجنزورى ولعل ما يحدث بالنسبة للقطاع العام ، خير معبر عن ذلك.

ومن هنا ، فاننا نفهم هذا التصريح للدكتور الجنزورى-الذى يتصدر هذا المقال -ليس كجملة عارضة، ولكن كتعبير عن منهج يراه د. الجنزورى كفيل بالاسراع بعملية التنمية، ونراه نحن كفيلاً بالإسراع -لا قدر الله- بدمار مصر.

أرض مصر للمصريين معركة وطنية منذ البداية

عندما تقرر قانوناً عام ١٨٩١ ، حق الملكية الفردية للأراضي الزراعية فى مصر لم يكن ذلك- فى الواقع الفعلى- سوى لصالح فئات محدودة ، قليلة العدد ولكن كبيرة النفوذ الاجتماعى والسياسى،ومن أبرز هذه الفئات ، **المتآمرين الأجانب** الذين أتيح لهم حق تملك الأراضى الزراعية مقابل ما أغرقوا به مصر / الخديوى من ديون ،**والمرابين الأجانب** الذين ارهقوا الفلاحين بالديون - باهظة الفوائد- ثم تملكوا الأرض سداداً لها .

ومن هنا ، تواكب الصراع الاجتماعى فى الريف المصرى بين الأجراء والمستأجرين وبين كبار الملاك بالنضال الوطنى بين الفلاحين وكافة القوى الوطنية تجاه ملكية وهيمنة الأجانب على أرض مصر الزراعية ومن أجل تغيير الأوضاع القانونية والظروف المتعلقة بعملية الإنتاج الزراعى التى تيسر للأجانب هذه الملكية والهيمنة للأرض وللمحاصيل وتدعم من نفوذهم السياسى بالتالى فى مقدرات مصر.

*فبرنامج **الثورة العرابية**يضع فى أولوياته حماية الفلاحين من المرابين الأجانب الذين «**ينشبون أظافرهم فى أجساد الفلاحين**» -وفقا لنص وثائق الثورة وحماية -أيضا وأساسا- لأرض مصر الزراعية من استيلاء هؤلاء المرابين عليها.

* **والحزب الوطنى** بقيادة **محمد فريد** -وفى مواجهة الخطر المتنامى آنذاك بملكية الأجانب للأراضى الزراعية والذى وصل إلى حد أن إحدى المؤسسات الأجنبية وهى **البنك العقارى**قد انتزعت سداداً لديونها وفوائدها لدى المزارعين مئات الآلاف من أجود أراضى مصر الزراعية-لا يكتفى بالمقاومة السياسية لذلك الخطر الداهم، بل يحاول أن ينشئ من خلال الرائد التعاونى **عمر لطفى**، التعاونيات الزراعية المصرية لتقديم الائتمان اللازم للفلاحين بديلا عن المرابين والبنوك الأجنبية.

***والحركة الشيوعية المصرية** -بدءا من حزب ١٩٢١ وحتى «**الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى**» وباقى المنظمات الشيوعية التى قامت بعد الحرب العالمية الثانية- تضع قضية عدم تملك الأجانب لأرض مصر، كقضية رئيسية فى برامجها وحركة نضالها الفلاحى والوطنى.

* **والحزب الاشتراكى (مصر الفتاة)**،يطالب -برنامجياً ونضالياً- بالغاء ملكية الأجانب لأراضى مصر.

* وشاعر الشعب. «بيرم» -التونسى مولدا ولقباً ،المصرى انتماء ووجدانا- يعبر بصدق فى العديد من قصائده عن هذه القضية الوطنية:.. محذرا من مخاطرها.

«**حاسب من اللى داخل بالشنطة يا فلاح**
جايب شبك من بلاده والجدع طرّاح»
..كاشفاً نتائجها.
«**والقطن برضه لمزراحى ولقرداحى**
وابن البلد يقعد ماحى فى بلاده يتيم».
..مقدما الحل
«**ادخل نقابة الزراعة.. وهى دى**

تعينك».

* وحزب الوفد- فى آخر حكومة يتولاها-يستجيب لهذا النضال الوطنى،ويصدر القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٥١ ، الذى ينص على «**منع تملك الأجانب للأراضى الزراعية ،وما فى حكمها من الأرض القابلة للزراعة والأراضى الصحراوية**».

ورغم أن هذا القانون كان يمثل آنذاك موقفا ايجابيا شجاعا- بالنسبة للسياق الاجتماعى والسياسى الذى صدر من خلاله- إلا أنه وفقا لهذه الظروف قد شابه بعض أوجه القصور المتمثلة فيما يلى:

- عدم سريانه على الأراضى التى تملكها الأجانب قبل العمل بالقانون.
- الاستثناء لعدة حالات يجوز فيها- بعد نفاذ القانون -تملك الأجانب للأرض الزراعية وما فى حكمها.

* ثم كان القانون ١٥ لسنة ١٩٦٣ ، الذى حسمت به **ثورة ٢٣ يوليو الموقف**، وتوجت به حركة النضال الفلاحى-والوطنى عامة- على مدى ثلاثة أرباع القرن، حيث نص هذا القانون على ما يلى:

١- يحظر على الأجانب- سواء كانوا أشخاصا طبيعيين أم اعتباريين- تملك الأراضى الزراعية وما فى حكمها فى الأراضى المملوكة القابلة للزراعة والبور والصحراوية.

٢- تئول إلى الدولة ملكية الأراضى للأجانب وقت العمل بهذا القانون ،مع تعويض ملاكها وفقا للقانون.

٣- تتسلم الهيئة العامة للاصلاح الزراعى هذه الأراضى لتوزيعها على صغار الفلاحين.

..وانتهى بهذا القانون وضع شاذ وشديد الخطورة على مقدرات بلادنا فالملكية الكبيرة للأراضى الزراعية فى مصر ليست فقط قضية تميز اقتصادى ،ولكنها -بالأساس- قضية سيطرة اجتماعية وهيمنة سياسية.

الالتفاف حول القانون وتقليص نطاق نفاذه

مع توجه الحكم فى مصر -منذ السبعينات -إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الاستثمار الأجنبى،ومع الصعوبة السياسية لالغاء مثل هذا القانون، تم الالتفاف حوله وتحجيم قواعده،كما يلى:

(١) القانون ٨١ لسنة ١٩٧٦:

الذى يبيح لمجلس الوزراء تمليك الأراضى المصرية للأجانب فى الأحوال التالية:

- التى تقتضيها مصالح البلاد القومية.
- التى تقتضيها متطلبات التنمية الاجتماعية.
- التى تقتضيها «اعتبارات المجاملة»!!.

والمشرع لهذا القانون ، لم يكتف بعمومية النص وعدم تحديد أى مدلول مادى أو قانونى من الممكن أن يحكمه فى الحالات الثلاث الأول، ولكنه أيضا- والحق يقال- كان يتمتع بروح تشريعية شديدة «الحداثة» وهو يضع «**اعتبارات المجاملة**» كتبرير لتملك الأجانب للأراضى المصرية.

(٢)قانون الاستثمار الأجنبى:

حاولت الحكومة المصرية عام **١٩٧٧** -وتحت دعاوى الانفتاح والتنمية بالاستثمارات الأجنبية -أن تمرر تجميد- إن لم يكن الغاء- القانون ١٥ لسنة ١٩٦٣.

وعلى الرغم من رفض مجلس الشعب آنذاك-من خلال قيادات المعارضة التى كانت أعضاء به-لهذه المحاولة- ،ومعارضتها للمشروع المقدم من الحكومة بهذا الشأن، والذى ينص على «لا تسرى أحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣ بعدم جواز تملك غير المصريين للأراضى الزراعية والصحراوية، على العقارات والأراضى التى تمثل جزءا متكاملا من الأصول الرأسمالية للمشروعات التى تقرها هيئة الاستثمار».. على الرغم من عدم اقرار مجلس الشعب لهذا المشروع ، إلا أنه-فى الواقع الفعلى- تم إعماله، واستولى المستثمرون الأجانب- تحت دعاوى «تكامل الأصول الرأسمالية لمشروعاتهم » وبأساليب تستهدف «تطويع القانون طالما لم يلغ»!- على مساحات كبيرة من الأراضى المصرية.

(٣) فتح سيناء أمام الصهاينة:

فى البروتوكول الزراعى الذى تم الاتفاق عليه بين كل من **د. يوسف والى** وزير

هناك تعبيرات كان لها وقعها وجاذبيتها من قبل مثل بيع مصر للأجانب- أصبحت غير ذات معنى،

د. كمال الجنزورى

جريدة الأهرام ١٩٩٦/٩/٢٠



عفواً دكتور جنزورى

الزراعة المصرى، ونظيره الاسرائيلى «يعقوب تسور» عام ١٩٩٢ ، فقرة رئيسية حول إقامة إسرائيل مجمعات زراعية على أرض مصر المستصلحة -بخبراء اسرائيليين وعمالة مصرية- وخاصة فى سيناء (٥٠ ألف فدان).

بالاضافة إلى هذا البرتوكول ،والعديد من الاتفاقيات التى تمت مباشرة من خلال اللجنة الزراعية العليا المشتركة المصرية / الاسرائيلية ، ذات الاجتماعات الدورية ، أو من خلال الوفود التى يبعث بها د. والى إلى إسرائيل والتى أثمرت العديد من المشروعات والاتفاقيات للتواجد الاسرائيلى على أرض سيناء.. فهناك ما هو أكثر خطرا والمتمثل فى **تحديد نصيب الاستثمار الأجنبى من الأراضى المنزرعة بمياه «ترعة السلام» وهى أكثر من ٤٠٠ ألف فدان-بحوالى ٦٠٪.**

وليس خافيا أن الجانب الأكبر من هذا الاستثمار سيكون إسرائيليا.

(٤) التبرع للأجانب بالأراضى الصحراوية:

فى زمن لم يتجاوز الساعة الواحدة إلا بقليل فى احدى جلسات مجلس الشعب فى يناير من هذا العام، وعلى هامش إقرار قانون الاسكان الجديد الذى استغرقت المناقشات حوله أغلب الجلسة- صدر **القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩٦.**

وقد وافق المجلس «بسرعة لافتة للنظر» -وفقاً لتعبير «رأي الأهرام» فى ٣٠/ ١/ ١٩٩٦ على مشروع القانون هذا الذى ينص على «**تمليك الأراضى الصحراوية للمستثمرين بالمجان أو تأجيرها بايجار اسمى**».

وما أسهل ما يردده البعض .. «علام تلك الضجة التى تثيرونها؟.. وما أهمية تلك الصحراوات القاحلة»؟.

ولكن ما أصعب أن يقتنع هذا البعض بأنهم قد أهدروا الكثير من امكانات ومقدرات مصر:

*** إهدار إمكانات زراعية كبيرة:**

فقطاعات كبيرة من الأراضى الصحراوية ثبت أنها قابلة للزراعة وفقا لتوافر إمكانات الرى، على التفصيل التالى المستقى من الإحصاءات والتقارير الحكومية والرسمية.

- ٧,٥ مليار متر مكعب مخزون للمياه الجوفية فى بعض المناطق الصحراوية.

«خطة وزارة الأشغال حتى عام ٢٠٠٠».

- ٢٠ ألف مليار متر مكعب من المياه الجوفية، شبكة المياه الجوفية العميقة فى مصر»

«د. محمود أبو زيد -رئيس المركز القومى لبحوث المياه».

- المياه الجوفية بصحراء مصر تكفى لزراعة أكثر من ٣ مليون فدان.

«د. فاروق الباز -العالم المصرى بجامعة بوسطن».

- ٤٠٠ ألف فدان من الأراضى الصحراوية بسيناء ، قابلة للزراعة بمياه ترعة السلام

«تقرير وزارة الزراعة- مارس ١٩٩٦».

- ٥٠٠ ألف فدان قابلة للزراعة بالوادى الجديد من خلال توصيل المياه بترعة جديدة من أمام قناطر إسنا.

«السيد محمد عزت- محافظ الوادى الجديد».

- ٤ مليون فدان من الأراضى الصحراوية ،من الممكن زراعتها بالمياه المطرية على الساحل الشمالى.

«دراسات مركز بحوث الصحراء»

.. ولعل هذه الأرقام الرسمية- كمجرد نماذج للامكانات المائية والزراعية لأرض مصر الصحراوية -لتؤكد مدى الخسارة التى لحقت بمصر، ومدى المكاسب التى يمكن أن يجنيها المستثمرون الأجانب والشركات متعددة الجنسية ، بناء على القانون ٥ لسنة ١٩٩٦ ،الذى تبرعت الحكومة المصرية للأجانب بمقتضاه بصحراء مصر.

***إهدار خطير للأمن القومى:**

لا تكمن أخطاء هذا القانون على المستوى الاقتصادى فحسب، بل تمتد لتشمل أيضا الأمن القومى بمعناه المباشر.

فنص القانون خال من أي ضوابط متعلقة بالمواقع الاستراتيجية وذات الأهمية الخاصة للأمن القومى.

فلم تكتف الحكومة باقامة **اسرائيل** لمركز لاستصلاح الأراضى **بمنطقة شرق العوينات**التى تتميز -بجانب ما تحتويه من مياه جوفية هائلة- بالوضع الاستراتيجى المؤثر على الأمن القومى ليس لمصر فحسب ، بل ولثلاث دول عربية أخرى هى **السودان وليبيا وتشاد** ولكنها بهذا القانون تبيح لأى جهة أجنبية أن تتملك.. ومجانا أيضا!! .. أى موقع ذى أهمية استراتيجية وأمنية طالما أنه من «الأراضى الصحراوية»!!.

.. وأخيرا.

إن الأرض الزراعية المصرية- بل والمسألة الزراعية بأكملها - يتم إهدارها منذ منتصف السبعينات من خلال محاولات الهيمنة الأجنبية عليها من ثلاثة محاور:

* اشتراطات البنك والصندوق الدوليين، وبرامج التكيف الهيكلى.
* تقليص المحاصيل الرئيسية الغذائية والاستراتيجية ، تحت دعاوى «**المعونات الأمريكية**».
* الاختراق الاسرائيلى للمجال الزراعى فى مصر، تحت حجة «**الخبرة الاسرائيلية**».. والآن.. وبهذه التوجهات المباشرة لتمليك الأجانب للأراضى المصرية يكون المربع ، قد أحكمت أضلاعه على الزراعة المصرية ، بكل ما تعنيه من واقع اقتصادى واجتماعى وسياسى.

ولكن الواضح أن المسئولين عن السياسة الزراعية وعن مصائر الفلاحين المصريين لم يقرأوا جيدا تاريخ النضال المصرى، فهو -فى مجمله- نضال من أجل «الأرض» المصرية.. ضد الطبقية فى البداية ، ثم بعد ذلك ضد الاستغلال والهيمنة الأجنبية.

حرية تكوين الأحزاب والجمعيات السياسية... فى مصر

في ١٢ نوفمبر ١٩٧٦ أعلن الرئيس أنور السادات أمام مجلس الشعب تحول التنظيمات السياسية الثلاثة التي قامت داخل الاتحاد الاشتراكي في ٢٩ مارس ١٩٧٦ إلى أحزاب سياسية. وبصدور القانون ٤٠ لسنة ١٩٧٧، لينظم التعددية الحزبية في مصر، وليبدأ تجربة جديدة من التعددية السياسية المقيدة استمرت حتى الآن عشرين عاما.

وفي محاولة لتقييم علمي وموضوعي لهذه التجربة أصدر «مركز المساعدة القانونية» في ١٧ سبتمبر ١٩٩٦ دراسة حول حرية تكوين الأحزاب والجمعيات السياسية في مصر. أعدها وحررها «عصام الدين محمد حسن»، واختار لها عنوان «نظام الحزب الواحد في قالب تعددي».

وفي ١ نوفمبر الماضي عقد «مركز المساعدة القانونية لحقوق الإنسان» ندوة حول هذه الدراسة. شارك فيها لفيف من المشتغلين بالعمل السياسي الحزبي، فضلا عن عدد من المشتغلين بالقانون والنشطاء في مجال حقوق الإنسان، وتولى إدارة الندوة د. مصطفى كامل السيد أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، وعضو مجلس أمناء مركز المساعدة.

وقد دار النقاش في الندوة حول ثلاثة محاور أساسية:

- الظروف والعوامل التي أدت إلى قيام الأحزاب عام ١٩٧٦.
- القيود القانونية على حرية تكوين الأحزاب.
- أداء الأحزاب السياسية والمعوقات التي تعترضه.

وانتهى إلى مجموعة من الاقتراحات والتوصيات.

عشرون عاما من التعددية السياسية المقيدة

نظام الحزب الواحد في قالب تعددى







د. مصطفى كامل يدير

النقاش وعصام حسن يسجل ملاحظاته

صلاح عدلي يشرح وجهة نظره في الحزب الديني والدولة الدينية



دور الجماهير واليسار

لقد فرضت الدراسة بالحاحها في الفصل الأول «**حرية تكوين الاحزاب في الشرعية الدولية والدستور المصرى**»، على أن تكوين الأحزاب جاء بقرار من أعلى «وفق إرادة رئيس الجمهورية» ولعب الدفع من أعلى دوراً محوريا في ميلاد خمسة من هذه الأحزاب، أن تبدأ الندوة أعمالها بمناقشة ظروف وعوامل النشأة.

وقد سلم الجميع بما قالته الدراسة من أن «**الصيغة التعددية الجديدة جاءت محكومة بنشأتها من أعلى وفق إرادة رئيس الجمهورية وفي إطار فلسفة التنظيم السياسي الوحيد الذي رسم حدودها الضيقة وطابعها المتدرج وهو ما جعل هذه التعددية في إطار مقيد بقيود صارمة**».

ولكن الخلاف تركز حول وجود ظروف وعوامل أخرى- غير إرادة ورغبة رئيس الجمهورية -فرضت هذا الشكل من التعددية.

قال حسين عبد الرازق: هناك إلحاح في هذه الدراسة على أن الأحزاب تم انشاؤها من أعلى ودون أن تكون تعبيرا حقيقيا عن إرادة شعبية . وأعتقد أن ذلك ليس دقيقا تماما.

أ- فهناك مجموعة من العوامل أدت إلى قيام الأحزاب السياسية، فلم يكن هذا التعدد الحزبي المقيد في مصر مجرد قرار اداري أو منحة من الحاكم هبطت على الحركة الجماهيرية.. ولكنها -في الحقيقة- جزء من **التطورات الاقتصادية الاجتماعية التي مرت بالبلاد منذ انقلاب ١٣ مايو ١٩٧١ وبصفة خاصة عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣**.ويمكن تحديد هذه العوامل في ٣ عوامل..

١-**تطور نضال وتضحيات الحركة الجماهيرية المصرية واتجاهها إلى التعبير المستقل عن مطالبها ،ومحاولتها بناء أشكال تنظيمية مستقلة**، خاصة بين صفوف عمال المصانع والمهنيين والمثقفين وطلاب الجامعات وفي بعض مناطق الريف التي شهدت مواجهة حادة بين فقراء الفلاحين وكبار الملاك، ورفض الحركة الجماهيرية العمل في إطار تنظيمات الاتحاد الاشتراكي التي خضعت لقيادة وسيطرة الرأسمالية الطفيلية والبيروقراطية، **انتفاضة الجامعة ١٩٧٢ -الانفجارات الجماهيرية ٧٢، ٧٣، ٧٥- الانفجارات في صفوف الطبقة العادلة يناير ومارس ١٩٧٥- التعبير السياسي المستقل من خلال نقابتي المحامين والصحفيين ٧١-١٩٧٥ -انتخابات الاتحاد الاشتراكي ١٩٧٣ -تكوين تنظيمات سياسية سرية «ماركسية أساسا»**.

٢-**ازدياد التمايز الاجتماعي واتساع نطاق الفوارق بين الطبقات الكادحة والطبقات المستغلة** واستفحال النتائج الاجتماعية السلبية لظاهرة ازدياد الفقراء فقرا وازدياد الأغنياء غنى، مما حتّم الاعتراف بقدر من التمايز السياسي لضمان استمرار نفوذ الشرائح الرأسمالية الكبيرة.

٣- **تهيئة المناخ المناسب لتشجيع الاستثمار الأجنبي**، خاصة وأن سياسة الانفتاح الاقتصادي لم تحقق حتى ذلك الحين ما كان متصوراً من تدفق رؤوس الأموال الأجنبية ، وأعتقد بعض الرأسماليين أن صبغ المجتمع بصبغة ليبرالية وإحكام قبضة الرأسمالية سوف يطمئن المستثمرين الأجانب.

إن دور القوى الجماهيرية واليسار في فرض قدر من التعددية حقيقة يصعب تجاهلها. وأذكر أن أول من دعى إلى قدر من التعددية السياسية والحزبية كان اليسار المصرى (**الجمهورية- الطليعة.. مارس ١٩٧٢ خالد محيى الدين ومحمود الخفيف** من خلال لجنة تطوير الاتحاد الاشتراكي..).

ب- **مارس حزب التجمع بمجرد قيامه نشاطه كحزب سياسي مستقل** وقبل صدور قرار السادات بتحويل التنظيمات إلى أحزاب في نوفمبر ١٩٧٦.

- أزمة انتخاب السكرتارية العامة المؤقتة في ١٠ أبريل ١٩٧٦ وإصرار الهيئة التأسيسة على أن لا يكون التجمع حزبا شيوعيا كما أراد السادات.

المهندس أبو العلا ماضى:

وكيل مؤسسى حزب الوسط

-نطرح مفهوما بشريا للإسلام .. ونرفض الدولة الدينية.. ونقبل التداول الحقيقى للسلطة.

عادل عيد

عضو مجلس أمناء المركز:

الدستور هو أساس الداء بتكريسه للشمولية وهيمنة مؤسسة الرئاسة

-أزمة المذكرة السوفيتية للحكومة المصرية ٢ أبريل ٧٦ ورفض خالد إصدار بيان بناء علي طلب الحكومة.

- أزمة مساندة الثورة الفلسطينية فى لبنان يوليو ١٩٧٦ واتهام الحزب بأنه بدعوته للتطوع فى صفوف الثورة الفلسطينية فى لبنان يسعى لتكوين ميليشيات مسلحة. ويخالف مبدأ التزام كل الأحزاب بالسياسة الخارجية للرئيس!.

- الاصرار على حق الاضراب.

- برنامج انتخابات مجلس الشعب (أكتوبر ١٩٧٦) والذى كان فى جوهره.

- برنامج حزب مستقل يطرح نفسه من أجل الحكم.

وعبرت **فريدة النقاش** عن نفس الاتجاه قائلة:

لم تضع الورقة الخلفية الاجتماعية الاقتصادية التى قامت فى ظلها هذه التعددية المقيدة والقانون ٤٠ لسنة ١٩٧٧ .. مثل ترسانة القوانين المقيدة للحريات والمنحدرة من نظام ثورة ٢٣ يوليو، والتى ازدادت تعقيداً فى ظل السادات ، أو دور المؤسسات المالية التى طالبت بقدر من التعددية السياسية كضمان للمستثمرين تعالج **ظاهرة الليبرالية الاقتصادية والشمولية السياسية التى تميز الحكم فى مصر**،وكذلك الواقع الفعلى أو الشرعية الواقعية التى **تميزت بوجود قوتين أساسيتين نشطتين منذ الثلث الأول من هذا القرن «الاخوان المسلمين والشيوعيين»** رغم حجب الشرعية القانونية عنهما، ودورهما فى فرض حق تعدد الاحزاب.

لجنة منع الاحزاب

انتقل الحوار بعد ذلك وخلال الجلسة الأولى كاملة لموضوع القيود القانونية علي حرية تكوين الأحزاب.

وقد رصدت الدراسة بتفصيل دقيق القيود المفروضة على تأسيس الاحزاب، سواء من ناحية المطاعن الدستورية، أو الشروط الاجرائية لتأسيس الاحزاب، أو الدور السلبى للجنة شئون الاحزاب من حيث التشكيل والاختصاصات.

فمن الناحية الدستورية قبلت المحكمة الادارية العليا الطعن بعدم دستورية الفقرة الواردة فى المادة الرابعة من قانون الاحزاب والتى تشترط لتأسيس الحزب تميز برنامجه وأسياساته وأساليبه فى تحقيق هذا البرنامج تميزا ظاهرا عن الاحزاب الأخرى. ورغم أن المحكمة الدستورية العليا رفضت الطعن وأقرت بدستورية هذا الشرط، إلا أن الدراسة ترى أن **هذا الحكم «يظل قاصرا عن معالجة المشكلات العملية التى يثيرها تطبيق هذا الشرط والتى تؤدى فى نهاية المطاف إلى حرمان بعض المجموعات السياسية من حقها فى تكوين احزابها.. وإعمال هذا القيد يضرب مبدأ التعددية السياسية فى الصميم ويجعل المادة الخامسة من الدستور التى تقضى بأن يقوم النظام السياسى على أساس تعدد الأحزاب خاوية من أى مضمون. كما أن التمسك بهذا النص من شأنه أن يعاظم من الانشقاقات والانقسامات داخل الاحزاب».**

وتسجل الدراسة أن المحكمة الدستورية قضت بعدم دستورية الشرط الوارد فى القانون بأن « لا يكون من بين مؤسسى الحزب وقياداته من تقدم أدلة جدية على قيامه بالدعوة أو المشاركة فى الدعوة أو التحبيذ أو الترويج لمبادئ أو اتجاهات أو أعمال تتعارض مع المبادئ التى وافق عليها الشعب فى الاستفتاء على معاهدة السلام وإعادة تنظيم الدولة بتاريخ ٢٠ أبريل ١٩٧٩ (جلسة ٧ مايو ١٩٨٨)، كما قضت المحكمة بعدم دستورية العزل السياسى الوارد فى المادة الرابعة من قانون الاحزاب.

وترى الدراسة أن هناك **مغالاة فى الشروط الاجرائية لتكوين الأحزاب فى مصر طبقاً للقانون ٤٠ لسنة ١٩٧٧ وتعديلاته.** فقد أخضع القانون قيام الحزب لنظام الترخيص بدلا من نظام الإخطار، ورهن تمتع الحزب بالشخصية الاعتبارية على قرار لجنة شئون الأحزاب، وأضاف جهات رقابية أخرى عندما أعطى اللجنة حق الاستعانة برأى رئيس مجلس الشعب ومجلس الشورى والمدعى العام الاشتراكى قبل الغاء قانون حماية الجبهة الداخلية. بالاضافة لاستمرار القيد المتعلق بان يكون ٥٠٪ من الأعضاء المؤسسين للحزب من العمال والفلاحين بما يمثله ذلك من إخلال

«بمبادئ المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات» علاوة على أنه «يمثل نوعا من الوصاية على الأحزاب» ويتعارض مع نص المادة الخامسة من الدستور التى أخذت بمبدأ تعدد الأحزاب «بمايسمح لكافة فئات المجتمع أن تؤسس أحزابها».

وتختتم الدراسة هذا الجزء بالقاء الضوء على **تشكيل واختصاص لجنة شئون الاحزاب ، التى تمثل أخطر قيد على حرية التعددية الحزبية فى مصر، منتهية إلى أن «لجنة شئون الاحزاب بتشكيلها شبه الحكومى وبسيطرة الحزب الحاكم على آليات اصدار القرار فيها باتت تملك سلطات واسعة تتيح لها الحق فى إضفاء المشروعية أو حجبها عن الاحزاب تحت التأسيس ، فضلا عن حقها فى طلب حل أى حزب، وسلطاتها الواسعة فى وقف اصدار صحفه أو نشاطه أو قراراته.** وبعد أن كانت اللجنة مقيدة باللجوء إلى القضاء لاستصدار مثل هذه القرارات فقد أصبح من حقها اتخاذ قرارات الوقف وبات على قيادات الحزب وأعضائه المتضررين أن يلجأوا للقضاء».

وتشير الدراسة إلى أن الطعن على قرارات لجنة الأحزاب ، بعد أن كان مقرراً أمام محكمة القضاء الادارى، إلا أن تعديل قانون الأحزاب بالقرار بقانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٧٩، قد أفضى إلى حرمان الاحزاب من المثول أمام القاضى الطبيعى(مجلس الدولة) الذى استبدل بمحكمة تشكلت هيئتها بصورة استثنائية تجمع بين عناصر قضائية وأخرى غير قضائية، وحرمانها من استئناف القرارات التى تصدرها المحكمة.

الدستور .. وترسانة القوانين

وأثارت المناقشات عديداً من الملاحظات الهامة:

** فالمهندس **أبو العلا ماضى** قال: إن القيود الدستورية والقانونية ليست هى الاساس، ولكن جوهر المشكلة فى نظام الانتخابات. فالبرلمان هو الذى يملك اصدار وتعديل القوانين، وأيضا يعدل الدستور. **ومن هنا فلو أن هناك انتخابات حرة وبرلماناً حقيقياً يعبر عن الشعب لما كان هناك مشكلة** وهاجس الحكم الحقيقى هو الانتخابات الحرة. ورغم أهمية موضوع **«الرقم القومى»** للدولة من نواحى أمنية وضرائبية فانه يحرص على تأجيله حتى لا يتم ضبط جداول القيد.

وأضاف أن **التسلط مرض**



حسين عبد الرازق يتحدث وعادل عيد وسعيد الجمل يتابعان

حسين عبد الرازق

أمين اللجنة السياسية بحزب التجمع:

من حق كل حزب أن يختار مرجعيته وأيديولوجيته ومن الخطأ فرض مرجعية ايديولوجية دينية أو مدنية على الدولة والمجتمع

مجتمعى.صحيح أن السلطة أكثر عنفا وغشومية ، لكن منهج التسلط موجود فى البيت والمدرسة والاحزاب جميعا.

** **عبد الغفار شكر** قال أنه يستحيل معالجة هذه القضية فى اطار قانونى فقط، وإنما فى إطار مجتمعى اقتصادى اجتماعى. فالديمقراطية كما استقرت فى العالم الرأسمالى، تبلورت فى **سيادة القانون والتعددية -والحريات والحقوق المدنية والسياسية- تبادل السلطة** .. واستقرت هذه الأسس فى ظل صراع طويل تجنبا لحرب أهلية.

فى مصر التعددية بدأت من أعلى فى ظل **بحث السادات عن شرعية جديدة** . لم يكن مقتنعا بالتحول إلى النظام الديمقراطى.وفى رسالة للباحثه«**ايمان حسن**» عن التعددية المقيدة، اشارت إلى أن نظم التعددية المقيدة فى العالم الثالث تقوم على ثلاثة أسس .. **تبدأ من أعلى- التدرجيه- هيمنة السلطة التنفيذية على الحياة السياسية** أى أن جوهرها حزب مهيمن يحتكر السلطة ، إلى جوار أحزاب صغيرة لا يسمح لها بالتطور لتنافس

الحزب الحاكم. ويصبح طبيعيا أن ترد القيود.. «نظام انتخابى مشوه.. تجريم للنشاط السياسى الجماهيرى» المثير أن **التدرج فى مصر يتم عكسيا** . فالقانون يستخدم لاحكام الحصار ومنع أى تطور ايجابى للأحزاب.

** **ناصر أمين** لفت النظر إلى أن النصوص الواردة فى المواثيق الدولية والتى وقعت عليها مصر يضع الحكم فى أزمة ، فهذه النصوص تصبح جزءا من القانون الداخلى. ويحدد ثلاثة أنواع من القيود..

-**قيود اذعانيه**. تتمثل فى شرط عدم تعارض مبادئ الحزب مع الشريعة الاسلامية ، وشرط الالتزام بالاشتراكية و.. و.. فمن نتيجة هذه الشروط استحالة قيام حزب علمانى أو مسيحى.

-**قيد تحكمى** ينعكس فى شرط تميز برنامج أى حزب جديد عن برامج الأحزاب القائمة. فهذا الشرط فضفاض يعطى الحرية المطلقة للجنة الأحزاب لتقرر ما تشاء.

-**قيود الأمن القومى** ممثلة فى منع التشكيلات العسكرية ، وأن لا يكون الحزب

فرعا لحزب آخر، وعلانية مبادئ وأهداف الحزب. ورغم أهمية بعض هذه القيود، إلا أننى لا أوافق على الشرط الخاص بأن لا يكون الحزب فرعا لحزب آخر.

** **صلاح عدلى** قال : إن غياب مقومات المجتمع الديمقراطى فى مصر يشكل أحد الأسباب المانعة لوجود تعددية حزبية حقيقية. وقال إن مصر من أوائل الدول التى مارست الديمقراطية منذ الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ **وأثبتت الجماهير دائما انحيازها فى كل انتخابات حرة للحزب الشعبى المنحاز لقضايا الوطن والناس** ،ولكن هذه المسيرة ووجهت بقمع من القصر والاحتلال وأحزاب الاقليات. وسادت ثقافة سياسية معادية للديمقراطية. بل ساهمت قوى وطنية- للأسف- فى هذه الثقافة،**فالشيوعيون تعرضوا للقمع من الوفد (سعد زغلول) ومن الثورة ومن السادات.**

ومع ذلك فهناك وعى ديمقراطى كامن فى الشعب المصرى، عبر عن نفسه بوضوح فى كثير من الاحداث ومنها، **أحداث تمرد الأمن المركزى عام ١٩٨٦.** ففى ظل غياب كامل للسلطة حمت الجماهير بوعيها الوطن كله.

** **عادل عيد** تحفظ على عنوان الندوة نظام الحزب الواحد فى قالب تعددى. وقال لا أوافق على أننا نعيش حكم الحزب الواحد.**فالذى يحكمنا ليس حزبا بالمفهوم الصحيح للحزب، ولكنه تنظيم تتخفى وراءه السلطة التنفيذية** . والخطأ فى عنوان الندوة جرنا إلى مأزق الحديث عن التعددية الحزبية وعن تداول السلطة.

كذلك فالباحث لم يتناول فى دراسته الوثيقة الأساسية التى تحدد معالم نظام الحكم فى البلاد- وأعنى بها **الدستور** -وهو القانون الأعلى أو «أبو القوانين» التى لا ينبغى لها أن تخرج عن إطاره أو تخالف شيئا من أحكامه- بل إن قانون الأحزاب نفسه- رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧-الذى تركزت عليه الدراسة وتناولته بالكثير من النقد، لا يعدو أن يكون أحد القوانين المكملة للدستور، وبعبارة أخرى فان هذا القانون ملتزم بروح الدستور الذى صدر فى ظله **فهذا الدستور -إذن- هو أساس الداء، إذ أنه يكرس الشمولية ويهمش دورالمؤسسات -ويجعلها فى الواقع مجرد أجهزة معاونة للمؤسسة**

المستشار سعيد الجمل

عضو الهيئة العليا لحزب الوفد

مطلوب ديمقراطية حقيقية دون أن تلبس ثوبا إسلاميا أو مسيحيا

الكبرى صاحبة الهيمنة المطلقة والكلمة الأولى والأخيرة فى مقدرات البلاد، ونعنى بها مؤسسة الرئاسة، ومنصب الرئيس فالدستور يسمح بأن يظل شاغله ، مددا متتالية بغير حد أقصى- أى مدى الحياة-وبأن يجمع فى يديه سلطات غير محدوده -ودون أن يرسم- فى المقابل-أى طريق لمساءلته أو حسابه.

ومثل هذا الدستور الذى صدر فى عهد التنظيم السياسى الواحد المسمى بالاتحاد الاشتراكى- الذى لم يكن يعرف أو يتصور فكرة تداول السلطة-لا يصلح بطبيعة الحال لأداء دوره فى صياغة نظام الحكم بعد الأخذ بنظام التعددية الحزبية التى تقوم-على الأقل من الناحية النظرية و المنطقية-على فكرة التداول، لذلك فان **الاصلاح السياسى الجاد بهدف الوصول إلى التعددية الحزبية الحقيقية لابد وأن يقوم أساسا على تعديل الدستور.. ومن هنا نبدأ.**

وإذا كنا نرى ضرورة البدء بالدستور باعتباره حجر الزاوية فى النظام القائم الذى يرفض بطبيعته مبدأ المشاركة أو تداول السلطة- فاننا لا نغفل أن هناك عديدا من القوانين- غير قانون الأحزاب-تواكب الشمولية المقررة بالدستور،وعلى رأسها **قانون مباشرة الحقوق السياسية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦** الذى صدر فى ظل التنظيم السياسى الواحد- وكان وقتها الاتحاد القومى -والذى يجعل العملية الانتخابية- سواء لانتخابات مجلس الشعب أو مجلس الشورى، أم للاستفتاء على رئاسة الجمهورية، **تحت هيمنة وسيطرة وزارة الداخلية بأجهزتها المتمرسة على العبث وتزوير ارادة الناخبين** ، بدءا من القيد فى الجداول واستخراج البطاقات الانتخابية ثم تحديد الدوائر الانتخابية وتعيين مقار اللجان واختيار رؤساء وأعضاء اللجان المشرفة على الانتخابات واللجنة العامة المنوط بها الفرز وحتى إعلان النتيجة- فهذا كله فى يد وزارة الداخلية، وإن كانت- ذرا للرماد فى العيون- تستعين ببعض رجال الهيئات القضائية- ممن يقع عليهم اختيارها !؟- لرئاسة اللجان العامة دون أن يكون متاحا لهم أن يقوموا بأى دور فعلى لصون العملية الانتخابية من العبث والتلاعب. **فهذا القانون فى الواقع هو الآلية التى تضمن لرئيس الجمهورية وللحزب الحاكم استمرار البقاء فى السلطة.**

وفى إيجاز فان هناك منظومة من القوانين التى تكبل التعبير عن الرأى وتحول دون الممارسة الحزبية الجادة الصحيحة التى لا تستطيع الأحزاب- بدونها- أن تؤدى دورها أو أن يكون لها وجود مؤثر فى الحياة السياسية، نذكر منها على سبيل المثال قانونين هامين:

الأول وهو **قانون الأحكام العسكرية.**

والثانى **قانون حماية القيم من العيب رقم ١٠٥ لسنة ١٩٨٠** بنصوصه الفضفاضة التى يمكن أن تتسع للبطش بأى مواطن وتقديمه لمحكمة القيم التى تحاكمه محاكمة سياسية تنتهى بتوقيع عقوبة سياسية هى الحرمان من مباشرة حقوقه السياسية.

وكما قلت فهناك سلسلة أخرى من هذه القوانين مثل قانون السجون، قانون المرافعات، قانون العقوبات ، قانون المحكمة الدستورية، قانون العمد، قانون العمداء، والتطبيق العملى دائما أسوأ من النصوص.

الدولة الدينية.. والديمقراطية

وتوقفت المناقشات طويلا- خلال هذا المحور- عند قضية هامة خلافية فجرها **صلاح عدلى** ،وهى قضية الحزب الدينى والدولة الدينية والمجتمع المدنى.

قال **صلاح عدلى** تعليقا على القيود الواردة فى قانون الاحزاب ، إنه يوافق على القيد الخاص بحظر قيام أحزاب لها تنظيمات

عسكرية أو شبه عسكرية ولكنه معترض على استخدام كلمة العنف.. و«إلا فاننا نسمح فى ظل تعريف معنى كلمة العنف لامتداد هذا الحظر إلى الاضراب والعصيان المدنى باعتبارهما عنفا، رغم أنهما من الاساليب الديمقراطية المعروفة للاحتجاج».
وأضاف صلاح عدلى .. «**إنه يستحيل الموافقة على قيام أحزاب دينية**».
لقد كان الشيوعيون دائما يطالبون بشرعية قيام حزب شيوعى وحزب للاخوان المسلمين ولكن فى ضوء التجربة فان قيام حزب يستند إلى الدين كايديولوجية -وهى تختلف عن أى أيديولوجية أخرى- وفى ظل وجود مصريين يدينون بالمسيحية، ويدعو لتطبيق الشريعة الاسلامية وهى أمر خلافى بين المسلمين. أمر لا يجب السماح به حفاظا على الديمقراطية».
وطالب **صلاح عدلى** بالتفرقة بين شيئين.. قيام أحزاب تستند إلى مرجعية خاصة بها أيا كانت.. على أن تقبل جميع الاحزاب بمرجعيته عامة وهى الدستور. وأن يكون هذا القبول بالقول والفعل.
«فمرجعية كل حزب، «دينى -ماركسى- ليبرالى..» أمر يخصه ، أما مرجعية الدولة فشئ مختلف» وأشار **صلاح عدلى إلى الجهود التى بذلت لصياغة ميثاق الوفاق الوطنى واستمرت أكثر من عام ونصف ثم توقفت أمام إصرار «الاخوان المسلمون» على ضرورة ان تكون مرجعية الجميع ومرجعية الدولة هو الدين الاسلامى.»** كذلك فممارسة الاحزاب الدينية التى وصلت إلى الحكم كانت سلبية سواء فى ايران أو باكستان أو افغانستان أو السودان».
واعترض **سعيد عبد الحافظ** على فرض الحظر على قيام الاحزاب الدينية .وقال أنه طالما تم الاتفاق على الاعتراف بالآخر فلا يجوز منع قيام الاحزاب الدينية.
وقال **مجدى قرقر** ..«**نرفض قيام الاحزاب على اساس دينى اذا كان ذلك يعنى التفرقة بين أبناء الأمة ، أو يسعى لقيام دولة ثيوقراطية يكون الحكم فيها لرجال الدين. أما أن يكون الدين- الاسلام- مرجعية للدولة والمجتمع فهذا لا يمس أى حق ديمقراطى».**
المستشار **سعيد الجمل** قال «إن مصطلح الدولة الدينية يحتاج إلى شرح. فالظاهر أن هناك حكومة دينية فى ايران. فطبقة الفقهاء والملالى هم الذين يحكمون. اذا انتقلنا إلى مجتمعنا وبنظرة عميقة لثقافته ، فسنجد أن هناك ثقافة دينية اسلامية تحديداً، وأخرى تخرج الدين تماما من العملية السياسية،وتعبر عن كل منهما مدرسة متميزة. ولا أستطيع أن أقف ضد أى من المدرستين . فالدعوة للفكر الاسلامى لا تعنى حكومة دينية.**المطلوب حقيقة أن تقوم فى مصر ديمقراطية حقيقية دون أن تلبس ثوبا اسلاميا أو مسيحيا ، لا على أساس عرقى ولا دينى- بالمعنى العقائدى -ولا طبقى. لا يقبل أن يحكم الدين فى قضايا سياسية.** فى مصر هناك ايدلوجيتان قويتان، الايديولوجية الاسلامية والايديولوجية الشيوعية. ونقطة الاتفاق يجب أن تكون اطلاق الحريات كافة، وليست على أساس دينى أو ماركسى.
وقال **حسين عبد الرازق**: يبدو لى أن هناك اتفاقا على رفض الدولة الدينية، بمعنى حكم رجال الدين. كذلك رفض قيام أحزاب دينية بمعنى أن تكون عضويتها قاصرة على المنتمين إلى دين معين دون المنتمين إلى الاديان الأخرى. وهذا الاتفاق فى حد ذاته خطوة هامة.
ومن وجهة نظرى يجب أن نفرق بين شروط قيام الاحزاب ، ووضع الدولة والمجتمع.
بالنسبة للاحزاب السياسية **فمن حق أى حزب أن يختار أيديولوجيته ومرجعيته أيا كانت هذه الايديولوجية دينية أو علمانية وماركسية أو ليبرالية أو قومية.. الخ.**
أما الدولة فمن الخطر ومن الخطأ فرض مرجعية ايديولوجية عليها، سواء كانت دينية أو دنيوية فلو قبلنا بأن يكون للدولة مرجعية ايديولوجية تكون بذلك قد أعلنا رفضنا للديمقراطية وتداول السلطة. فعندما يفوز حزب «اسلامى» باغلبية تمكنه من تعديل الدستور- والقوانين الاساسية بالتالى- فلا شك أنه سيجعل مرجعية الدولة والدستور -والقوانين هو تفسيره ورؤيته للإسلام والشريعة. فاذا أتى بعد حزب «إسلامى» آخر فسيغير كل شئ باعتبار أن الحزب الاسلامى السابق خرج من الاسلام. واذا وصل للحكم حزب ليبرالى، فسيفرض على المجتمع والدستور ايديولوجيته ويقلب كل شئ رأسا على عقب. ونفس الشئ اذا وصل للحكم حزب شيوعى فسيفرض الماركسية (اللينينية) على المجتمع. وبالاضافة إلى الانقلابات التى ستصيب المجتمع فى مقتل، **فهناك دائما خطر الانقلاب على الديمقراطية ذاتها بحجة المرجعية والخروج عنها.**
إن جوهر القبول بحق كل حزب فى اختيار مرجعيته وأيديولوجيته ، هو القبول بأن الدستور هو المرجعية الوحيدة للدولة وليست أى ايديولوجية دينية أو دنيوية».
المهندس **أبو العلا ماضى** قال إنه يخشى أن اثارة موضوع الاحزاب الدينية يتم

فريدة النقاش

رئيس تحرير مجلة أدب

الليبرالية الاقتصادية والشمولية السياسية ظاهرة تميز الحكم فى مصر



فريدة النقاش تعرض وجهة نظرها وأبو العلا ماضى يبتسم



عبد الغفار شكر

أمين التثقيف بحزب التجمع

يستحيل معالجة قضية الأحزاب بعيداً عن الإطار الاقتصادى والاجتماعى

التدرج فى التطور الديمقراطى فى مصر.. يتم عكسياً

مجدى قرقر

الأمين المساعد لحزب العمل

نرفض قيام الأحزاب على أساس ديـــنى

إذا كان ذلك يعنى التفرقة بين أبناء الأمة

من موقف أقرب ما يكون إلى فكر الوصاية والتسلط والحجر على المشروع الاسلامى، ويبدو منه نفس الاقصاء. وأضاف«**ان تاريخ الاسلاميين أصبح ضحية لموقفين. موقف ابنائه الذين لا يرون فى التاريخ الاسلامى أى خطأ. وموقف خصومه الذين لا يرون فى هذا التاريخ أية ميزة!.**

ونحتاج جميعا إلى فهم واتفاق حول مواضيع الدولة الدينية والمرجعية والحزب الدينى والثوابت.

الجميع يرفض الدولة الدينية بمعنى حكم رجال الدين.

بالنسبة للمرجعية فمن يملك الحق أن يقول هذا مسموح به وذاك غير مسموح ، حتى استنادا إلى المرجعية الدينية.

والمرجعية أمر يختلف عن الثوابت. الشعب المصرى شعب متدين. ونحن فى حزب الوسط مثلا نطرح مفهوما بشريا للاسلام. ونحترم ثوابت الشعب المصرى. ومرجعيتنا كحزب الاسلام بالمفهوم الواسع. ونحن نوافق مثلا على قيام حزب شيوعى أو أى حزب آخر حتى ولو كان يرفض الإسلام، **ولكن لا نقبل باسم الديمقراطية الطعن فى الإسلام أو فى ثوابت الشعب المصرى.** نحن مع تداول حقيقى للسلطة. ودولة تلتزم بالقوانين التى يصدرها مجلس الشعب ،ويختار الشعب الحزب الذى يريده أيا كانت مرجعيته.

وهناك خوف لدى البعض من ديمقراطية المرة الواحدة. حزب يصل إلى الحكم بالديمقراطية وينقلب عليها. وليس هناك حل لهذه المشكلة الا بوجود أحزاب قوية حتى لا يحتكر أحد السلطة. وهذا الأمر لا يخص قوة بعينها ولكنه ينطبق على جميع القوى فى الساحة السياسية».

وختمت **فريدة النقاش** الحوار الإيجابى حول هذه القضية قائلة: «المشاكل والصراعات والخصومات هى مع القيادات الاسلامية وليست مع الاسلام. وأظن أنه من الخطأ الشديد أن نفرض على المجتمع والدولة مرجعية واحدة حتى ولو كانت المرجعية الاسلامية. **والدعوة للالتزام بمواثيق حقوق الانسان الدولية تأخذ فى الاعتبار أن هذه المواثيق لا تستند إلى مرجعية أو ايديولوجية واحدة ، بل هى فى الواقع خلاصة للتراث الانسانى بما فى ذلك الثقافة الاسلامية والمسيحية.** وتوسيع المرجعية ليس انتقاصا أو هجوما على الاسلام. وأقترح على مركز المساعدة تخصيص حلقة بحث حول الخصوصية القومية وعلاقتها بالمرجعية العالمية لمواثيق حقوق الانسان وحقوق المرأة بالذات».

وبانتهاء مناقشة القيود القانونية على حرية تكوين الاحزاب، انتقل الحوار إلى الجزء الآخر الخاص بأداء الأحزاب السياسية والتوصيات والاقتراحات.. وهو ما سنعرضه فى العدد القادم.

عماليات

طالعنا "**بريد الأهرام**" فى ١٤ أكتوبر الماضى برسالة بعنوان "**بدون عودة**" جاء فيها : " أنتم مفصولون .. هكذا فاجأنا السيد مدير شركة ".." الأمريكية العاملة فى مجال خدمات البترول عندما توجهنا إليه نحن العمال الأربعة بالشركة ، وأعضاء اللجنة النقابية بها ، لاعتماد أوراق ترشيحنا للدورة النقابية الجديدة ، والغريب أن السيد المدير سلمنا قرارات الفصل على الرغم من أننا نعمل بالشركة منذ عشرين عاما ولم نعرض على لجنة ثلاثية لاتخاذ هذه القرارات ، فضلا عن أن الملفات الخاصة بنا ليس بها إنذار واحد لأى منا . تدخل السيد **أحمد العماوى** وزير القوى العاملة والهجرة طالبا إلغاء قرارات الفصل وسرعة تسليمنا شهادات تثبت عملنا بالشركة لتقديمها فى أوراق ترشيحنا للانتخابات النقابية لكن جهوده لم تسفر عن عودتنا لأعمالنا بكل أسف . نلتمس من الدكتور **حمدى البنبى** وزير البترول اصدار أوامره بوقف قرارات الفصل وعودتنا إلى أعمالنا ".

وحدة الإرادة هى سلاح العمال الأكيد فى مواجهة :

الخصخصة والمستثمر الأجنبى

ياعمـــــال مصر .. اتحدوا

محمد جمال إمام

وفى رأينا أن هذه الرسالة **مؤلمة ومهينة فى حق التنظيم النقابى المصرى وفى حق وزير القوى العاملة والهجرة ورئيس الاتحاد العام لنقابات العمال سابقاً**. غير أنها قد تكون جرس إنذار عله يعمل على افاقة القيادات النقابية التى سايرت مصالحها الخاصة فأيدت بكل قوة برنامج الحكومة فى خصخصة منشآت القطاع العام " **سداح مداح!**"

ووجه الإهانة هنا ، فى المقام الأول ، أن يفشل وزير القوى العاملة ، بكل ما لمنصب الوزير فى مصر من " هيلمان" فى نصرة أربعة نقابيين واضح من كلامهم ، إن كان ماذكروه هو الحقيقة كلها ، أنهم فصلوا من عملهم فى هذه الشركة الأمريكية ، التى أمضوا فى خدمتها نحو عشرين عاما لم يصدر فى حقهم خلالها انذار واحد ، بدون أن يرتكبوا مخالفة للوائح العمل تبرر فصلهم ، بل وأنهم فصلوا بالمخالفة لقوانين العمل السارية ، وكل جريرتهم أن إدارة الشركة الأمريكية ، وهى من واقع الرسالة **شركة للخدمات البترولية** وليست شركة تنقيب واستخراج بترولى عملاقة ، أرادت ، فيما يبدو ، أن تعطى للقيادات النقابية فى شركتها درسا من أجل المستقبل

أما الوجه الحقيقى للإهانة فهو أن تتقدم قيادات نقابية بالتماس على صفحات الجرائد إلى وزير البترول ، بعد أن فشل مسعى الوزير المسئول عن نصرة العمل النقابى ، لكى يعيدها الى عملها ويساعدها فى الحصول على الأوراق التى تمكنها من إعادة ترشيح نفسها فى الانتخابات النقابية . **والعمل النقابى الأصيل لايعرف كلمة " نلتمس" لأنه فى الأصل عمل نضالى يقوم على التصدى بكافة وسائل المواجهة السلمية من تفاوض وتحكيم واضراب** ،لأى محاولة من جانب سلطات الإدارة الخاصة والعامة والحكومية ، للتعدى على مصالح العمال وحقوقهم المشروعة . فما بالك والأمر يتعلق بالتعدى على حقوق قيادات نقابية ؟ ولو أن هذه القيادات النقابية تعرف مسئولياتها والتزاماتها وحقوقها، لما سمحت لنفسها باستخدام هذه الكلمة علانية على صفحات الجرائد ، وفى ذلك اعتراف منها بعجزها وعجز الأجهزة المنوط بها حمايتها ! ولو أنها كانت قيادات حقيقية تقود جماهيرها العمالية فعليا لما استطاعت الإدارة أن تواصل قهرها لها ولكان بمقدورها أن تحرك هذه الجماهير لمؤازرتها بدلا من التوسل إلى وزير البترول والتماس نصرته!





أحمد العماوى



حمدى البنبى

وحدة الإرادة العمالية لاتتعارض مع الدعوة إلى التعددية النقابية

ولقد حدث هذا الاجتراء المشين كما أشرنا من شركة للخدمات البترولية لانعتقد أن لها ثقلا اقتصاديا كبيرا ، فما بالنا ونحن مقدمون على مرحلة جديدة من الإتفاقات **مع صندوق النقد الدولى** يقال أنها تتضمن إصلاحات قانونية تدعم التغييرات الاقتصادية المتتالية والتوجه المتزايد نحو اقتصاد السوق . ولاشك أن ذلك سيشمل سرعة استصدار **قانون العمل الجديد** الذى أجمعت معظم الدوائر العمالية على فساده وخطورته على مصالح الطبقة العاملة . فضلا عن أن هذه المرحلة تتضمن الإسراع فى خصخصة جزء كبير مما تبقى من القطاع العام الصناعى والتجارى والمالى ، ومن بينه **وحدات انتاجية كبيرة** سبق لأعلى المراجع فى البلاد أن أكدت أن الخصخصة لن تطولها فضلا عما يقال عن **البيع " لمستثمر رئيسى"**، والذى قد يكون فى أغلب الأحوال مما يسمى **بالشركات العابرة للقومية** ،أو ماكان يسمى فيما مضى بالشركات المتعددة الجنسية .

ولكى ندرك تماما مدى شره تلك الشركات الى اكتساب مواقع راسخة لها فى بلادنا ، نشير فى عجالة إلى قضية تشغل فى الوقت الحالى جانبا كبيرا من اهتمام الحركة العمالية فى الولايات المتحدة ، حيث تشهد انتقال صناعات هامة ، خاصة فى مجال الصناعات الخفيفة التى لاتحتاج الى مهارات تكنولوجية عالية ، الى بلدان العالم الثالث سعيا وراء الوفورات التى يتيحها رخص الأيدى العاملة فى تلك البلدان ، ومايتبع ذلك من فقدان لفرص العمالة فى الولايات المتحدة ذاتها ، فضلا عن إعادة تصدير منتجات تلك الصناعات الهاربة الى الولايات المتحدة بما فى ذلك من مزاحمة للمنتجات الوطنية ، وتحاول الحركة النقابية الأمريكية أن تكتسب إلى جانبها تأييد وسائل الإعلام الأمريكية باستغلال قضية حقوق الانسان . وكيف أن هذه الشركات تستغل العمال فى بلدان العالم النامى بتشغيلهم بأجور متدنية ، بالمقارنة مع أجور العمال فى الولايات المتحدة نفسها ، وفى ظروف عمل قاسية ، بالمقارنة أيضا مع ظروف تشغيل العمال الأمريكيين .

ومن مثال ذلك مانشرته مؤخرا صحيفة " **واشنطون بوست"** الأمريكية عن قيام شركة **"نايكى"**المشهورة لتصنيع الملابس الرياضية بانشاء مصنع كبير فى إحدى المدن الأندونيسية تستخدم فيه نحو ١٨٠٠٠ عامل أندونيسى ، معظمهم من النساء ، مقابل أجر يقل عن ثلاث دولارات فى اليوم للعامل الواحد فى المتوسط وبينما لايمكن أن يقبل أى عامل أمريكى مثل هذا الأجر ، فانه يعتبر بالنسبة للعمال الإندونيسيين غير المهرة الذين استخدمهم المصنع أجرا مغريا للغاية يستطيعون من خلاله أن يعولوا أنفسهم وأسرهم بما فى ذلك اباءهم وأخوتهم . وبينما يتظاهر ممثلو الحركة النقابية الأمريكية الذين زاروا هذا المصنع بصحبة بعض رجال الإعلام الأمريكيين بأنهم يدافعون عن حقوق العمال المهضومة ، فان العمال الإندونيسيين المعينين سعداء بما يحصلون عليه ويتمنون دوامه .**وتخيل معى مصنعا مماثلا يعرض فى مصر أجرا شهريا يبلغ ثلاثمائة جنيه ، ألن يتدافع الألوف من خريجى الجامعة المتعطلين عن العمل للفوز بفرصة للعمل فى مثل هذا المصنع . حتى ولو كان عملهم يتمثل فى لصق نعل الأحذية الكاوتشوكية؟ ومهما كانت قسوة ظروف العمل فى مثل هذه المنشآت** (راجع فى هذا الشأن الموضوع الذى نشرته " اليسار" فى عدد شهر أكتوبر للأستاذة **فاطمة فرج** بعنوان " المستثمرون يفضلون المرأة ") ، ففى ظروف البطالة وندرة فرص العمل ، وترسانة القوانين واللوائح التى ستنشأ لحماية " الإستغلال " الاستثمارى واقتصاد السوق ، فستجد تلك المصانع وفرة من الأيدى العاملة الرخيصة تدعم بها أرباحها وتستغنى بها عن العمالة المرتفعة التكلفة فى البلدان المتقدمة.

وإذا كان وزير القوى العاملة قد عجز عن حماية أربعة نقابيين فى مواجهة ادارة متعسفة فى شركة أمريكية للخدمات البترولية ، فمن سيحمى القوى العاملة فى منشآت مثل شركة **" نايكى" أو الملاك الجدد لعمر أفندى وصيدناوى؟** فى رأينا أن مامن قوة تستطيع أن توفر تلك الحماية فى مثل هذه الظروف سوى **" وحدة الطبقة العاملة"** . ولو أننا نادينا عمال مصر قائلين **"ياعمال مصر اتحدوا"** لربما استلقى بعض القراء على ظهورهم من شدة الضحك ، أو اكتفى البعض الآخر منهم بمجرد ابتسامة مستهزئة ، بعد أن انتهكت وسائل الإعلام والكتاب المرتزقة ، فى الداخل والخارج ، نبل مثل هذه العبارت النضالية بالسخرية والاستهزاء عقب هزيمة المنظومة الاشتراكية ، من أجل تجريد الجماهير الكادحة المناضلة من الأفكار التى تعينها على مواجهة المد الإستغلالى الكاسح . غير أننا لانزال فى حقيقة الأمر فى حاجة إلى توجيه هذا النداء تكرارا ومرارا استنهاضا للهمم واستنفارا لجهود الطبقة العاملة لحماية حقوقها ومصالحها.

ولايحسبن أحد أننا نتوجه بهذا النداء الى العمال اليدويين أو أصحاب المؤهلات الفنية والمتوسطة فحسب .لا ، إننا نتوجه به إلى **كل صاحب أجر ليس له من مورد غيره لإعالة**

نفسه وإعالة أسرته ، ومن بينهم خريجو **الجامعات وأصحاب الوظائف المكتبية والمهنية المرموقة** فاقتصاد السوق لايفرق بين أجير وآخر حسب مؤهله ، فالجميع عنده أجراء لايفرقهم عنده الا قدر احتياجه إلى أحدهم ، والمسألة الحاكمة عنده هى الربحية ومردودية التكاليف . وفضلا عن ذلك فان قوانين العمل ولوائحة فى ظل اقتصاد السوق لاتتعلق بنوعية الوظيفة أو مؤهل شاغلها ، بقدر ماتحكم مجموع العاملين فى المنشأة بوصفهم أجراء لدى صاحب العمل . وعندما تواجه بعض الشركات أزمات مالية فى بلدان اقتصاد السوق ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة ، فان أول من تستغنى عنهم هم أصحاب المرتبات العالية والمؤهلات العالية من بين الأجراء لديها . وعادة ماتكون حجتها فى ذلك أن مؤهلاتهم العلمية أعلى مما تحتاج إليه الوظيفة التى يشغلونها . فان لم يكن أولئك ملتحمين بالحركة النقابية أشد الالتحام فلن يجدوا من يدافع عنهم ، لاوزير ولاغفير ، وقد يكون من المهم لهم ، ومعظمهم يزهو بمعرفته بلغة أجنبية ويتيه غراما بنماذج اقتصاد السوق فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، أن يتبعوا الأخبار الاقتصادية لتلك البلدان حتى يأخذوا حذرهم مما يحدث لنظرائهم فى تلك البلدان .

وبالإضافة إلى ذلك ، فاننا نذكر هؤلاء المترفعين عن الإنضواء الى صفوف الحركة العمالية جنبا إلى جنب مع عديمي المؤهلات أو أصحاب المؤهلات المتوسطة ودون المتوسطة ، بما حدث قبل عشر سنوات **عندما أضرب طيارو شركة مصر للطيران للمطالبة ببعض حقوقهم المشروعة . لكنهم عجزوا عن الاستمرار فى اضرابهم حتى تتحقق مطالبهم بالكامل ، نتيجة للجوء الشركة حينئذ إلى مايعرف فى الأدبيات العمالية بمحطمى الإضرابات. فقد كانت الجهة التى دعت الى ذلك الإضراب رابطة للطيارين ليس لها ارتباط عضوى بالحركة النقابية العمالية ، ومن ثم لم تسع إلى التنسيق المسبق مع المنظمات النقابية لباقى فئات العاملين فى مجال النقل الجوى من خدمات أرضية وملاحية وفنية،** وما إلى ذلك كى تكفل تضامنها مع حركتها ، فلما قررت ادارة الشركة أن تواجه الإضراب باستئجار طائرت بطياريها من شركات أخرى ، لم تجد صعوبة فى المضى قدما فى مخططها حيث لم ترفض بقية فئات العمالة فى هذا المجال ، نتيجة لغياب التنسيق المسبق ، التعاون مع أطقم

هذا نداء إلى كل صاحب أجر.. فاقتصاد السوق لايفرق بين أجير وآخر حسب مؤهلة .. فالجميع عنده اجراء

تلك الطائرت المستأجرة ، وهو ماأجهض الإضراب بالفعل.

والوحدة التى ندعو إليها فى الأساس **هى وحدة الإرادة العمالية ،**حتى لايقول أحد أننا نتناقض مع أنفسنا ومع ماندعو اليه من التعددية النقابية . فهذه التعددية كما سبق وأن أشرنا فى مرات عديدة فيها إثراء للعمل النقابى وضمان لفاعليته وحماية له من الإنضواء تحت سيطرة جهة ما من خارج الطبقة العاملة . ولكن عندما يتعلق الأمر بمصلحة مشتركة لجموع العاملين فى منشأة ما أو مهنة ما أو على الصعيد القومى فان التنسيق ووحدة الإرادة يصبحان ضرورة لايزيغ عنها سوى القيادات النقابية المزيفة ، وهو الأمر الذى نشهدهُ فى كثير من البلدان التى تأخذ بالتعددية النقابية حيث نجدها تشارك فى الكثير من الأعمال النقابية الموحدة مثل الإضرابات العمالية المشتركة ، عندما يتعلق الأمر بمصالح مشتركة مثل مواجهة سياسة تقشف اقتصادى حكومية تعتمد أساسا على الإنتقاص من الحقوق والمزايا العمالية.

وعلى كل . فاننا نقول ذلك وانتخابات الدورة النقابية الحالية توشك على الانتهاء والوضع النقابى الذى أفرزته سيظل قائما ، بحلوه ومره ، لخمس سنوات مقبلة ، والتعددية النقابية لاتزال حلما بعيد المدى ، ومن هنا تصبح وحدة الإرادة العمالية مسألة هامة بغض النظر عن موقف العمال من التنظيمات النقابية القائمة ، وربما يكون من المهم أن نذكر من يتشككون فى ذلك **بأن حركة عمال حلوان فى عام ١٩٦٨ ، أثر مايعرف بأحكام قضية قادة الطيران ، هى التى دفعت نظام الحكم الناصرى الى مراجعة توجهاته ،واصدار " الميثاق" وتشكيل تحالف قوى الشعب العاملة ، إلى آخره** ، وأن سلسلة الإضرابات التى هزت نظام حكم **السادات**والنظام الذى خلفه ، بدءا من اضراب **عمال الحديد والصلب** فى أوائل السبعينات ومرورا **بالانتفاضة العمالية فى عام ١٩٨٧ فى مواجهة قرارات الحكومة الاقتصادية واضراب سائقى قطارات السكك الحديدية ورفض عمال الحديد والصلب استقبال نافون رئيس جمهورية إسرائيل** ،ونماذج أخرى كثيرة مماثلة ، كانت كلها تحركات تمت بفعل وحدة الإرادة العمالية وبعيدا عن تدخل القيادات النقابية الرسمية.

وفضلا عن ذلك ، فاذا كان البعض ممن يدخلون إلى سوق العمل حديثا يتخوفون من الإنضمام إلى صفوف الحركة النقابية نأيا بأنفسهم عن صور الفساد المستشرية فى بعض صفوفها فى الوقت الحالى ، فان هذه الصور لن تنتهى من تلقاء نفسها ، بل ستزداد مع تضاؤل ماتواجهه من مقاومة ، ولن يضع حدا لها سوى دخول دماء جديدة واعية إلى صفوف الحركة النقابية تدرك أن لها مصلحة أكيدة فى وجود حركة عمالية قوية تنظم حركتها فى مواجه آليات السوق والصور الجديدة من النشاط الرأسمالى الذى لايمكن التصدى لها على الإطلاق بصورة فردية ، بل وقد يتطلب الأمر تنسيقا دوليا فى حالة الشركات العابرة القارات التى تشبه الحية ذات الرؤوس المتعددة.

ومجمل القول أن **"وحدة الإرادة"** أمر لامناص منه إذا ماأرادت الطبقة العاملة المصرية بكافة فئاتها وتصنيفاتها المهنية ، وبغض النظر عن أشكال العمل النقابى المتبعة وبما فى ذلك جانب مهم من عضوية النقابات المهنية القائمة ، أن تدافع عن منجزاتها ومكاسبها ، وعن حقوقها ومصالحها مستقبلا ، وعن نصيبها المشروع فى المشاركة فى رسم مسار هذه الأمة وذلك فى مواجهة مد متواصل لتغلغل نفوذ قوى مالية شديدة الشره والبأس ، تعتبر فى أغلب الأحوال تحالفاً لمصالح رأسمالية محلية وأجنبية ومسلحة بدعم هائل من " النظام العالمى الجديد " بكافة مؤسساته الدولية وماتفرضه على الدول المستضعفة من اتفاقيات ونظم تكبلها به إلى عجلة هذا النظام وسادته . وننصح الذى لاتطاوعه نفسه على المشاركة فى هذه الوحدة التى ندعو إليها باعادة قراءة **قصة الثيران الثلاثة فى كتاب " كليلة ودمنة" الشهير.**

د. أحمد محمد صالح

همــــوم

احترام العالم لنا.. بقدر احترام الدولة لمواطنيها

كرامة الوطن فى الخارج تبدأ من الداخــــل

سألت الشيخ عبد ربه التائه:

متى يصلح حال البلد؟ فأجاب : عندما يؤمن أهلها بأن عاقبة الجبن أوخم من عاقبة السلامة..

(نجيب محفوظ فى أصداء السيرة الذاتية).

وسط أحداث جسام من بلطجة أمريكية فى الخليج وضغط أمريكى على مصر وفتونة إسرائيلية بحماية أمريكية فى القدس، مرت عدة حوادث فى الداخل مرور الكرام لم يقف عندها الكثيرون وتعاملوا معها كحوادث عادية،ولكن دلالتها خطيرة وتعطى الإجابة عن السؤال الكبير **هل اسرائيل وأمريكا تستضعفان مصر لدرجة ما يحدث الآن من تراجع عن اتفاقيات السلام ومحاصرة مصر؟!**

الاجابة نجدها فى الحادثة التى وقعت فى نفس أسبوع الاحتفال بالعيد الوطنى للسعودية حيث انفجرت وسائل الاعلام المصرية بتحقيقات صحفية مدفوعة الآجر مثل إعلانات مساحيق الغسيل عن دور المملكة الاقليمى والعالمى،ومدى أزلية وعمق العلاقات بين الشعبين ،وقرأنا كلمات عاطفية للمسئولين هنا وهناك.وفى وسط تلك الزفة الكدابة والضحك على العقول حملت لنا الانباء أن مواطناً مصرياً بسيطاً يقال أنه وضع نفسه فى صندوق صاج خاص بالشحن هربا من الكفيل السعودى للعودة إلى وطنه،ومات مختنقا داخل الصندوق لأنه نسى أن يفتح فتحات للتهوية. كلام ساذج ومريب ويثير الشك ويذكرنا بحكاية الطفل المصرى ابن الطبيب الذى أدعت السعودية انه كان يحلم بالفاحشة. ثم تبين من التحقيقات كما نشرتها **الأهالى**(٢٥- ٩-٩٦) أن الشاب المصرى مات قبل أن تبحر العبارة بأسفكسيا الخنق،وطلبت أسرة القتيل فتح ملف القضية لوجود شبهة جنائية فى أن الكفيل السعودي قام بتعذيبه وقتله بسبب مطالبة المصرى بأجره وانهاء العمل واسترداد جواز سفره للعودة لمصر، وان وزير الخارجية المصرى ووزير الداخلية اعطيا تعليماتهما بالتحقيق فى الحادث؟!.

ومع الاعتراف بحق السعودية ان تتخذ ما تراه مناسبا داخل حدودها علي العمالة الأجنبية **بشرط عدم إهدار حقوقهم الانسانية التي كفلها لهم الإسلام والدساتير واعلان حقوق الانسان،** فلن نمل ان نكرر مرة ثانية وثالثة ان **نظام الكفيل هو أحد معطيات ثقافة العجرفة والعنجهية،**ويمثل أحد آليات السلطة هناك، وأصبح وسيلة للتكسب، حيث يمكن لأى مواطن عاطل هناك أن يستقدم عدداً من العمال ويحصل منهم ثمن تأشيرة الدخول، ويشترط عليهم أن يدفعوا له مبلغاً معيناً كل شهر حتى لا يلغى تأشيرتهم أو يضعهم فى السجن، وينطلق العمال يبحثون عن لقمة العيش فى الشوارع بأى ثمن لكى يدفعوا للكفيل، بل إن بعض الكفلاء يبيعون العمال لبعض ،كنوع من النخاسة الحديثة.وكثيرا ما دعونا إلى فتح ملف المصريين فى الخليج. بل يجب أيضا فتح ملفات الأمراء الذين يعيشون فى القاهرة بحراسة عصابات أجنبية، ويستقبلون كرؤساء دول، ويعتدون على مواطنين مصريين ويتم التعتيم على تلك الحوادث تحت مزاعم المصالح العليا. إن حياة وكرامة وكبرياء المصريين أهم من السياسات والمصالح العليا، **فالكفيل لا يجد غضاضة فى استغلال المصريين وامتهان كرامتهم حتى داخل بلادهم لانه متأكد أن مؤسساتهم لن تتحرك.**واستمرار هذه النوعية من الحوادث التى تحدث للمصريين فى الخليج وينشر بعضها فى الصحف وتقتل فيها كرامة وحياة المصريين هى نتيجة تنازل الدولة عن حقوقهم فى الخارج باسم العروبة والمصالح العليا.

والحاذثة الثانية هى حادثة المركب حيث قتل غرقا حوالى ٩٠ شخصا فى النيل،والحادثة الثالثة انهيار عمارة مصر الجديدة وتوقع موت الكثير، وقبلها ظاهرة الجباك ونهب المليارات من ثروة الوطن، وأكاذيب الحمى الشوكية،والجامعات الخاصة التى تقترض من البنوك لتكسب من الطلبة،ومصادرة الصحف الأخيرة.. إلخ تلك السلسة من الحوادث التى تميز الحياة المصرية، فهى كوارث تقليدية وقديمة تتكرر فى حياة المصريين عبر التاريخ وفى كل موقع وتكون النتيجة فاجعة،فمن يتأمل أحوال الوطن،**يجد شبح الموت بدون مبرر يترصد المصريين فى كل خطوة داخل الوطن وخارجه،وتنهب ثرواته وتقتل ابداعاته نتيجة غياب دور الدولة الرقابى وفساد ادارتها المحلية وسيادة منظومة الإهمال والتسيب والطمع،وتميع موقفها من حرية التعبير.**وكل تلك الحوادث تعكس غياب هيبة الدولة فى تنفيذ القوانين وفى حماية آدمية المصريين فى الخارج والداخل،وعدم احترام حرياتهم فى التعبير، وإذا كانت حياة المصريين وكرامتهم وحريتهم وثروة وطنهم رخيصة جدا فى الداخل، فلماذا نطالب الآخرين فى الخارج باحترامها، وطن تنهار المساكن فوق رؤوس مواطنيه وتنهب أمواله وتقتل إبداعاته هل يمكن أن يعمل له حساب.

فأسباب تعنت إسرائيل واستضعاف أمريكا لمصر، وهو نتيجة منطقية وطبيعية ، لأن قوتنا فى الخارج وأمام دول العالم تنبع من داخل الوطن،واحترام العالم لنامبنى على مدى احترام الدولة لمواطنيها فى الداخل،ولكى نصبح قوة تعمل لها إسرائيل ألف حساب،يجب أن تنبع تلك القوة من داخل الوطن من مدى احترام الدولة لآدامية الانسان داخل الوطن، فالدولة التى تعامل مواطنيها مجرد ديكور للسلطة سوف يتعامل معها العالم الخارجى بنفس المنطق . **إن كرامة الوطن فى الخارج تبدأ من الداخل**،ولن يعمل لنا أحد حساب طالما ان الدولة لاتعمل حساباً لمواطنيها فى الداخل وتجعل كل من هب ودب ينهب ثروتها بدون حساب ويدوس على رقاب مواطنيها بدون عقاب.



عربدة أمريكا والشيخ مايكل بن جاكسون فى الخليج!!

حينما عرفت أخبار الضربة الصاروخية الأمريكية للعراق، توهمت أنها فرصة تجمع العرب على إرادة الرفض حتى ولو بالصوت، عندما تراجعت إسرائيل عن السلام فى فلسطين ولم تنفذ بنود الاتفاقية وحفرت نفقاً تحت المسجد الأقصى كعنوان للاستخفاف بالعرب وبالعالم توقعت ان يتحرك العرب. لكن الحقيقة أن العرب فقدوا إرادة الرفض لدرجة أن فقدوا صوتهم، الذى يميزهم كظاهرة صوتية للأبد فأصاب الخرس الجميع ما عدا أطفال الحجارة الذين كبروا مع الحدث.

وضحكت حتى البكاء عندما قرأت خبر **تعهد الكويت للادارة المصرية بعدم دخول القوات الأمريكية العراق عبر حدودها البرية المشتركة معها**،واشفقت على الجنود الأمريكان الذين يتدفقون على الكويت لأنهم سوف يمشون مرة ثانية حتى أمريكا لكى يستطيعوا أن يدخلوا العراق من هناك حتى لا تجرح المشاعر العربية الرقيقة، ويمكن توفيرا للوقت يستخدم الجنود الأمريكان الموجودون فى الكويت نفق نتنياهو لدخول العراق،وضحكت أكثر على إعلان الكويت إقامة سياج مكهربة على طول الحدود مع العراق،لأننا اذا استثنينا تكلفة تلك السياج نجد الحدود العربية لا تحتاج سياج مكهربة لأنها ملغمة طبيعيا بمشاعر عدم الثقة والشك واحيانا الطمع والكراهية.

وأمريكا لعبتها واضحة فهى تحت **مزاعم حماية مصادر البترول وعروش النفط تفرغ خزائن الخليج،**ثم تسخن الموقف وتفتعل



أمير سعودى يرصد مليار دولار.. ليضم المغنى مايكل جاكسون إلى صفوف الإسلام!!

الأزمات،وتضرب هناأو هناك فيرتفع سعر البترول، فتمتلئ خزائن الخليج لكى تفرغ مرة ثانية على القوات الأمريكية هناك، أو على **هواجس القضاء على الماركسية**،حيث يروى **هيكل** فى الجزء الثالث من كتابه الأخير نقلا عن **مذكرات روبرت ماكفرلين** مستشار الرئيس **ريجان** للأمن القومى **أن الملك فهد فى زيارته لأمريكا قدم ٢٥ مليون دولار مساعدة لجماعات الكونترا** يوجهها الرئيس ريجان كيفما يشاء دون حاجة إلى الكونجرس و اعتماداته وحساباته وذلك بناء على طلب أمريكى قبل الزيارة!.

وهنا يجب أن نعترف ونقر جميعا أن أمريكا سوف تستمر تعربد فى الخليج والدول العربية كما تشاء طوال القرن الواحد والعشرين على الأقل وبعد ذلك سيصبح العرب مثل الهنود الحمر ونصبح مادة علمية لعلماء الانثربولوجيا التاريخية. وإذا كانت حماية الخليج هى مهمة الأمريكان ، فهم هناك متفرغون لدعم وتقوية الإسلام بطريقتهم، فتجد المطوعون يدعون بهمة وتأثر فى صلاة التراويح فى شهر رمضان: **(اللهم لا تخذلنا بين أفخاد النساء.. اللهم لا تخذلنا بين أفخاد النساء)** ويردد المصلون بقوة وحماس وبكاء وراء الإمام المتشنج آمين.. آمين، وتبكى النساء بحرقة وراء الإمام حين يردد الدعاء. وانطلاقا من التضامن العربى يجب أن ندعو لهم فى صلاتنا ونقول(اللهم لا تخذل المجاهدين فى الخليج بين افخاد نسائهم، وقوى عزم الرجال الأمريكان على الحدود)،بل يزيد على ذلك أن أميراً سعودياً اتفق فنيا مع مايكل جاكسون على شرط أن يدرس مايكل جاكسون الإسلام وينتقل ويهاجر للاقامة هناك ويقيم فى قصر اسطورى حيث يدير مشروعاً ترفيهياً عملاقاً،وسيقوم الأمير بتزويجه زوجة عربية مطيعة ورهن اشارته،وأن مايكل بدأ يقرأ عن الاسلام،وأن الأمير أعلن استعداده لإنفاق مليار دولار على إعادة صنع جاكسون من جديد(**روزاليوسف٢٢-٤-٩٦**) .فالإسلام سوف يزداد قوة بجاكسون المتهم دائما بالشذوذ الجنسى وغرامه بالأطفال. والشيخ جاكسون سوف يحل مشاكل الترفيه للمسلمين بانشاء مشروع ترفيهى عملاق هناك، وقتها يستطيع الحجاج والمعتمرون بعد تأدية الفرائض أن يقضوا أوقاتاً ترفيهية ممتعة عند **الشيخ مايكل بن جاكسون** فى مشروعه العملاق، طبعا الجنود الأمريكان أيضا سوف يستمتعون بأوقات ترفيهية ممتعة عند الشيخ جاكسون،ابشروا يا مسلمين بدخول مايكل الاسلام.والحقيقة أن الشيخ مايكل اختار أنسب مكان حيث لا يمكن فيه أن يتهم بفعل الفحشاء مع الصبيان كما حدث له فى أمريكا المتخلفة، فمرحبا بمايكل فى ديار المسلمين ونحن بدورنا نشكر الأمير المجاهد الذى ركز اهتماماته على دعم الاسلام ،فامريكا موجودة فى الخليج والدول العربية إلى ما شاء الله بكل أسلحتها بداية من احداث صاروخ إلى احدث أغنية للشيخ مايكل جاكسون. والآن هل رأيتم كيف يستعد العرب للدخول إلى القرن الواحد والعشرين،انهم يستعدون بين أفخاد.. و...، لهذا نتعجب من الصحفيين والكتاب الذين يستنكرون بشدة ما يحدث من تشويه صورة الاسلام في **افغانستان** على يد حركة **الطاليان** من شنق وقتل المعارضين في ميدان عام وسجن النساء في البيوت وحرق الافلام واطلاق اللحى وكسر الاقلام باسم الاسلام،مع ان ما يحدث هناك هو صورة مكررة لما يحدث منذ فترة فى دول الخليج بدرجات متفاوتة ، كل ما هناك أنه يتم فى إطار من الرفاهية والغنى وعوائد النفط، ولم نسمع من المتشنجين الآن اتهاماً لدول الخليج بتشويه الاسلام.

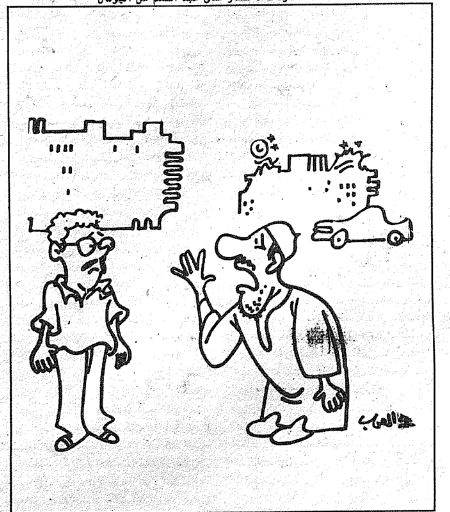
ونقرأ أن الدول العربية تتنافس على دعوة الشيخ مايكل،ونسمع الآن فى مصر من يدعو الشيخ مايكل جاكسون للغناء وأنه يعقد صفقة سرية بعشرات الالوف من الجنيهات للبحث عن حمار مصرى واكرر حمار مصرى يظهر معه فى اغانيه الجديدة،وهو يشترط مواصفات جمال معينه فى الحمار المصرى،ما رأيكم تشجيعا للسياحة أن ندعو الشيخ مايكل لمصر ليس للغناء لأننا نملك منه نسخاً مشوهة كثيرة، بل ندعوه تشجيعا للسياحة ونستقبله فى احتفال رائع مثل مهرجانات الاسكندريات ويستقبله حاكم الأقليم،ونجمع له حمير البلد كلها فى الأستاذ لكى يختار منها ما يشاء،ونعطى الفرص المتساوية لكل حمار جميل حتى لا تستغل الحمير ذات النفوذ لدى حاكم الاقليم الفرصة وتتفق مع الشيخ مايكل حفظه الله من وراء ظهر الحكومة،ويعتبر ذلك فرصة إعارة نفطية للحمار المصرى فهو تحمل رذائل وفساد الكثيرين من النخبة الحاكمة عبر التاريخ، فمن حقه أن يرتاح فى عمل استعراضى مع الشيخ مايكل بن جاكسون حفظه الله.

جميع الأحزاب مصرية وكلنا مصريون

هذا نص التصريح السيادى الذى نسمعه من فترة لأخرى،وآخرها كان فى أغسطس الأسكندرية. ثم يعقبه تصريح رسمى يقول «ان هناك حركات من بعض القوى السياسة شابتها بعض الظروف فى أوقات معينة ونأمل أن تسير الأمور فى اتجاهها الصحيح»،هذا معناه أن بعض الأحزاب المعارضة خرجت عن الخط المرسوم وعليهم أن يرجعوا إلى الحظيرة، فكلنا مصريون ولنا حاكم واحد وبطلوا لعب عيال وحكاية الديمقراطية ، فهى مجرد ديكور لزوم الاستهلاك المحلى والمنظرة أمام العالم المتحضر.

والسؤال هل الظاهرة الحزبية فى مجتمعنا تتنافى مع الوطنية ،ولتأكيد مصريتها تحتاج كل فترة إلى تصريح سيادى، لقد تعودنا على اتهامات السلطة للمعارضة إذا خرجت عن خط الحكومة التى رسمته لها بأنها عميلة تتلقى تمويلاً ودعماً من الخارج،منحرفة مشاغبة،تثير حنق الناس،هدفها الإثارة،تهدد السلام الاجتماعى، غير وطنية، تريد الاستيلاء على السلطة بالقوة ،متآمرة، لها أهداف خبيثة، شيوعيون، ماركسيون، كفرة، علمانيون، إرهابيون، مرتزقة.. الخ تلك القائمة ،فالموضوع ببساطة أن التاريخ يبين لنا أن حاكم مصر سواء الفرعون أو الخليفة أو الملك أو الرئيس هو المصرى الوحيد الذى يمارس حريته،وأننا نتظاهر بالديمقراطية ،لأن البنية الفكرية للنخبة الحاكمة فى أصلها بنية عسكرية لا تؤمن بالحرية.

محاولات لاحضار هدى عبد المنعم من اليونان



ونستورد حرامية من بره ليه؟ البلد مليانه

خاتم سليمان فى ايديه

فى أحد البرامج الرمضانية بإذاعة الشرق الأوسط العام السابق، كان مدعواً على الافطار وزير مسئول عن قطاع استراتيجى فى البلد وسألته المذيعة وزميلها بذكاء وخبث شديدين عن خاتم فى أصبع الوزير لفت نظرهما،وهنا انتفخ الوزير وقال بكل فخر واعتزاز وزهو محاولا التواضع: إنه خاتم التخرج من الجامعة الأمريكية التى استكمل فيها دراساته العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم استرسل فى وصف أشكاله وألوانه وصرح أنه لا يخلعه أبدا من أصبعه مهما كانت الظروف، وقتها تذكرت مقولة كنت قرأتها فى كتاب **Communication and Cultural Domination** لمؤلفه **هربرت شيلر** وله ترجمة بالعربى فى سلسلة الألف كتاب الثانى تحت عنوان «الاتصال والهيمنة الثقافية» يقول الكاتب: يشكل المتخرجون من **هارفاد ووهارتون** وغيرها من الجامعات الأمريكية عندما يعودون إلى أوطانهم مجموعة مؤثرة ومهيمنة في مجتمعاتهم ويزداد انفصالهم عن الإطار الوطنى ولا يعبرون إلا عن الفلسفة الأمريكية السائدة.

سيطرت على عقلى الأفكار السابقة وأنا أتابع الضغط الأمريكى على مصر فى عقد القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال افريقيا فى القاهرة ، لأن مصر حاولت نزع خاتم التخرج الأمريكى من أصبعها، لكن العلاقات الخاصة بين الادارة المصرية والأمريكية هى علاقة تبعية كاملة لا تحتمل التمرد، بدليل ما نشر هذه الأيام عن بدء تدريب **الأفعى الحديدية** وهو اسم التدريب المشترك بين القوات الأمريكية والقوات المصرية ضمن خطة تدريب مشترك بين مصر والدول الشقيقة والصديقة كما يقول أهرام يوم ٣١-١٠-٩٦، اذا كنا نتدرب مع أمريكا حليف إسرائيل وحاميها فمن هو العدو الذى سوف نحاربه عندما نخلع خاتم التخرج من أصبع الوطن.

العدد القادم :
هموم
ادارة الأحزاب بين
الريفية والمعلوماتية



جارودى والإسلامويون

خليل عبد الكريم

بكل المقاييس فان وقفة جارودى فى مواجهة الكيان الصهيونى العنصرى وحاميته أمريكا تستحق عظيم الاحترام ومن ثم فهو فى حاجة ماسة إلى المساندة ولقد أحسن أ. **سعد الدين وهبه** واتحاد المغتنين (يقال خطأ الفنانين) فى استضافته ولو أننا نعتب على أبى السعود أنه طوش (فى القاموس المحيط للفيروز آبادى / طوش غريمه أى مطله- والعامة تقول طنش . أ. هـ) اليسار الاسلامى ولم يدعه لاية ندوة أو احتفالية مع أنه الأقرب إلى فكر جارودى- ومهما يبلغ الخلاف معه حول رؤاه الاسلامية فيتعين تناسيه بعد أن أثبت الرجل أنه يملك شجاعة فائقة خاصة لمن فى مثل سنه. بيد أن الاسلاميين من القطاعين الأهلى والحكومى(حصراً وتحديداً فرئاسة شئون التقديس- والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية) تجاهلوه مع أنهم هللوا لمن هو أقل قيمة فكرية منه سواء من الاعاجم أو الفرنجة(الذين اسلموا) وأقرب مثل هو **مراد هوفمان** اذ دفعوا حكومة الحزب الوطنى السنية لاستقدامه وتكريمه واجازته فى حين أن قياس القامة الفكرية لرجاء أو روجية بالكتابات العجاف لهذا الهوفمان مستحيل، ومن الغريب أنه قبل تدليله مباشرة هاجمته مجلة المعهد العتيق- المشهور فى وسائط الميديا أو الاعلام بالازهر- فما الذى أغضب الاسلامويين بفرعيهم المباركين على جارودى؟. كل جريرته فى نظرهم أنه قدم طروحات مشابهة أو قريبة مما يقدمه المفكرون الاسلامويون المستنيرون(استنارة حقيقية لا مصطنعة ولا مدعاة) وقبل أن نوجزها قد يضيئ جوانب الموضوع أن نذكر أن هناك كتابين ترجما للفرنسية هما (الاسلام السياسى) للمستشار **العشماوى** وآخر أحتوى على دراسات له وللدكتور **رفعت السعيد** ولكاتب هذه السطور وأن عدداً من مؤلفات العشماوى وغيره من ذات التيار وصلت إلى أيدى جارودى ومعلوم أن زوجته الحاجة **سلمى** تتولى الترجمة إلى الفرنسية.

أما أهم أفكار جارودى بايجاز شديد فهى : وقتية الاحكام وخاصة المتعلقة بالحدود وفى مقدمتها حد السرقة ثم ميراث المرأة وتاريخية النصوص وكلام عن الحجاب والنقاب ومنشأها والاعجاب بالاسلام الحضارى (التاريخى) على حساب العبادى أو الطقوسى الذى يراه حاملا لبصمات البيئة السابقة خاصة شعيرة الحج وإن لم يصرح هو بذلك والاسلام هو المتمم للعقيدة الابراهيمية وجاء يكمل فرعيها السابقين عليه: اليهودية والمسيحية وليس ناقضا لهما والتبشير بـ مجتمع انسانى عالمى يحتوى الملل جميعها بما فيها المزدكية والبوذية .. إلخ ومن ثم يأتى القول بوحدة الأديان وأن الاكتفاء بالاسلام دون سائر الديانات والنحل والمذاهب .. جهل بأساليب الحوار والعلم والحضارات التى حتما لابد أن تتحاور لا أن تتصادم وحوارها ليس مطلبا رنيسا فحسب بل هو ملح عاجل لمستقبل البشرية وخيرها والهجوم على الكنز والاكتناز وعلى رأس المال الطاغى المستبد(فى هذه الخصوصية جاء التعليل= الحنين إلى ماضيه الماركسى) ونقده لسلوكيات حكام دول النفط العربية بالذات لانهم يحتجنون (فى أساس البلاغة للزمخشرى / احتجن فلان وحجنته عن كذا= صرفته) أرصدتها ولا يستخدمونها فى سبيل تقدم شعوبها (وهذه من أهم الأفكار التى هيجت الضغائن عليه..) الخ الخ.

ولمزيد من التفصيلات عليك بـ (كتاب : لا يا جارودى) للدكتور **سعد ظلام**- دار المنار بمصر الجديدة. والفصل الأخير الذى يحمل عنوان (انطباعات نقدية عن فكر جارودى فى تطوره الأخير) من كتاب (لماذا أسلمت) جارودى- دراسة أعدها محمد عثمان الخشت- مكتبة القرآن- القاهرة- تلك كانت إطلالة عجلى على ما يمكن أن نسميها (المانشتات) الرئيسية لرؤاه الاسلامية التى ألبت عليه الاسلامويين (من كل لون) فطفقوا يهاجمونه بضراوة بلغت حد التشكيك فى صحة اسلامه بل أن أحدهم غالى فى مناوأته ووصفه بانه دسيسة شيوعية لتفجير الاسلام من الداخل بعد أن أخفق (فشل) الرفاق فى تدميره من الخارج واقترح أحدهم سحب نصف جائزة الملك فيصل(**نوبل العرب**) معنوياً لا مادياً وقيل أن هناك فتوى اصدرها كبير فقهاء إحدى الدول المجاورة بـ تكفيره - ومن ثم فالذين يراقبون ما يجرى على الساحة الاسلاموية مثلى كانوا يتوقعون أن يعرض الاسلامويون عن بكرة أبيهم بوجوهم القدسانية عن (الرجاء).

وبعد

فان الذى غفلوا عنه أن جارودى (وهذا ينطبق إلى حد ما على مراد هوفمان) ابن حضارة مختلفة وعاش فى بيئة مغايرة ورضع لبان ثقافة مباينة وربى فى ظل قيم أخرى ونشأ فى مجتمع غريب عنهم أى أن تركيبته الفكرية أو ما يمكن أن نطلق عليه(العقلية) مفارقة تماما لـ عقلياتهم المصونة ولذا فان من البديهى أن ينظر إلى الاسلام من زوايا لم تخطر لهم على بال خاصة وأنهم يعيشون باستمرار فى حلم ذهبى يتمنون اعادته (فى كتاب لنا من ثلاثة أسفار تحت الطبع- ربما يظهر على المعرض أثبتنا بالوثائق أنه لم يكن ذهبياً ولا حاجة أ. هـ) ومنهج (الرجاء) يقطع بمرونة الاسلام وقابليته لاستيعاب أو على الأقل التكيف مع سائر الحضارات ومختلف المدنيات وذاك ما حدث بدياً من نهايات القرن الأول الهجرى وبعد قليل أثمر الحضارة الاسلامية (مبعث فخار المسلمين) والتى كان للأعاجم آنذاك مساهمتهم الفعالة فيها التى لا ينكرها إلا الخصيم الشكس -وبدل أن يتحاور الاسلامويون مع (الرجاء) ويتفهموا رؤاه ويمعنوا النظر فى طروحاته ويمنحوه ومن على شاكلته الفرصة لاثراء الفكر الاسلامى والاسهام فى تجديده وتنويره اذا بهم يعطونه ظهورهم المبجلة حتى فى أدق الظروف وأشدها حروجة ولكن هيهات فهم:

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأعيا قرنه الوعل.

العرب

مطلوب اعتراف دولى بقيام الدولة الفلسطينية
فى الضفة الغربية وقطاع غزة

رسالة القدس

حنا عميرة

تؤكد تجربة المفاوضات حول إعادة الانتشار من الخليل ، بأنها **ليست مجرد استئناف لعملية المفاوضات السابقة وإنما هى مفاوضات ذات طبيعة أخرى وبأهداف جديدة** ،يسعى تحالف الليكود الحاكم فى إسرائيل لفرضها على الجانب الفلسطينى.

فالحكومة الإسرائيلية الحالية ، تحاول إعادة العملية التفاوضية إلى **خطة شامير** فى مفاوضات واشنطن قبل أربع سنوات ، باعتبارها مفاوضات ليست سياسية وإنما ذات طبيعة إدارية أمنية ، وبدون أى سقف زمنى وبمعزل عن أية مرجعية سوى ماتراه هذه الحكومة مناسبا لتأكيد تطلعاتها وأحلامها فيما تسميه أرض إسرائيل الكاملة.

هذا ماتعلمنا إياه تجربه المفاوضات حول الخليل ، وهذا مايجب أن نستخلصه ونتأهب كفلسطينيين للرد عليه خلال الأيام والأشهر القادمة والتى سنبقى نصطدم خلالها بالموقف الإسرائيلى الرسمى الذى يبتعد كثيرا حتى عن تسوية الحد الأدنى التى يمكن للفلسطينيين القبول بها.

إن مانشهده الآن وماسنشهده فى المستقبل أيضا ، **عملية تفاوضية انفصلت عن السلام ذاته** وعن مرجعيته **بحواجز واشتراطات الأمن الإسرائيلى التوسعى** ، مع الإشارة طبعا ، إلى أن هذا الانفصال ابتدأ **منذ فترة حكم حزب العمل** ، وجاء حزب الليكود بعد فوزه فى الانتخابات ليطور هذه العملية وفق برنامجه الخاص.

ومع ذلك ، وباعتقاد العديد من الأوساط الفلسطينية فالفارق بين المفاوضات الحالية مع تحالف الليكود اليمينى الدينى المتطرف وبين المفاوضات التى جرت مع تحالف حزب العمل وميرتس فى السابق ، يكمن أساسا فى الاختلاف بين برنامجى هاتين الحكومتين أو فيما يسميه رئيس الوزراء الإسرائيلى الحالى **نتنياهو** ، باستعداد حكومة حزب العمل لتقديم التنازلات للعرب وتراجعها أمامهم ،

فلسطينيات يتظاهرن فى رام الله مطالبات الإسرائيليين بسحب قواتهم من الخليل والافراج عن المعتقلين بالسجون



ومن وجهة نظره طبعا فان اتفاقى اوسلو الأول والثانى مع الجانب الفلسطينى هى تنازلات يجب وقفها ! واتفاقات يجب تعديلها ! وهذا الفارق بين الحكومتين يشمل أيضا ما كان يسمى ولايزال **بالاجماع القومى الصهيونى** وتغليب اعتبارات أخرى اجتماعية واقتصادية وحزبية على اعتبار الاجماع وهذا نابع من الاختلاف بين هذين الحزبين فى تحديد جدول أولوياتهما على الصعيدين الداخلى والخارجى . مع التأكيد أن هذه الاختلافات والفوارق التى ابتدأت تتعمق مع بدء العملية السلمية لاتنسخ أو تنفى قضايا الاتفاق بينهما حول العديد من القضايا.

فبالنسبة لحكومة **رابين - بيرس** السابقة ، فانها لم تكن ترفض من حيث المبدأ قيام دولة فلسطينية ، وإن كانت **تصر على عدم العودة إلى حدود عام ١٩٦٧ وعلى ضم أجزاء من الضفة الغربية ، تعتقد من وجهة نظرها طبعا أنها هامة لأمن إسرائيل** .وقد أقدم حزب العمل أثناء انعقاد اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى لتعديل الميثاق فى شهر نيسان الماضى على حذف البند الذى يعارض إقامة دولة فلسطينية من برنامجها ، وهذه الخطوة عبرت عن إيماءة ايجابية أراد أن يوجهها بيرس إلى القيادة الفلسطينية.

وبالمقابل فان حكومة الليكود لاتزال تطرح شعار **أرض إسرائيل الكاملة** وترفض من حيث المبدأ قيام دولة فلسطينية.

ويمكننا تتبع هذا الفارق أيضا على صعيد **الموقف من الاستيطان** حيث ميزت **الحكومة السابقة بين ماكانت تصفه بالاستيطان السياسى والاستيطان الأمنى** ، ووضعت العديد من القيود على النشاطات الاستيطانية وإن لم توقفها بشكل تام.

أما الحكومة الحالية فقد رفعت جميع القيود المذكورة وأعلنت عن تعديل سلم أولوياتها باتجاه **تشجيع النشاطات الاستيطانية** وابتدأت بحملة مصادرات جديدة ورصدت أكثر من ٦٠٠ مليون شيكل فى ميزانيتها لدعم النشاطات الاستيطانية عدا عما رصدته للاستيطان فى القدس الشرقية .

كما أعلنت الإدارة الأمريكية عن نيتها لاقتطاع **٣٠٠ مليون دولار** (أكثر من ٩٠٠ مليون شيكل) من ضمانات القروض الممنوحة لإسرائيل عن هذا العام وهو حسب تقديرات هذه الإدارة نفس حجم المبلغ الذى رصدته حكومة الليكود للنشاطات الاستيطانية .(حجم المقتطعات المذكورة أثناء العام الأخير من حكم حزب العمل بلغت ٦٠ مليون دولار أو حوالى ١٨٠ مليون شيكل).

ولعل إصرار حكومة نتنياهو على عدم تقديم أى تعهدات تتضمن جدولا زمنيا لتنفيذ باقى الاستحقاقات المطلوبة منها بعد إنجاز صيغة الاتفاق حول الخليل كما يطالب الجانب الفلسطينى وإصرارها على تقديم تصريح عام غير ملزم يكشف المزيد عن نوايا هذه الحكومة خلال السنوات القادمة أى حتى نهاية فترة ولايتها فى عام ٢٠٠٠.

ولم تكتف هذه الحكومة بمجرد " الامتناع" وإنما حددت أيضا آليات نشاطها المباشر فى اتجاهين أساسيين ،**الاتجاه الأول على الأرض** من خلال إطلاق موجات الاستيطان ، **والاتجاه الثانى على صعيد العلاقة مع السلطة** باطالة أمد المفاوضات المرحلية إلى أجل غير مسمى والتقدم بالمزيد من الشروط والمطالب بالنسبة لما تسميه بالانتهاكات الفلسطينية للاتفاقات.

وقد تحدث رئيس الوزراء الإسرائيلى نتنياهو عن مدة هذه المطالب فى اجتماع خاص أمام لجنة الداخلية والأمن التابعة للكنيست ولخصها رئيس قسم التخطيط فى الجيش الإسرائيلى **شاؤول موفاز** فى ورقة عمل على الشكل التالى:

١- المطالبة بادخال التعديلات المطلوبة على الميثاق الوطنى الفلسطينى حيث انتهت الأشهر الستة على انعقاد المجلس الوطنى دون إدخال هذه التعديلات.

٢- مصادرة الأسلحة غير القانونية فى مناطق السلطة الفلسطينية.

٣- تسليم المطلوبين فى مناطق السلطة إلى إسرائيل .

٤- إقامة مناطق فاصلة خالية من أفراد الشرطة الفلسطينية المسلحين حول المدن الفلسطينية.

٥- تقديم أفراد الشرطة الفلسطينيين الذين أطلقوا النار على الجنود الإسرائيليين أثناء الهبة الجماهيرية إلى المحاكمة .

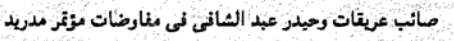
٦- إقامة مناطق أمنية عازلة حول المستوطنات.

٧- عدم إدخال أى أسلحة إضافية إلى الضفة وغزة رغم أن الاتفاق يسمح بذلك .

٨- عدم قيام السلطة بأى نشاطات تحريضية ضد إسرائيل.

وخلصت ورقة العمل الإسرائيلية إلى النتيجة بأن إسرائيل تطالب بادخال هذه التعديلات الأمنية فى الضفة وذلك على ضوء الأحداث الأخيرة ، كما أنها تصر على تأجيل البحث فى جميع المواضيع الأخرى مثل المرحلة الثانية من اعادة انتشار الجيش الإسرائيلى ومفاوضات الحل النهائى مالم تتم الاستجابة للمطالب المذكورة.

هذه هى الأسباب الكامنة وراء الامتناع الإسرائيلى عن الالتزام بجدول زمنى لتنفيذ باقى الاتفاقات ، وهى نفس الأسباب التى تملى على الجانب الفلسطينى التمسك بمواقفه والامتناع عن الموافقة على أى اتفاق يتيح للحكومة الإسرئيلية المضى فى مطالبتها إدخال تعديلات أمنية شاملة والسعى لإعادة


صائب عريقات وحيدر عبد الشافى فى مفاوضات مؤتمر مدريد



فتح ماجرى التوصل إليه من اتفاقات خلال العامين الماضيين.

إذن فالقضية الرئيسية ليست في موضوع الخليل وحده وإنما فيما سيأتي بعد ذلك .. وكيف ..!! لأننا نحن الآن أمام حكومة قررت التمادي حتى آخر مدى في مطالبها ومواقفها وتريد أن تمارس طقوسها على حساب من حولها ، وفي مواجهة معهم ، **حكومة تسعى لتقسيم مدينة الخليل بدعوى الحفاظ على أمنها** ، وتعمل كل ماتستطيع لتكريس ضم القدس وتوحيدها باسم فرض سيادتها عليها.

وإزاء هذا الواقع ، بكل مايتضمنه من اختلافات بين طبيعة المرحلة الحالية من المفاوضات عن طبيعتها في المرحلة السابقة ، يكون من الصعب جدا على المفاوض الفلسطيني أن يغمض عينيه وأن يحتفظ بمرونته السابقة وكأن شيئا لم يكن. **كما يكون من الضروري أن يحظى موقف السلطة الحالي بأكبر مساندة وتأييد كي تواصل رفضها لأي اتفاق أو خطوة تسهل على الطرف المقابل تحقيق أهداف تتعارض كليا وبشكل مطلق مع الأهداف التي نسعى لتحقيقها** .وهذا يتطلب من الناحية العملية أن تضاعف السلطة الفلسطينية جهودها ومساعيها على مختلف الأصعدة الداخلية والخارجية من أجل تعزيز مكانتها التفاوضية وتجنيد الدعم والتأييد لهدف التحرر من الاحتلال وإقامة الدولة المستقلة . كما يصبح من الضروري أن تلجأ إلى مختلف الوسائل والأساليب من أجل استثمار مظاهر الدعم والتأييد عربية أو أوروبية أو دولية وتوظيفها لصالحها ، وفي الضغط على الحكومة الإسرائيلية للتراجع عن مواقفها.

وعلى هذا الصعيد يبدو أن **الوقت قد حان للبدء بحملة سياسية وإعلامية واسعة على مختلف الأصعدة من أجل تأمين اعتراف عربي ودولي للاعلان عن قيام دولة فلسطينية من طرف واحد في الضفة والقطاع** .

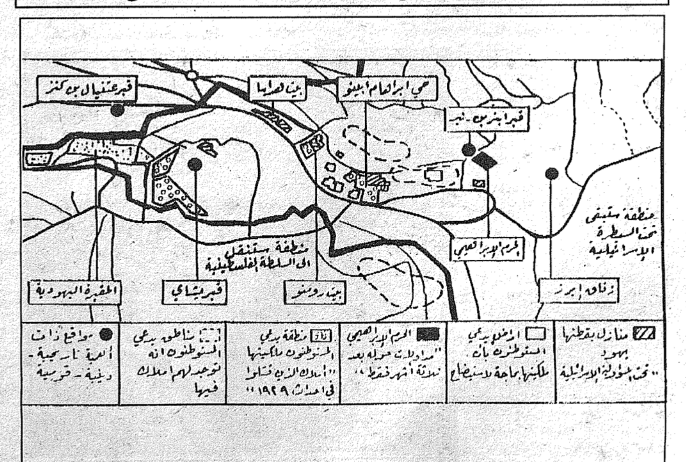
كما يبدو أيضا أن **الوقت قد حان لمطالبة الأمم المتحدة في دورتها الحالية للاعتراف بقيام الدولة الفلسطينية واعتبار الاحتلال الإسرائيلي هو احتلال لأراضي دولة أخرى**.وهنا يجب عدم الاكتفاء بمشروع القرار الحالي لدورة الأمم المتحدة الذي يتحدث عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير دون تحديد ذلك بقيام الدولة.

لقد نشرت وسائل الإعلام منذ فترة قصيرة أن القيادة الفلسطينية تدرس إمكانية الإعلان عن دولة فلسطينية من طرف واحد ، وقد تبع ذلك تقارير اخبارية نشرتها الصحف ومنسوبة إلى مصادر استخبارية إسرائيلية لاتستبعد إقدام القيادة الفلسطينية على مثل هذه الخطوة وذلك بسبب شعورها بأن المسيرة السلمية تراوح مكانها.

نحن لانعرف طبعا مايجري وراء الكواليس حول هذا الموضوع ولكن الرد على حكومة نتنياهو يتطلب الاقدام على خطوة نوعية من هذا القبيل . وليكن التوجه للأمم المتحدة لمطالبتها مجددا بالاعتراف بالدولة الفلسطينية بداية لحملة شاملة في هذا الاتجاه.

ومثل هذه الخطوة ستشكل بالتأكيد ردا مناسبا على مواقف حكومة نتنياهو ، وطريقة مناسبة تؤكد أن الجانب الفلسطيني قد استخلص العبر المناسبة من دروس المفاوضات حول الخليل باتجاه توظيف جميع عوامل الدعم والتأييد العربية والدولية لصالحه.

أراضي ومنازل يدعي المستوطنون امتلاكها في الخليل



٤٥٠ مستوطنا و١٨ ألف فلسطيني في الخليل

أعدت القيادة العسكرية للمنطقة الوسطى في إسرائيل كتيبا بخصوص اعادة الانتشار في مدينة الخليل، يتضمن معطيات ميدانية وسكانية،ونشرت صحيفة «**هارتس**»(هذه) المعطيات التي سلمت للجنرال **آمنون شاحك** رئيس هيئة أركان الجيش الاسرائيلي والأوساط السياسية.

تبلغ المساحة العامة لمنطقة الخليل حوالي ٢١ ألف دونم، تمتد المنطقة **H 1**-أي الخليل ١ التي سيعيد الجيش الاسرائيلي انتشاره منها على حوالي ٨٠ ٪ من مجموع مساحة المنطقة أي تبلغ مساحتها حوالي ١٧ ألف دونم. أما المنطقة **H 2**-الخليل ٢- التي ستبقى تحت السيطرة الإسرائيلية فتبلغ مساحتها حوالي ٤ آلاف دونم.

يقطن في منطقة **H1** مائة ألف فلسطيني ويقطن **H2** ٤٥٠ مستوطناً و١٨ ألف فلسطيني. ورغم أن هذه معطيات رسمية، يقولون في القيادة العسكرية الاسرائيلية للمنطقة الوسطى أن عدداً كبيرا من الفلسطينيين توجهوا في السنوات الأخيرة للسكن في منطقة الخليل ويبلغ عدد هؤلاء تقريبا ١٠ آلاف فلسطيني،كما دخل الأحياء الاستيطانية في المدينة مستوطنون إضافيون.

ويتضح من الوثيقة العسكرية أن البؤر الاستيطانية في H2ستستمر بالحصول على خدمات بلدية من بلدية الخليل ، أيضا بعد إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي. ويدور الحديث عن توفير المياه والكهرباء والعناصر الأخرى من البنية التحتية. ولن تستثمر أموال البلدية في هذه الأحياء باستثناء حفر آبار مياه جديدة. ويستطيع المستوطنون التحرك بحرية في الأحياء الاستيطانية ، لكن لن يسمح لهم بالتوجه إلى الأحياء الفلسطينية بدون تصاريح.

وقالت مصادر عسكرية إسرائيلية أنه طوال فترة المداولات مع الفلسطينيين لم تعرض إسرائيل أي اخلاء لأي من الأحياء اليهودية في مدينة الخليل.



نشرت صحيفة«**يديعوت احرونوت**» خارطة أصدرتها لجنة المستوطنات اليهودية في الخليل تحت عنوان «**خارطة تقسيم الصلاحيات في الخليل**».

وتتضمن الخارطة اشارة إلى مناطق وأماكن يدعي المستوطنون أن ملكيتها بحاجة لاستيضاح وهي عبارة عن أرض واسعة مساحتها مئات الدونمات حول أحد القبور، الواقع في الطرف الشرقي للمنطقة التي ستقع تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية. ووفقا لادعاءات المستوطنين فان لديهم ما يشير إلى قيام يهود بشراء هذه الأراضي في القرن التاسع عشر.

كما تضم خمسة منازل في حي القصبة في الخليل منها مبنى استخدم في الماضي كفندق.

منازل وبيوت في حي القصبة في منطقة القبر يدعي المستوطنون انها تعود إلى عائلات قتل افرادها في احداث ١٩٢٩.

يدعي المستوطنون أنه أصبح لهم«حق ملكية» في أكثر من عشرين منزلا وأراض في ثلاث مناطق في الخليل: منطقتان في حي القصبة وأخرى في أطرف حي أبو سنينة.

وينص الاتفاق الخاص باعادة الانتشار على أن يكون هذا الحي خاضعا للسلطة الفلسطينية.

وقالت مصادر إسرائيلية أن المستوطنين قاموا بحملة سرية للاستيلاء على مزيد من المنازل والأراضي في الخليل وذلك بتمويل رجال أعمال فرنسا والولايات المتحدة وخصوصا الحاخام اسحق غوتيغ.كما قام المستوطنون في الآونة الأخيرة بحملة لجمع التبرعات من مؤيديهم في إسرائيل.

وقالت المصادر أن المستوطنين ضاعفوا في الشهرين الماضيين من نشاطاتهم ومحاولاتهم للاستيلاء على عقارات بين مستوطنة«كريات أربع» والخليل وفي منطقة السوق في البلدة القديمة.





العنف الشديد الذى يمارسه جند الاحتلال ضد الفلسطينيين يرتد بسرعة على المجتمع الاسرائيلى وينعكس فى مظاهر عدة على الفئات الضعيفة: ضد المرأة ، ضد الاولاد فى الشارع.. والخ.. فهل تنجح الهبة الشعبية والحكومية لوقفه؟!.

العنف فى المجتمع الاسرائيلى

محكمة العدل العليا تبيح للمخابرات الإسرائيلية تعذيب المعتقلين العرب!!

رسالة حيفا

نظير مجلى

شهر نوفمبر / تشرين الثانى الماضى، كان شهر العنف فى اسرائيل لم يطلق عليه أحد هذا الاسم. لكن كثرة الحديث فيه عن العنف والعنف المضاد، وانشغال الكنيست والمؤسسات التربوية ووسائل الاعلام المحلية والعالمية فيه، جعلته هكذا. ومن يراقب الأحداث فى البلاد ، يشعر أن هناك هبة جماهيرية واسعة ضد العنف بمختلف أشكاله، لأن **الشعور السائد هو أن العنف بات يهدد المجتمع الاسرائيلى تهديدا حقيقيا**.ونقصد بكل وضوح: **العنف السياسى والعنف الاجتماعى والعنف العائلى أيضا**.وفى كل المجالات المذكورة ، تحقق إسرائيل أرقاما قياسية، بالنسبة لدول الغرب التى تعتبر اسرائيل نفسها واحدة منها.

ولنبدأ من النهاية:

فى التاسع عشر من نوفمبر ، أحيت الحركات النسائية فى اسرائيل **اليوم العالمى لمكافحة العنف ضد النساء**، بمختلف النشاطات الثقافية (معارض صور ورسومات) والتربوية (حلقات دراسية) والاجتماعية(لقاءات ، مظاهرات، ندوات)، وكان فى مركزها جلسة خاصة للكنيست ظهر فيها النواب من جميع الكتل البرلمانية موحدين فى الموقف ضد العنف .وهذا من المرات النادرة التى نجد فيها الكنيست موحدة حول أمر ما.

فى هذه الجلسة كشف النقاب عن أن هناك **٢٠٠ ألف امرأة مضروبة فى إسرائيل ،تعرضت للعنف ولو مرة واحدة من طرف الزوج أو أحد الاقارب أو المعارف**،وهو رقم مفزع. إذ أنه يدل على أن حوالى ٨٪ من سكان إسرائيل الاناث يعانين العنف وإن هناك ١٥٠ شكوى فى الأسبوع ، تسجل فى الشرطة حول موضوع العنف وانه فى الفترة منذ بداية السنة(١٩٩٦) ، **قتلت ١٧ امرأة من جراء العنف داخل العائلة.**

رئيس الحكومة ،**بنيامين نتنياهو** ،اعرب عن انزعاجه الشديد من هذا الواقع.وهاجم سلك القضاء الذى يعطى احكاما سهلة على الرجال الذين يعتدون على النساء .وأعلن عن إقامة «**سلطة وطنية لمكانة المرأة**»، رصد لها ميزانية مليون دولار فى المرحلة الأولى، لتلاحق الموضوع.

وزير القضاء **تساجى هتغبى**، أعلن عن تشكيل لجنة تراجع القوانين المتعلقة بالعنف وتقدم اقتراحات لتعديلها، بحيث يتم تشديد العقوبات على من يمارس العنف ويجبر المحكمة على أن تصدر احكام الحد الادنى التى لا يجوز اصدار أحكام أخف منها.

وزير العمل والرفاة **ايلى يشاى** ، اعلن عن فتح ملجأ للرجال الذين يضربون نساءهم، لكى تتم فيه معالجتهم وتخليصهم من مرض العنف.

لكن الصوت الشاذ الذى أسمع فى الكنيست ولم يحب الكثيرون سماعه، كان صوت عدد من نواب اليسار الذين اشاروا إلى **أن العنف ظاهرة عامة فى إسرائيل وتحتاج إلى علاج أكثر جدية وجذرية فهناك ظاهرة عنف أيضا ضد الاولاد**، من ذويهم ومن أترابهم **ومن مرضى العنف والجانحين عموما** وهناك ظاهرة **عنف فى المدارس**: معلمون يضربون الأولاد. والاولاد يضربون بعضهم البعض وبعض الأولاد يضربون معلمين. والأهل يهاجمون المدرسة ويعتدون على المربين وهكذا. **وهناك ظاهرة عنف فى الشارع**: فى ملاعب كرة القدم، فى النوادى الليلية،فى الحارات وفى الحانات.. إلخ.

وجاء ذلك البحث فى نفس اليوم الذى كانت فيه **راميل ديان**، زوجة نائب رئيس الكنيست النائب**حايم ديان**، تقدم شكوى عليه فى المحكمة بأنه ضربها وتسبب لها فى أضرار جسدية اضطرت جراءها لتلقى العلاج فى المستشفى (فيما بعد سحبت الشكوى من الشرطة. واعلنت والدتها ان سحب الشكوى تم نتيجة لتهديد الزوج لزوجته بالضرب. لكن الشرطة قررت التحقيق فى الموضوع).وقررت كتلة«**تسومت**» اليمينية ، التى ينتمى إليها النائب **ديان** ، ان تنتظر نتيجة التحقيق فاذا تبين ان النائب **ديان** قد اعتدى فعلا على زوجته ، فسيبحثون امره وقد يطلبون منه الاستقالة من الكنيست. أما هو ، فقد أعلن انه لن يحضر إلى الكنيست لمدة أسبوع على الأقل ،ولن يدير الجلسات المقرر له أن يديرها، وبينها تلك الجلسة الخاصة عن العنف ضد النساء.

أما الأمر الذى لم يعجب غالبية أعضاء الكنيست ، فهو أن **العنف فى المجتمع الاسرائيلى هوأحد الانعكاسات**

الاساسية لممارسات العنف الاسرائيلية ضد الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة وعلى الحواجز العسكرية وفى لبنان وغيرها.فالكثير من الساسة الاسرائيليين يرفضون الاعتراف بوجود رابط بين الأمرين، مع أن تحليلات العاملين الاجتماعيين والاخصائيين النفسيين، كلها، تؤكد أن من يمارس العنف خلال خدمته العسكرية ، لابد وأن يعود إلى بيته وهو يحمل الكثير من المحفزات لممارسته ضد أهل بيته أو جيرانه أو زملائه فى الشارع أو ضد خصومه أو مع من يغضبه بشكل عام.

ومن لا يعترف بوجود هذا الربط فانه لا يطمر رأسه فى الرمل وحسب، إنما يساهم فى ارتكاب جرائم العنف بواسطة التغطية عليها بدلا من مكافحتها.

وقد شاءت هذه الصدف أن يجرى بحث الموضوع فى ظل الكشف عن عدد من مظاهر العنف السياسية ذات الاثر البالغ وهى:

-**فى ١٨ نوفمبر** ، عرض التلفزيون الاسرائيلى شريطا كان صوره هاو فلسطينى ويظهر فيه **جنديان من حرس الحدود وهما يضربان ستة عمال فلسطينيين فى مدينة رام الله ، وينكلان بهما ببشاعة** الجنديان هما **دافيد بن آبو، وتسامى شمعيا**.فى العاشر من أكتوبر / تشرين الأول الفائت كانا ضمن قوة مهمتها منع عمال فلسطين من التسلل إلى اسرائيل بحثا عن العمل والرزق، لأنهم لا يحملون تصاريح . فنصبوا الكمائن للعمال.وامسكوا بستة منهم. وراح الجنديان ينكلان بهم: ضربات على الخصيتين، شتائم قذرة وإهانات، اجبارهم على ممارسة تمارين رياضية: «انبطح على ظهرك . إنحن. قف أجلس. أريد أن أركبك. أريد أن أفعل بك كذا وكذا .. الخ» وحين أقترب أحد المواطنين منهما محتجا ، صفعه أحدهم على وجهه صفعة رنانة.

المصور هو شاب من القدس الشرقية، اسمه **عزام مرقة** ، عمره ٢١ عاما ويعمل صرافا . لاحظ التنكيل من أوله، فتناول آلة التصوير وراح يخلد المشهد. لكنه أبقى الشريط معه أكثر من شهر ولم يبلغ أحداً به:«**فقد اعتقدت أن أحدا لن يهتم فى الموضوع، فأنا أشاهد مثل هذه الممارسات يوميا. وأنا بنفسى كنت تعرضت لتعذيب مشابه عدة مرات**».

وبالفعل،فقد اعترف قائد وحدة حرس الحدود ، **يسرائيل ساوان** ، بأن هذا ليس حادثا عابرا انما حدث مثله وأقسى منه فى الماضى وأكد أن همه الآن سيكون اقتلاع الظاهرة من جذورها.

فى الحقيقة ان **ساوان** ومثله من أهم المسئولين الحكوميين والأمنيين فى إسرائيل أدانوا جريمة التنكيل هذه، من رئيس الحكومة **نتنياهو** إلى وزير الأمن ووزير الأمن الداخلى وغيرهم. وأمروا باعتقال الجنديين ومحاكمتهما. وهذا بحد ذاته أمر إيجابى ومثار تقدير. ومن الصعب ان نرى مثيلا له فى دول العالم الثالث ودول منطقتنا .كذلك التلفزيون الاسرائيلى أقدم على خطوة شجاعة عندما عرض الشريط عدة مرات (ونقلته عنه كل الوكالات وشاشات التلفزة) .لكن علينا ان ننتبه للاعتراف، بأن الحديث ليس عن حادثة عابرة بل ظاهرة متكررة.

وتجدر الاشارة فى هذا السبيل إلى أن الحكومة وقيادة الجيش كانتا قد قررتا قبل عدة أشهر أن تكون قوات حرس الحدود هذه مسئولة عن جميع المعابر والحواجز بين الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل القدس ، أى أنها ستكون صاحبة الاحتكاك الأول مع السلطة الوطنية وشرطتها.

-**فى الشهر نفسه قررت محكمة العدل العليا الاسرائيلية السماح، بقرار رسمى، لمحققى المخابرات العامة (شاباك) أن استعمال الضغط الجسدى المعتدل على معتقلين اثنين فلسطينيين**، بحجة ضرورة سحب معلومات أمنية خطيرة منهما من شأنها أن تمنع حدوث انفجار عبوات ناسفة فى مراكز أساسية فى إسرائيل.

لأول وهلة يظهر الأمر وكأن اسرائيل دولة قانون، والمخابرات فيها لا تريد أن تخرق القانون لذلك لجأت إلى المحكمة العليا حتى تأخذ الاذن «بالضغط الجسدى المعتدل» فقط لكى تمنع عملية ارهابية . وطالما أن الأمر يتعلق بالارهاب وبمكافحة الارهاب فان المخابرات ستحظى بتعاطف كل من يدين الارهاب، أى معظم الناس، من جميع الملل والاحزاب والاجناس.. فى البلاد وفى العالم، وبالطبع ستحظى بتعاطف القضاة، ولكن نظرة واحدة للقضية، تزيد من دهشتنا واستغرابنا ،**فالمخابرات لم تتردد فى ممارسة أبشع أنواع التعذيب ضد المعتقلين الفلسطينيين فى الماضى والحاضر، من دون أن تحتاج إلى اذن من أحد .وعلى سبيل المثال.**

**** فى ٢٥ أبريل / نيسان ١٩٩٥ قتل المواطن الفلسطينى عبد العمر حريزان، تحت التعذيب فى التحقيق . ولم يكن الأول.**

** **جمال هندى** مزارع فلسطينى عمره ٢٧ عاماً من قليقيلية دخل إلى التحقيق سليما معافى وخرج منحولاً،وفى الآونة الأخيرة قرر له الأطباء أنه معوّق نفسياً وجسدياً بنسبة ٣٠٪ مدى الحياة.

**** الشاب حسن زبيدة ، صاحب حانوت بقالة فى قرية نيشا قضاء طولكرم. دخل إلى التحقيق انسانا عاديا ،وخرج بعد أشهر انسانا آخر ، بل حطام انسان.فمنذ اربع سنوات وحتى اليوم ،لم يتفوه بكلمة واحدة . ولا يحسن القيام بأى عمل يقضى ايامه ولياليه ما بين النوم وبين اليقظة التى يقضيها شاخصا فى السماء.**

معيد جميل(وهو شقيق الشاب محمد جميل، الذى مات تحت التعذيب فى سجون قوات الأمن الفلسطينية قبل عدة أشهر. ففى السجون الفلسطينية قتل خلال سنوات الحكم الذاتى الثلاث سبعة فلسطينيين)**معيد جميل، اعتقلته اسرائيل قبل شهرين وجرى تعذيبه طيلة شهر كامل.**

- الطالب الجامعى **مصطفى أبو ناصر**

نتنياهو يعرب عن انزعاجه لامتداد العنف إلى داخل الاسرة الاسرائيلية ويهاجم القضاة لتساهلهم مع الازواج

نتنياهو



صورة من صور العنف الاسرائيلي اليومي ضد الفلسطينيين

نائب رئيس الكنيست يضرب زوجته التي تشكوه للقضاء

من مخيم جباليا في غزة ظهر في المحكمة العليا قبل أسبوع وهو يشكو من أساليب التعذيب التي اتبعت معه في سجون المخابرات الاسرائيلية: تقييد اليدين من الخلف لمدة أسبوع ،اجباره على ممارسة «تمارين بدنية» موجعتس، شبحوه من يده اليمنى في أعلى الزنزانة، استعمال طريقة« الهز» ،التي تصيب صاحبها بالصرع وفي بعض الحالات بالموت.

وهناك طرق تعذيب أخرى متبعة في إسرائيل(وليس في إسرائيل وحدها، بالطبع. ففي هذه الأمور لم يسمح عالمنا العربي لاسرائيل بأن تظل متفوقة) : ضرب في أماكن معينة في الجسم لا تترك أثرا خارجيا ،على الكليتين مثلا، الاعتقال داخل زنزانة بحجم التابوت وعلى شكله ، تغطية الرأس بكيس من الخيش اهتم المحققون بأن تصدر عنه رائحة كريهة ، استعمال التعذيب بالموسيقى، اذ يوضع المعتقل في زنزانة مظلمة ويسمع أصوات موسيقى صاخبة ومزعجة تضر بالسمع وتؤدي إلى حرمان المعتقل من النوم وغيرها.

والسؤال هو: اذا كانت كل هذه الوسائل متبعة في غرف التحقيق المخابراتية، ومن دون اذن، فأي تعذيب تريد المخابرات بعد حتى تتوجه للمحكمة العليا؟.

أحد نواب اليسار في الكنيست **د. عزمي بشارة** (الجبهة والتجمع) قال، ان قرار المحكمة العليا من شأنه أن يقود إلى اعدام المعتقلين الفلسطينيين.وهناك جمعية فلسطينية طالبت بعقد مؤتمر دولي قضائي تحاكم فيه المحكمة العليا على قراراتها تلك.

-وهناك نوعية أخرى من العنف السياسي المتبع في إسرائيل والذي يجري التساهل فيه بشكل خطير. ففي ١٧ نوفمبر ،مثل أمام المحكمة العسكرية في تل أبيب -يافا، أربعة جنود قاموا بقتل الشاب الفلسطيني **اياد محمد عواد** في ١٣ يناير / كانون الثاني ١٩٩٣. كان الجنود يومها يرتدون زيا مدنيا ويستقلون سيارة مدنية ويقومون بمهمة سرية في بلده سلفيت. الشاب **اياد** وصديقه كانا في السيارة ، فعندما شاهدا الجنود حسبا انهم مستوطنون(أنهم لم يرتدوا البزة العسكرية) ، فتراجعا بسيارتهما ،وفي الحال، اطلق الجنود الرصاص ، فقتلوا اياد، بينما صديقه تمكن من الهرب.

النيابة العسكرية الاسرائيلية لم توجه للمتهمين تهمة القتل المتعمد أو غير المتعمد ، بل اكتفت بتهمة : عدم تنفيذ اوامر اطلاق النار حسب الاصول». وخلال المحاكمة ، توصلت إلى اتفاق مع الدفاع ، بأن يطلبا من المحكمة الاكتفاء بالحكم عليهما بالسجن شهر واحد مع وقف التنفيذ لمدة سنة. لكن القاضي رفض هذا الاتفاق «القاسي» واصدر حكما بدفع غرامة **«قرش واحد»** ، نعم قرش واحد، على كل واحد من الجنود القتلة.

فهل أكثر من هذا الحكم تشجيعا على العنف؟!.

- نعم يوجد. فهناك مسلسل طويل من الاحكام السهلة، بدأت في الأربعينيات ، حين ارتكب جنود الحركة الصهيونية الجرائم بحق العرب ولم يحاكموا.**وفي سنة ١٩٥٨ اضطرت الحكومة إلى إجراء محاكمة (كانت عسكرية) للجنود الذين ارتكبوا مذبحة كفر قاسم، فكان الحكم على قائدهم، بيسخار شدمي، غرامة قرش واحد. والكثير من الجرائم بحق العرب مروا عليها من دون محاكمة احد.**

فقط ، خلال الفترة من بداية الانتفاضة الفلسطينية (٩ ديسمبر /كانون الأول ١٩٨٧ وحتى نهاية أغسطس / آب ١٩٩٦ ، قام **جنود اسرائيليون بقتل ١٢٥١ فلسطينيا ، بينهم ٢٦٢ طفلاً**.وقد زعموا جميعا أنهم نفذوا تعليمات قيادة الجيش بأن من حقهم وواجبهم اطلاق النار ، لكن فقط في حالة وجودخطر يتهدد حياة الجندي.

من تلك الحالات قدم إلى المحاكمة مرتكبو ٥٥ جريمة فقط (أقل من ٥٪) ،والبقية (١١٩٦)حالة، لم يحاكم أي جندي.وأما الحالات التي قدمت القضية للمحكمة فكانت الاحكام فيها سهلة، إذ أنه في:

-٣ حالات ادين الجنود بالقتل غير المتعمد.

-٦ حالات ادينوا فيها بالتسبب بالموت نتيجة للاهمال.

-حالتان(٢) أدينوا بالتنكيل وبالتسبب باصابات.

-في ١٢ حالة ادينوا باستعمال السلاح بشكل غير قانوني (كما حدث للمعتدين الأربعة).

-حالة واحدة ادينوا بالسلوك المشين.

-حالة واحدة ادينوا بتهمة الاهمال في القيام بالوظيفة.

-١٠ حالات برئ الجنود من أية تهمة.

-حالة واحدة الغيت لائحة الاتهام تماما.

من الواضح اذن، ان هناك عنفا سياسيا شديدا وواسعا وخطيرا يمارسه الرجال الاسرائيليون ضد الفلسطينيين .تراكم هذه الممارسات خلق ظاهرة عامة وطامة من العنف عموما، وصل في مراحل عدة وباشكال عدة إلى المجتمع الاسرائيلي، جارفا.

ولعل قتل رئيس الحكومة **اسحاق رابين** ،هو الدليل الواضح على أن دورس العنف تلقوها من المناطق المحتلة ومنطق العنف جاء من منطق الاحتلال. فبعد عشرات السنين من التربية على العداء للعرب والاستعلاء عليهم،ومن الممارسات العتيقة التي تعامل العربي على أنه ليس انسانا، أصبح من الطبيعي أن يروا في رئيس الحكومة (حتى لو كان جنرالا عريقا مثل رابين)،عدوا لدودا يجوز قتله لانه يريد صنع السلام مع أولئك العرب. وكل هذا ينعكس على المجتمع.

بالطبع ، ان هناك ظاهرة ايجابية ، تكمن في يقظة المجتمع الإسرائيلي لأخطار العنف وفي اهتمام الحكومة بالدفاع عن نفسها واتخاذ خطوات ضد هذا العنف . ولكن ما جرى في الماضي اصبحت له جذور . ولا أحد يضمن علاجها بشكل فاعل الآن.

عـــام بعـــد بكيـــن

في ذكرى مرور عام على انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الرابع للمرأة في سبتمبر ١٩٩٥ بالعاصمة الصينية (بكين) والذى ألقى الضوء على أوضاع المرأة فى دول العالم المشاركة موضحاً مدى تأثير السياسات المحلية والدولية على تطور أوضاع المرأة ونصيبها من خطط التنمية،كان من الأساسى أن نتعرف على ماهية المرحلة التى وصلت إليها المرأة العربية خاصة فى ظل المتغيرات المتلاحقة التى تبدو للوهلة الأولى تغيرات سياسية واقتصادية . إلا أن نتائجها التى تمتد مؤثرة بشدة على المواطن العربى بصفة عامة تختص المرأة بنسبة عالية من التراجعات، حيث يثبت من خلالها حقيقة أن أشد الفئات تضرراً هى الفئات الأكثر فقراً،وليس خافيا على أحد بأن النساء هن الأكثر فقراً، من حيث فرص العمل والاكثر فقرا في المقاعد الدراسية.. والاكثر فقراً فى فرص الرعاية الصحية.

جيهان أبو زيد

تتشابك الاسباب ما بين تراثية واقتصادية وسياسية واجتماعية .. لكن المحصلة شديدة الوضوح .. أنها المصنف ذو الارقام الاخيرة في حركة تقدم الانسان.

-تلقى **عزة العطيفى**.. مدير ادارة شئون المرأة والأسرة بجامعة الدول العربية بمؤشرات هذا التنصيف من خلال استعراضها مع«**اليسار**» لأوضاع المرأة العربية في المرحلة الحالية قائلة:

إن الظروف التاريخية أرغمت المرأة فى الحضارات التقليدية على أن تصبح قوة عاطلة .. غير أن نمط الحياة المعاصرة يستدعى تغيير وضع المرأة اقتصاديا واجتماعيا وقانونيا ومهنيا فى مجمل الحياة العامة لتصبح طاقة إيجابية فى مواجهة متطلبات التنمية ، ولكى تتحول النساء إلى طاقة ايجابية علينا أن نتعامل مع نسبة الأمية الهائلة بين النساء ويكفى أن نعرف أن نسبة الأمية بين النساء البالغات فى الوطن العربى تصل إلى أعلى مستوى لها فى العالم كله. هذا الوضع من شأنه أن يهز مكانة الوطن العربى فى المستقبل القريب، بل أنه يمثل إجحافا بحق النساء العربيات، وما يعكسه عدم تعليمهن وأميتهن على تنشئة أجيال ضعيفة غير قادرة على المنافسة ومواجهة تحديات المستقبل. كما تنعكس أيضا على حقهن وفرصتهن فى التعليم. كذلك تمثل هذه الأمية تعطيلاً لرسالة التنمية.

وتضيف **عزة العطيفى** بأنه من المؤسف أن تصل أوضاع الأمية بين النساء العربيات **إلى ٧٠٪ فى اليمن والصومال والسودان وموريتانيا بينما تعدت ٦٠٪ فى مصر والمغرب، فى حين أنها انخفضت عن ٣٠٪ فى الأردن وقطر وهى أفضل** نسبة بين الأقطار العربية.

*** كان المتوقع أن نسبة تعليم النساء فى ازدياد لكن هذه الأرقام تشير إلى العكس؟.**

-بالطبع نسبة التعليم تزداد عاما بعد عام كذلك فان الاعداد الاجمالية للملتحقين بالمراحل الأربع من التعليم النظامى قد تضاعفت من عام ٧٥ إلى عام ١٩٩١ من ٢٤ مليون إلى ٥١ مليون إذن فالأمر لا يحتاج إلى جهد كبير للبرهنة على تقدم التعليم العربى فى العقدين الأخيرين سواء على المستوى الكمى أو الكيفى إلا أن هناك مشكلات كثيرة لا تزال لم تعرف طريقها للحل .. ويأتى فى مقدمتها العجز فى تعميم التعليم الابتدائى وتوفير الحد الأدنى من التعليم الأساسى للصغار والكبار.

*** إلى أى مدى ينعكس الوضع التعليمى للمرأة العربية على تواجدها فى مواقع العمل؟.**

-المرأة فى كثير من البلاد العربية قد تحملت الجزء الأكبر من انتشار البطالة كنتيجة لتطبيق برامج التعديل الهيكلى التى تتبناها عدد من الدول العربية، وإن كان التوثيق الاحصائى لهذه الظاهرة يفتقر

لمعلومات كافية. لكن بصفة عامة فان المرأة فى أقطار الوطن العربى تعمل فى عدد من المهن يعد أكثرها استقطابا وهو قطاع التعليم وإن كان يلاحظ بصفة عامة بأن عمل المرأة العربية يتركز فى القطاعات الحكومية أكثر منها فى قطاع العمل غير الحكومى،وعلى سبيل المثال فان ٣٥٪ من العمالة النسائية فى مصر تعمل فى القطاع الحكومى فى مقابل ١٤٫٨ فى القطاع غير الحكومى وهو ما أبرزه احصاء عام ٨٦.

أيضا بصورة عامة فان **قطاع الزراعة فى كل الدول العربية يستحوذ على النسبة الأكبر من الاناث العاملات فى القرى** وعلى سبيل المثال فى مصر فان معظم العمالة النسائية تتركز فى قطاع الزراعة حيث تبلغ ٦٧٪ ويليها قطاع الخدمات بنسبة ١٥٪ وذلك وفقاً لبيانات ١٩٨٨كما أن هناك اتجاهاً واضحاً نحو العمل بأعمال البيع وتربية الدواجن والصيد.. فى حين هناك انحفاض للتوجه نحو العمل بالمهن العلمية والفنية والخدمية.وقد يرجع ذلك إلى عدم وجود فرص عمل حقيقية أمام النساء للعمل بهذه الأنشطة. لذلك يتوجهن نحو الأنشطة التى لا تمثل فرص عمل حقيقية تنافسية. وربما يعكس ذلك أيضا الأوضاع والمستويات التعليمية للاناث.

وتشير عزة العطيفى إلى الوضع الاستثنائى للمرأة العراقية حيث انخفضت نسبة الإناث النشطات اقتصاديا من ١٧٫٤ من حجم قوة العمل عام ٧٧ لتصل إلى ٦٪ عام ٩٢ وبالطبع فان هذه الظاهرة ترتبط بظروف العراق التى مر بها خلال سنوات الحرب التى فرضت عليه وأيضا الحصار المفروض عليه منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن.

تضيف بأن حجم المعوقات التى تلاقيها المرأة لخوض مجال العمل يزداد يوماً بعد يوم خاصة فى ظل أنظمة اقتصادية تكرس التمييز ضد المرأة بدعوى الاعتبارات الاقتصادية وبالتالى فان فرصتها فى تنمية مهاراتها وإمكانياتها ضعيفة للغاية خاصة مع قصر فرص التدريب فى الغالب على الذكور فقط.

وتشير **عزة العطيفى** إلى أن حجم المعوقات التى تلاقيها المرأة لخوض مجال العمل يزداد يوماً بعد يوم خاصة فى ظل **أنظمة اقتصادية تكرس التمييز ضد المرأة بدعوى الاعتبارات الاقتصادية** وبالتالى فان فرصتها فى تنمية مهاراتها وامكانياتها ضعيفة للغاية ، خاصة مع قصر فرص التدريب فى الغالب على الذكور فقط. مما يشكل فرصاً متجددة لتطوير امكانيات العاملين من الذكور دون الاناث.

*** هل هناك معوقات خاصة لبعض الأقطار دون غيرها؟.**

هنا تجيب **ظبية خميس** الباحثة بادارة المرأة والأسرة بجامعة الدول العربية . أنه برغم الحاجة الملحة للأيدى العاملة في منطقة الخليج العربى فان المرأة كمساهمة محتملة فى القوة العاملة.. موضع إهمال ومورد غير مستغل.. ويرجع ذلك إلى الايمان التقليدى بشأن دور المرأة ،وانتفاء الحاجة المادية عند المرأة، لاسيما الكويت والامارات.. وتؤكد بأن مجال العمل الأكثر إبرازاً لمساهمة المرأة فى المنطقة هو التعليم والتمريض. لكن لو اردنا التعرف على مشاركة المرأة بصفة عامة كقوة فانه يصعب الحصول علي إحصا ئيات مكتملة في هذا الاطار كما يرتبط ذلك بالمفهوم المحدد للمرأة العاملة والقوة غير العاملة رسميا.**وفى معظم الدول العربية لم نجد إحصاء يشير إلى نسبة من يعملن من النساء بدون أجر سوى اليمن فقط والتى بلغت فيها ٦٨٪ وفقا لبيانات ١٩٩١.**

***كثيرا ما تتهم المرأة العربية بالسلبية والعزوف عن ممارسة حقوقها السياسية ، فكيف ترين ذلك ؟**

أتفق مع هذا الرأى ولكن أولا علينا إدراك الأسباب قبل أن يصبح هذا الرأى اتهاما فهناك عدة عوامل ساهمت فى عزوف النساء عنها.

ارتفاع نسبة الأمية وذلك رغم تزايد نسبة تعليم المرأة فى العقد الماضى فلا زالت الأمية تستوعب نسبة غالبة من النساء بصفة عامة.وفى الريف بصفة خاصة.أيضا شيوع الأفكار والقيم التى تؤكد على الدور المنزلى للمرأة وعلى ضعف امكانيات المرأة ودونيتها وقصورها وللأسف فان نفس تلك



الأفكار يعاد إنتاجها بطريقة أو بأخرى بواسطة بعض المناهج التعليمية والموارد الاعلامية.

كذلك فان **ضعف التنسيق بين المنظمات النسائية** على نحو لا يمكنها من تكتيل الجهود والموارد اللازمة لرفع مستوى الوعى السياسى للمرأة من جهة ،وحل مشكلة تصارع الأدوار التى تعانى منها المرأة من جهة أخرى. هذا بالاضافة إلى عدم الوعى المنتشر بين النساء بالحقوق الممنوحة أى بحقوقها القانونية وما كفلته لها التشريعات المختلفة. أيضا فان الفهم الخاطئ لما ورد من أحكام فى الشريعة الاسلامية يوقع النساء فى العديد من الضغوط ويعرضهن لنوع دائم من الابتزاز الذى لا مبرر له وليس له أى سند.

وتضيف **عزة العطيفى** بأن هناك دولاً حتى الآن **حجبت عن المرأة حقها فى الانتخاب والترشيح مثل الكويت والسعودية** بالاضافة إلى مشاركة ضعيفة للغاية فى معظم الدول خاصة حق الانتخاب.

من زاوية أخرى فان هناك بعض الدول تقدمت فيها المرأة فى عديد من المناصب التى كانت حكراً على الرجال، من قبل مثل . مناصب السلطة القضائية وتدرجت إلى قمة الجهاز القضائى لتصبح قاضية المحكمة العليا بالسودان ورئيس الجهاز القضائى بولاية الخرطوم.وفى المغرب يوجد ٢٥٤ قاضية يمثلن ١١ر٦ من جملة العاملين بجهاز القضاء. بينما تحاول معظم الدول العربية أن يتضمن جهازها الوزارى سيدة على الأقل.

*** نتجه إلى جانب آخر شديد الاهمية حيث تتزايد التصريحات فى كافة الأقطار حول زيادة الانفاق الصحى فما مدى ما تحظى به المرأة العربية من رعاية صحية؟.**

تبادر **عزة العطيفى** مدير ادارة المرأة والاسرة بجامعة الدول العربية قائلة: يعتبر الانفاق الصحى كنسبة مئوية من جملة الانفاق الحكومى بمثابة المرآة التى تعكس الفلسفة الاقتصادية والاجتماعية فى الأقطار المختلفة. وقد انعكست الزيادة في الانفاق الصحى على توقعات الحياة عند الولادة للنساء العربيات حيث يعد هذا المؤشر انعكاسا للظروف الصحية السائدة.

بينما **يعكس ارتفاع معدل وفيات الرضع من الإناث فى أقطار مثل مصر واليمن صورة محزنة للطفل العربى..** على أنه بالرغم من ذلك تعد الحالة الصحية للأم والطفل فى كافة الأقطار العربية متطورة للغاية بالقياس للأوضاع الصحية للمرأة العراقية بسبب الدمار الذى لحق بالبيئة الطبيعية من جراء الحرب.. وكذلك الحصار الاقتصادى الذى أثر سلبا على صحتها وعلى صحة أطفالها.كذلك فان الممارسات القمعية المستمرة ضد الأمهات الفلسطينيات في الأراضى المحتلة والأوضاع الصحية المتدنية فى المخيمات ونقص الخدمات الصحية فى المناطق المحتلة يترجم عن نفسه فى ارتفاع وفيات الأمهات بسبب الحمل والولادة الذى يصل إلى وفاة حالة لكل ألف حالة وارتفاع معدل وفيات الاناث ٤٢ لكل ١٠٠٠ طفل .وتضيف عزة العطيفى: بأن الأحوال الصحية للمرأة الخليجية تعتبر هى أفضل على الاطلاق بين النساء العربيات لما يتيحه تحسن الأحوال المادية من رعاية مناسبة للأم والطفل حيث يصل معدل وفيات الأمهات سنوياً بسبب الحمل والولادة لكل مائة ألف طفل إلى ٢حالة فى الامارات عام ٨٨-صفر فى الكويت. بينما تصل إلى ٣٣٢ حالة فى المغرب و ٤٠٠ حالة فى اليمن.

كذلك انخفض معدل وفيات الرضع من الاناث سنوياً والذين تقل أعمارهن عن سنة لكل ألف طفل يولدون أحياء إلى ١٠ر٦ فى الإمارات بينما تصل إلى ١١ فى قطر .. لكنها فى السودان تصل إلى ٦٤ر٩ وإلى ١٣٥ فى اليمن.

*** إلى أى مدى تمكنت ادارة المرأة من تحقيق بعض أهدافها؟.**

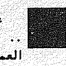
-أعتقد أن هذا السؤال صعب للغاية فليس خافيا على أحد أن هناك تفاوتاً كبيراً فى أوضاع الدول العربية وبالتالى أوضاع المرأة فيها فما تحاول تحقيقه من خطوات يعتبر انجازاً فى بعض الدول ويعتبر خطوة للوراء فى دول أخرى: أيضا تلعب الظروف السياسية دوراً أساسياً فى صعوبة إنجاز اهداف الادارة بالشكل الأمثل نظراً للمشاكل المتعددة بين أطراف عربية عديدة يستحيل معه أحيانا الوصول إلى قرار نهائى بشأن قضية ما. وربما كانت وثيقة بكين واحدة من هذه النماذج حيث ظلت حتى هذه اللحظة بعض الدول متحفظة عليها حتى أن مؤتمرا سوف يعقد بالأردن فى نهاية هذا الشهر لبحث كيفية تطبيق مقررات بكين بما يتلاءم مع القيم العربية وباستبعاد لكل نقاط الخلاف -كذلك وضع الأمانة العامة كسكرتارية وقراراتها غير ملزمة ويجعل بعض الدول تتقاعس عن الاهتمام بالقرارات الصادرة عن الأمانة العامة.

أخيرا فان الميزانية تعد من أكبر المعوقات ليس أمام إدارة المرأة فقط بل أمام معظم الإدارات لتنفيذ كثير من المشروعات المعدة والمرهونة داخل الادراج.

إدارة المرأة والأسرة بجامعة الدول العربية

انشات هذه الادارة عام ١٩٨٣ بقرار من الأمين العام لتصبح هذه الادارة هى الإدارة الفرعية السادسة المنبثقة من الادارة العامة للشئون الاجتماعية. كان من أهم أهداف الادارة :

- توعية الرأى العام بمشكلات المرأة والأسرة.
- استقراء أوضاع المرأة العربية الاقتصادية والاجتماعية خاصة فى الريف والبادية وتعريفها بطبيعة مشاركتها فى التنمية ودورها فى الأسرة والمجتمع.
- توجيه الدول الأعضاء إلى اجراء الدراسات النظرية حول دور المرأة فى التنمية.
- التعاون مع المنظمات الوطنية والعربية والدولية ذات العلاقة بمجالات المرأة والأسرة.
- وضع المشروعات النسائية والأسرية لانتشال الأسر والنساء من تحت وطأة الفقر.



على هاتين الصفحتين نعرف القارئ بأحدث ما تصدره المطابع العربية من عناوين .. لنختار منها ما يضيف إلي مكتبته، أو يحاول قراءتها في الكتبخانة العمومية.. ونلفت نظر الناشرين العرب الذين يرسلون إلينا باصداراتهم ،إلى أهمية ذكر أثمان بيع الكتب ، ليكون القارئ على نور قبل الشراء.

صلاح عيسى

☐ الكتاب: من ستالين إلى جورباتشوف..

☐ المؤلف: د. رمسيس عوض.

☐ الناشر: على نفقة المؤلف/ كمبيوتر جرافيك للطباعة/

☐ القاهرة ١٩٩٦/٣٨٧ صفحة/ قطع كبير.

هذا هو الكتاب الثالث الذي يواصل فيه د. «رمسيس عوض» ، تأريخه لأوضاع الأدب والأدباء، في ظل الحكم السوفيتي،بعد «أدباء روس منشقون في عهد ستالين» (١٩٩١) و «البرويسترويكا والأدب» (١٩٩٣).وتعتبر مقدمة هذا الكتاب الضافية،بمثابة فصل أخير للكتاب الأول ، لأنها تتحدث عن السيطرة الزدانونية على الأدب والفن خلال الحرب الثانية ،وتتوقف أمام المتاعب التي لقيها ثلاثة من الأدباء هم اليكس تولستوي وبانوفا وفيدين ، وساهم الانفراج الذي اعقب وفاة ستالين في بروز دور الأدب الذي ينقد التطبيق الاشتراكي فلمع اسما كل من الشاعر «يفتشنكو» والروائي «سولجنتسين» ،لكن الجليد ما لبث أن تراكم من جديد ، بعد سقوط خروشوف في عام ١٩٦٤ ، فهاجر سنيافسكى، سولجنتسين، وحوكم الأول ،وعاد مناخ الهيمنة يسيطر على الأدب الروسي، في عهدي بريجينيف إلى أن تولى غورباتشوف الأمور..

والمؤلف ،وهو ليبرالي، ينتقد بعنف ، ظروف السيطرة التي تعرض لها الأدب الروسي خلال الحقبة الاشتراكية.

☐ الكتاب: الاقباط بين الحرمان الكنسي والوطني

☐ المؤلف : سليمان شفيق. تقديم / د. مصطفى الفقي.

☐ الناشر: دار الأمين / القاهرة/ ١٩٩٦.

☐ ٢٢٠ صفحة / قطع كبير/ ١٢ جنيها مصريا.

كان مؤلف هذا الكتاب- وهو صحفي بجريدة الأهالي وباحث بمركز ابن خلدون للدراسات الانمائية -طرفا في المعركة التي اثيرت في عام ١٩٩٤ ، بشأن ادراج الاقباط ، ضمن الطوائف التي ينطبق عليها اعلان الأمم المتحدة لحقوق الأقليات ،والذي كان مقرراً أن يعقد حينذاك ، مؤتمر بالقاهرة لمناقشته.. لولا أن أعترض الاستاذ «محمد حسنين هيكل» على ذلك انطلاقا من رأيه بأن الاقباط ليسوا أقلية ،ولكنهم جزء من السبيكة المصرية، والنسيج الوطني، بما اثار جوا من عدم الارتياح للمؤتمر، أدى لانعقاده في ليماسول بقبرص ..

ويحكم عمله بمركز ابن خلدون ، منظم هذا المؤتمر، ومشاركته في تحرير الفصل الخاص بالاقباط في كتاب «الملل والنحل والاعراق في الوطن العربي»، فانه يعيد طرح قضية الاقباط بعيداً عن استحضار التاريخ لمجرد خلق مناخ من الطمأنينة وباعتبارها أزمة مواطنه، قانونية وسياسة وفكرية واجتماعية ،ويستعرض أشكال التمييز ضدهم ،بالقانون والعرف.. والعاده..

☐ الكتاب: بين عالمين (رجال الأعمال الفلسطينيون في الشتات وبناء الكيان الفلسطيني).

☐ المؤلف:د. ساري حنفي.

☐ الناشر:دار المستقبل العربي/ القاهرة-مؤسسة مواطن/ رام الله ١٩٩٦.

☐ ٢٦٤ صفحة.

يشرف مؤلف هذا الكتاب -على مشروع دراسة يمولها مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية في القاهرة «سيداج»،لتقييم الامكانيات التي قد يوفرها رجال الأعمال الفلسطينيون المقيمون في الخارج للدولة الفلسطينية في حال قيامها كتطور- لاحق لاتفاقيات أوسلو ،تقوم -عن طريق المقابلات الشخصية والمسح الميداني-باعداد دليل بالسير الشخصية لاهم رجال الاعمال من أصل فلسطيني في ١٨ دولة منها ١٠ بالشرق الاوسط و٤ في اوروبا ،و٥ في الامريكتين .ويستخلص هذا الكتاب من هذه المقابلات ، الملامح العامة لمجتمع رجال الأعمال الفلسطيني في ست من هذه الدول هي (أمريكا الشمالية الولايات المتحدة وكندا) ومصر وسوريا والامارات العربية (فضلاً عن الكيان الفلسطيني نفسه غزة والضفه) ،من حيث سماتهم المميزة، وحجم ممتلكاتهم ونفوذهم السياسي والاقتصادي وموقفهم من اتفاقيات-أوسلو ، ومن احتمالات اقامة الدولة . وتضم ملاحقه الأراضي المحتلة،والشركات المساهمة الفلسطينية التي انشأها رجال الأعمال.

وهو كتاب هام، يتطرق- ربما لأول مرة-إلى موضوع ظل غائباً عن الاهتمام، مع انه من أهم جوانب المسألة الفلسطينية.



☐ الكتاب : جيلي عبد الرحمن / شاعر الوقت في سياق آخر.
☐ اعداد وتحرير: الياس فتح الرحمن ود. حيدر ابراهيم علي.
☐ الناشر : مركز الدراسات السودانية / القاهرة ١٩٩٦
☐ ٣٠٤ صفحة / قطع كبير.

تعاون في اعداد هذا الكتاب، مجموعة من أصدقاء الشاعر السوداني الكبير «جيلي عبد الرحمن» ، وضمنه مجموعة الدراسات عن حياته وشعره،ومجموعة من الحوارات التي أجرتها معه مجلات ثقافية مصرية وسعودية ولبنانية ويمنية. فضلا عن مجموعة من الشهادات كتبها شعراء وأدباء ونقاد وصحفيين عرب وسودانيين ،عرفوه عن قرب ومختارات من دواوينه «قصائد من السودان» (١٩٥٦) «والجواد والسيف المكسور» (١٩٧٦) و«بوابات الموز الصفراء»، وديوان «الحريق وأحلام البلابل» الذي لم ينشر. ومختارات من دراساته النقدية، ودفاعه عن اطروحته للدكتوراة التي قدمها إلي معهد الاستشراق باكاديمية العلوم بموسكو عام ١٩٧٥ ،وكانت بعنوان نشأة وتطور القصة السودانية الحديثة.

اشترك في تأليف الكتاب ٢١ كاتبا مصريا وسودانيا.

☐ الكتاب: نشرات السينما في مصر/ اتجاهات نقدية.
☐ المؤلف: د. ناجي فوزي/ تقديم: د. مدكور ثابت.
☐ الناشر : المركز القومي للسينما/ ملفات السينما ٢.
☐ ٥٠٦ صفحات: ملخص بالانجليزية في ٤٦ صفحة.

يؤرخ هذا الكتاب لمصدر هام من مصادر النقد السينمائي هو النشرات السينمائية المتخصصة ،التي اصدرتها جمعيات أهلية، أو رسمية، أو مختلطة، مثل نشرة نادي السينما بالقاهرة التي أصدرتها جمعية نادي السينما بشكل أسبوعي منذ عام ١٩٦٨، وعجالات ندوة الفيلم المختار التي أصدرتها وزارة الثقافة عام ١٩٥٨ ونشرت جمعية الفيلم ونشرة مؤسسة السينما(١٩٦٥/١٩٦٧) ونشره المركز الفني للصور المرئية. وهي نشرات محدودة التوزيع، يقتصر توزيعها في الغالب على المهتمين، أو أعضاء النوادي والجمعيات التي تصدرها، وبعضها ينتظم في الصدور لفترة طويلة، بينما يصدر الآخر بشكل مؤقت كالنشرات التي تصدر في المهرجانات السينمائية أو المناسبات الخاصة.

وبسبب الجمهور الذي تتوجه إليه، فان هذه النشرات تنحو إلي العمق والتخصص.. وقد لعبت دوراً هاما في شحذ حاسة تذوق الفن السينمائي لدى الجمهور ،وفي خلق تيار من النقاد الجدد، أرتفع بمستوى النقد السينمائي وميز بينه وبين الدعاية الفجة.. أو الانطباعات العابرة..

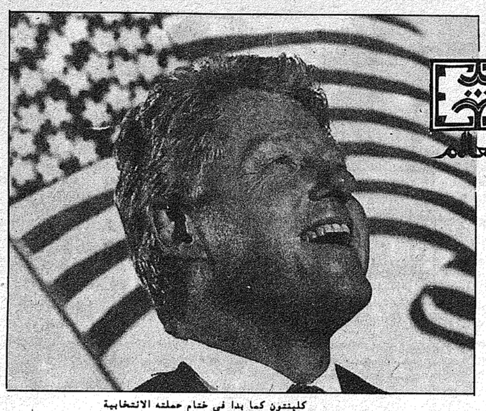
والكتاب هو الثاني من سلسلة ملفات السينما التي تصدر باشراف الدكتور مدكور ثابت.

☐ الكتاب: أزمة الليبرالية المعاصرة.
☐ المؤلف: سيد ياسين
☐ الناشر: جمعية النداء الجديد/ ندوات النداء الجديد، القاهرة ١٩٩٦.
☐ ٥٢ صفحة / قطع كبير/ توزع على الأعضاء والمهتمين.

«ندوات النداء الجديد» هي الاصدار الثالث لـ«جمعية النداء الجديد»-التجمع الفكرى لليبرالية المصرين المعاصرين-بعد «رسائل النداء الجديد»-وقد صدر منها حتى الآن ٢٧ رسالة تتضمنكل واحدة دراسة موجزة في احدى قضايا الفكر السياسي والاجتماعي، ونشرة النداء الجديد الشهرية، التي صدر منها هي الأخرى ما يقرب من ٣٠ عدداً، تتناول بالتعليق القضايا المطروحة في زمن صدورها.

ويأتي الاصدار الثالث «ندوات النداء الجديد»ليسجل المحاضرات والندوات التي تقيمها الجمعية في مقرها، وما يدور فيها من مناقشات، ويحفظها بذلك من التبدد ، ويتيح لمن لم يشهدها الفرصة للاحاطة بما دار فيها.

وقد تناول الاستاذ سيد ياسين فيمحاضرته خمس نقاط فاستعرض الليبرالية المصرية قبل عام ١٩٥٢،ثم احتجاب النظام الليبرالي في عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ثم اعادة تأسيس الفكر الليبرالي على المستوى العالمي، واعادة تأسيسه على المستوى المصري في جمعية النداء الجديد، وأخيرا تحدث عن الليبرالية في عصر الكونية.. وتبع ذلك مناقشة موسعه اشترك فيها عدد كبير من اساتذة الجامعات والصحفيين ورجال الأعمال..



كلينتون كما بدا فى ختام حملته الانتخابية

العالم

الخشية من الثورة

تحليل لدلالات الأرقام والحقائق فى الانتخابات الأمريكية

رسالة واشنطون

سمير كرم

* بعد انفاق ٢٠٠٠ مليون دولار على الحملة الانتخابية .. أدنى نسبة للاقبال على التصويت منذ عام ١٩٦١ .. وكلينتون انتخب بنسبة من أصوات الناخبين هى الأدنى منذ عام ١٨٢٤.

* هل نجح الاتحاد العام للعمال فى التأثير على النتائج.. أم أنه الخاسر الأكبر فى أول تجربة للانفاق على حملة ضد اليمين فى انتخابات عامة؟.

* النمط الواضح الوحيد فى التصويت: أصحاب الدخول الأدنى صوتوا لكلينتون .. والأعلى لدول.

* صحيفة حزب العمال الشيوعية: انتهت أغلى انتخابات فى التاريخ البشرى وحصلت الرأسمالية الأمريكية على ما دفعت ثمنه.

* معارك ما بعد النتائج بين البيت الأبيض والكونجرس تنذر بهزات سياسية مخيفة خلال الفترة المقبلة.

وفقا لتقليد قديم سائد منذ بدايات القرن الماضى تخصص معظم الصحف الأمريكية اليومية مقالها الافتتاحى -فى يوم يسبق بأيام قليلة موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية -لاعلان مبايعتها لهذا المرشح أو ذاك.

ولايبدو أن أحدا يعلق أهمية كبيرة على مبايعة صحيفة ما لمرشح ما للرئاسة . فهى لا تعد بأى حال عاملا مؤثرا على نتائج الانتخابات.. شأنها فى ذلك شأن عمليات استطلاع الرأى بين الناخبين التى تتوالى طوال فترة الحملة الانتخابية.

فى انتخابات الشهر الماضى حصل الرئيس **بيل كلينتون** على مبايعة كافة الصحف الأمريكية الكبرى ذات الوزن السياسى الثقيل- بما فيها« **نيويورك تايمز**» و «واشنطن **بوست**» و «**لوس انجليوس تايمز**» -وحصل أيضا على مبايعة «**وول ستريت جورنال**» أكبر الصحف تعبيرا عن اتجاهات الرأى فى قطاع رجال الأعمال والمؤسسات الاقتصادية.. والأهم فى سوق الأوراق المالية.

ولأن «مبايعة» هذه الصحيفة بالذات تحمل هذه الدلالة على أن رجال الأعمال ومؤسساتهم يريدون أن يبقى الرئيس كلينتون أربع سنوات أخرى فى البيت الأبيض، وهى دلالة لا تكون مباشرة وواضحة إلى هذا الحد حين تأتى المبايعة من أى صحيفة أخرى، فان **وول ستريت جورنال** حرصت على أن لا تنشر المقال الافتتاحى الذى أعلنت فيه مبايعتها للرئيس كلينتون إلا فى يوم ٤ نوفمبر ، أى فى اليوم السابق مباشرة على يوم الانتخابات. وهذا أمر منطقى ومتوقع ،وان كان قد جاء معاكسا تماما لما فعلته «**نيويورك تايمز**» -التى لا تقل تعبيرا عن مصالح قطاع الأعمال-حين نشرت مبايعتها لكلينتون قبل موعد الانتخابات بأسبوعين.

الأمر الذى يمكن تفسيره فى ضوء ما ساد كل المحافل السياسية والاعلامية ونتائج استطلاعات الرأى طوال الأشهر الستة الأخيرة من الحملة الانتخابية من تأكيدات متوالية بأن الفوز سيكون من نصيب كلينتون وأن فرصة حدوث مفاجأة يتقدم فيها منافسه الجمهورى **روبرت دول** .. وهو ما يزيل شبهة محاولة من جانب **نيويورك تايمز** للتأثير على قرار الناخبين.

لكن متابعة صحيفة «وول ستريت» لكلينتون قبل يوم واحد من يوم الانتخابات أنطوت على ما يشبه اللغز.

ففى مقالها الافتتاحى -وكان طويلا امتد على عمودين بطول الصفحة -رصدت الصحيفة بالتواريخ وبدقة كل التحولات والتغييرات التى طرأت على تركيبة إدارة كلينتون منذ تسلمه الرئاسة فى ٢٠ يناير ١٩٩٣ تحت تأثير تحقيقات متوالية تتعلق بتصرفات قديمة له وللسيدة الأولى **هيلارى كلينتون** أو افراد «الدائرة الضيقة» المحيطة بهما، أو تصرفات جديدة وقعت بعد أن أصبح كلينتون رجل البيت الأبيض.. مما أدى إلى فتح ملفات وإجراء تحقيقات بلا عدد فى قضايا **بعضها «أخلاقى» وبعضها «مالى» وبعضها «جنائى»**.

هكذا بدا من هذا المقال الافتتاحى وكأنه يقول: أربع سنوات أخرى من هذا القبيل. ولهذا بدا أن صحيفة «وول ستريت» تتابع وتحذر فى وقت واحد.

فلماذا لم تتابع «وول ستريت» المرشح الجمهورى دول بدلا من أن تتابع كلينتون بكشف حساب طويل «لفضائح البيت الأبيض» خلال سنواته الأربع الأولى».

لم تحاول صحيفة المال والأعمال الأمريكية تقديم اجابة عن هذا السؤال. أبقت اللغز كما هو.

غير أن الصفحة الأولى فيها فى اليوم نفسه الذى نشرت فيه هذه الافتتاحية تحتوى على حل لهذا اللغز، أغلب الظن أن الصحيفة لم تقصده. واذا كانت قد قصدته فمن الصعب تصور حدوث ربط فى أذهان الأمريكيين بين ما قالته فى مقالها الافتتاحى القابع على صفحة الرأى (ص٢٢) وما قالته فى تحقيق أطول كثيرا عن الانتخابات التى ستجرى غدا لكى يختار الأمريكيون واحدا من بين اثنين **(كلينتون ودول)** ليكون آخر رئيس لهم فى القرن العشرين وأول رئيس فى القرن الحادى والعشرين.

أهم ما قالته «**وول ستريت جورنال**» فى ذلك التحقيق- وهنا مفاجأة كبيرة-هو أن **هناك «خشية من الثورة وراء اختيار أمريكيا بين هذين المرشحين.. اللذين هما نتاج النظام السياسى، وقد سبق اختبارهما فيه وأظهرا قدرتهما على الاستمرار. كل منهما نشأ فى بلدة صغيرة فى ولاية يتركز شعورها على ذاتها. كل منهما (محام من حيث المهنة استخدم القانون منصة للقفز إلى حياة فى المعترك السياسى.. وكل منهما (على الرغم من الفارق فى العمر بينهما) رشح نفسه للمناصب العامة ٢٨ مرة .. أى أن البلد (أمريكا) ستختار بين مرشحين سياسيين محترفين»**.

قالت أيضا إن حالة الاقتصاد جيدة والمزاج العام السائد جيد .. ولهذا فان الناخبين يبدون مرتاحين ، لكن لا يمكن الزعم بأنهم سعداء إلى حد مثير للاختيار بين هذين الرجلين.

لكن استخدام عبارة «**هناك خشية من الثورة**» هو الذى يلفت النظر بل يفجر مفاجأة.. بقدر ما يثير تساؤلات بشأن ما تعنيه صحيفة رجال الأعمال.

عن أى ثورة تتحدث؟ غير واضح. من الذى يخشى الثورة؟ سؤال تتركه الصحيفة أيضا بلا جواب، سوى أن السياق يوحى بأن صحيفة «**وول ستريت**» تقول فى الحقيقة أنه فيما يتجاوز الاختيار بين كلينتون ودول تكمن احتمالات الثورة.. وأنه لابد أن يخشى الأمريكيون من هذه الاحتمالات، ولكى لا يذهب بنا الخيال بعيدا فانه ليس من المتصور أن «وول ستريت» تروج للخشية من ثورة عامة جماهيرية على غرار أى من الثورات التاريخية المعروفة. انما الخروج من دائرة الاختيار بين هذين المرشحين، أى الخروج من دائرة النظام السياسى السائد على أى نحو، حتى ولو كان باختيار مرشح مستقل أو مرشح لحزب ثالث(وقد كان هناك رسميا ١٢ مرشحا للرئاسة على قائمة الانتخاب) هو «ثورة» ويمكن وفق تقدير صحيفة المال والأعمال الأمريكية -أن تحدث من الهزات والقلاقل ما تحدث ثورة يخرج فيها الامريكيون إلى شوارع المدن مطالبين بالتغيير.

مع ذلك فان هذه الاشارة إلى وجود «خشية من الثورة» **تشكل تشخيصا صريحا بل وجريئا لوضع يشعر الأمريكيون فيه-بأغلبية تفوق تلك التى انتخبت بيل كلينتون لفترة رئاسة ثانية يوم ٥ نوفمبر الماضى- بأنه لا خيار حقيقيا لهم فى ظل الوضع الراهن.. فى ظل «النظام السياسى» بالصورة التى وصل إليها**.

وإذا كان قد تردد آلاف المرات -قبل فوز كلينتون وبعده- أنه أول رئيس من الحزب الديمقراطى ينتخب لفترة رئاسة ثانية منذ نحو ٦٠ عاما، وكان الأخير قبله هو الرئيس **تيودور روزفلت** .. إلا أن ما هو أهم كثيرا من هذا أن **عدد الناخبين الذين توجهوا إلى صناديق الاقتراع يوم ٥ نوفمبر شكل أدنى نسبة منذ ٧٢ عاما** . حتى أن «لجنة دراسة الناخبين الأمريكيين»(وهى جمعية أهلية) أصدرت تقريراً يوم ١٤ نوفمبر (بعد ٩ أيام/ من الانتخابات) أظهر أن **٤٩ بالمائة فقط من الناخبين المسجلين أدلوا فعلا بأصواتهم ، مقابل ٥٥ بالمائة فى انتخابات الرئاسة الماضية عام ١٩٩٢**.وكانت أعلى نسبة فى انتخابات الرئاسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تلك التى سجلت فى انتخابات عام ١٩٦٠ التى فاز فيها جون كينيدى على ريتشارد نيكسون، حيث كانت نسبة الذين أدلوا بأصواتهم إلى أولئك المسجلين فى قوائم الناخبين ١ر٦٣ بالمائة.

بل أن تقرير اللجنة المذكورة يكشف عن أن الرئيس الفائز بأربع سنوات أخرى فى البيت الأبيض**قد حصل على نسبة ٢٣ر٨ بالمائة من أصوات الناخبين المسجلين ،وهى أدنى نسبة فى تاريخ انتخابات الرئاسة منذ انتخاب الرئيس كوينسى آدامز فى عام ١٨٢٤.. أى منذ ١٧٢ عاما (..)**.

ولاحظ التقرير- ضمن تفصيلات عديدة تعرض لها- أن نسبة الأمريكيين الذين أدلوا بأصواتهم فى انتخابات الشهر الماضى كانت أدنى منها فى انتخابات عام ١٩٩٢ فى كافة الولايات الامريكية الخمسين بلا استثناء ، حتى أن **نسبتهم انخفضت فى بعض الولايات بنسبة ٣٨ بالمائة**، اذ كانت٦٦ بالمائة فى عام ١٩٩٢ وهبطت إلى ٢٨ بالمائة فقط فى انتخابات ١٩٩٦(أرقام ولاية أوريجيون).

وشهد على هبوط حماس الناخبين للآدلاء بأصواتهم فى انتخابات الرئاسة إلى حد أن

نسبة من ذهبوا فعلا إلى صناديق الاقتراع **اكتفوا باختيار مرشحهم المفضل للكونجرس ، ولم يأبهوا بتحديد اختيارهم لمرشح للرئاسة على البطاقة الانتخابية ذاتها.**

ولابد من تأمل هذه الأرقام فى شيوع حقيقتين : أولاهما أنه حدث **زيادة بمقدار ٧ ملايين صوت فى أعداد الناخبين المسجلين على قوائم الانتخاب هذا العام**،وأنه حدثت زيادة قياسية فى قيمة الأموال التى أنفقت على الحملة الانتخابية.

واستكمالا للصورة الرقمية لعملية الانتخاب -التى تعد فى النظام الأمريكى «أعلى أشكال الممارسة الديمقراطية» وأعلى أشكال المشاركة فى السلطة»- نتبين أن هناك مجموعة من التناقضات المثيرة للدهشة فى النتائج ومقارناتها مع نتائج الانتخابات السابقة.

وأكبر هذه التناقضات يكمن فى التفاوت الكبير بين ما حصل عليه المرشحان للرئاسة من الأصوات الشعبية . أى أصوات الناخبين المباشرة- وأصوات أعضاء «المجمع الانتخابى» وهم الذين يملكون القول الفصل بشأن تحديد من الفائز بالرئاسة.

فقد حصل كلينتون على **٣٧٩ من أصوات أعضاء «المجمع الانتخابى» وعلى ٤٩ بالمائة من الأصوات الشعبية للناخبين الذين أدلوا فعلا بأصواتهم** . أما المرشح الجمهورى دول فقد حصل على**١٥٩ صوتا من «المجمع الانتخابى» مع أن نسبة الأصوات الشعبية التى حصل عليها كانت ٤١ بالمائة** . ويرجع هذا التفاوت إلى أن الدستور الأمريكى يقضى بأن من يفوز بأغلبية الأصوات فى ولاية ما-حتى ولو بفارق صوت واحد- يحصل على كل الأصوات التى تحتل هذه الولاية فى «المجمع الانتخابى» .والأصوات التى تملكها الولايات فى «المجمع الانتخابى» تختلف باختلاف تعدادها السكانى. وعلى سبيل المثال فان لولاية كاليفورنيا الأكبر من حيث تعداد السكان بين الولايات المتحدة- ٥٤ صوتا فى المجمع الانتخابى، أما ولاية أوريجون -مثلا- فلها ثلاثة أصوات فقط فيه.

من ناحية أخرى فان أغرب التفسيرات لفوز كلينتون بالرئاسة ومن الناحية الاحصائية -كان التفسير القائل بأنه **فاز بفضل أصوات النساء**،إذن أنه حصل على نسبة **٥٤ بالمائة من أصوات النساء** **(و٤٣ بالمائة من أصوات الرجال)**

أما دول فقد حصل على نسبة ٣٨ بالمائة من أصوات النساء (و٤٤ بالمائة من أصوات الرجال).

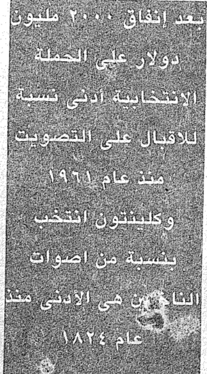
لكن نظرة سريعة إلى طريقة تصويت النساء فى انتخابات الرئاسة الأمريكية السابقة تكشف عن أن أصواتهن ذهبت دائما إلى المرشح الذى فاز بالرئاسة ديمقراطيا أو جمهوريا.. بل تكشف عن أن بعض المرشحين المحافظين الذين لا يمكن اعتبارهم من أنصار قضايا المرأة حصلوا فى انتخابات سابقة على نسب أعلى من تلك التى حصل عليها كلينتون هذا العام من أصوات النساء. وعلى سبيل المثال فان **ريتشارد نيكسون** حصل على نسبة **٦١ بالمائة من أصوات النساء** فى انتخابات ١٩٧٢، كما أن **رونالد ريجان** حصل على نسبة ٥٦ بالمائة من أصواتهن فى انتخابات عام ١٩٨٤،وهى نسب أعلى كثيرا مما حصل عليه كلينتون فى انتخابات هذا العام على الرغم من أنه يعد أكثر الرؤساء الأمريكيين-فى هذا القرن- تأييدا لقضايا المرأة (وبالأخص فى معركة الابقاء على شرعية الاجهاض فى وجه معارضة شرسة من التيارات المحافظة).

وبينما ساد الرأى القائل بأن أصوات النساء هى التى رجحت فوز كلينتون فان الآراء اختلفت بين المحللين السياسيين حول **دلالة تصويت الناخبين المنتمين إلى نقابات عمالية.**. ومع أن هؤلاء صوتوا بنسبة **٥٩ بالمائة لكلينتون و٣٠ بالمائة لمنافسه دول** . إلا أن غالبية المحللين آثرت اغفال تأثير هذه «الفئة» من الناخبين على النتيجة، والاهتمام أكثر من هذا بضعف تأثير أصوات المنتمين للنقابات العمالية على نتائج انتخابات الكونجرس ، بل أن بعض المحللين كتب **أن تأثير الأصوات العمالية قد غاب فى هذه الانتخابات.** وخرجت **«وول ستريت جورنال» عن اتزانها لتقول ان الخاسر الأكبر في انتخابات نوفمبر لم يكن روبرت دول بل جون سويني رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال الأمريكية الذى وقف وراء قرار الاتحاد بانفاق ٣٧ مليون دولار فى الحملة الانتخابية وكان هدفه اسقاط دول وحرمان الجمهوريين من السيطرة على مجلس الكونجرس.**

وعندما هللت صحيفة **«واشنطن تايمز»** ذات الاتجاه اليمينى المحافظ لنجاح الجمهوريين فى الاحتفاظ باغلبيتهم فى مجلس الشيوخ والنواب واعتبرته بمثابة **«صفعة» من الناخبين الأمريكيين لنقابات العمال ردا على حملة الاتحاد العام الاعلانية ضد المرشحين الجمهوريين.**

وقد استفزت طريقة اليمين الأمريكى فى مهاجمة دور اتحاد العمال فى الحملة الانتخابية حتى المحللين الليبرالين . وعلى سبيل المثال فان الكاتب الليبرالى **أى. جى. ديون** كتب مقالات صحفية **«واشنطن بوست» (١٢ / ١١/ ٩٦)** قال فيه: **«إذا أردت أن تسمع صوت انفجار نووى من الجمهوريين فما عليك إلا أن تنطق بكلمة «نقابات»** .والجمهوريون فى حالة غضب عارم بسبب جهود قطاع العمال لازاحتهم عن الأغلبية فى الكونجرس . ويوازى تعبير «النقابات العمالية الكبرى» عندهم تعبير «اليمين الدينى المتطرف عند الديمقراطيين».

ومع أن ديون يسلم بأن هناك بعض الصحة فى القول بأن نقابات العمال قد أخفقت فى حملتها لحرمان الجمهوريين اليمينيين من الأغلبية فى الكونجرس إلا أنه يحذر من أن هؤلاء- وخاصة- زعيمهم **نيوت جينجريتش**(الذى احتفظ بمركزه كرئيس لمجلس النواب- ينوون شن هجوم شرس على العمال ونقاباتهم واتحادهم ، وأنه لا ينتظر



من الكونجرس ذى الأغلبية الجمهورية أن يوافق خلال السنتين القادمتين (حتى موعد انتخابات الكونجرس التالية فى عام ١٩٩٨) على أى تشريع أو مشروع من شأنه مساعدة العمال، بل أنه سيختار حيثما استطاع -أن يلحق الأذى بهم.

والحقيقة أن نتائج الانتخابات الأمريكية الأخيرة لا تدل أبدا على أن الاتحاد العام للعمال قد فشل تماما فى دوره فى الحملة الانتخابية .وقد ذكر **ستيف روزنتال** المدير السياسى للاتحاد أن **حملة الاتحاد ركزت هجومها على ٤٥ من أعضاء الكونجرس الأكثر يمينية.. وتمكنت من إسقاط ١٩ منهم** . واذا لاحظنا أن القاعدةأن ٩٠ بالمائة من أعضاء الكونجرس الذين يعيدون ترشيح أنفسهم لفترة أخرى يفوزون فان اتحاد العمال يكون قد حقق انجازا كبيرا حين تمكن من اسقاط ١٩ من ٤٥ ، ان هذا العدد يثبت أن الاتحاد حقق نسبة جيدة جدا.

فى الوقت نفسه فقد أظهرت النتائج أن نسبة الذين أدلوا بأصواتهم من أفراد عائلات ينتمى رب الأسرة فيها إلى نقابة عمالية قد ارتفعت فى وقت انحدرت فيه نسبة الذين أدلوا بأصواتهم من «الفئات» الأخرى من الناخبين.

لكن الأمر الأجدر بالملاحظة هنا، أنه بينما صرخ اليمين الجمهورى بأعلى صوت منددا بما يصفه بأنه «**محاولة اتحاد العمال شراء الكونجرس**» (بالانفاق على حملة ضد اليمين الجمهورى) فان احدا **لم يوجه هذا الاتهام نفسه إلى قطاع الأعمال والمؤسسات الكبرى التى أنفقت على مرشحين بعينهم فى هذه الانتخابات مبالغ تفوق عشرات المرات المبلغ الذى يعتمده اتحاد العمال فى محاولة لحماية مصالح الطبقة العاملة من أن تقع ضحية الأغلبية اليمينية مرة أخرى**. ويعرف الجميع أنه ليس بمقدور العمال الأمريكيين ، ومهما كانت درجة حماس اتحادهم فى عهده الجديد للعب دور سياسى تقدمى ومؤثر، أن يوفروا من الأموال ما يمكنهم من منافسة الشركات الكبرى والبنوك و«رأس المال الكبير» بشكل عام فى قدرته على التأثير على نتائج الانتخابات ، بل شرائها وشراء من يسهم فى فوزهم وشراء مواقفهم وأصواتهم داخل الكونجرس.

لهذا يقول الكاتب الليبرالى **ديون** : الآن وقد حاولت نقابات العمال تمثيل مصالح أعضائها بانفاق الأموال فانها قد تكتشف أنها يمكن أن تحقق لهم ما هو أكثر بالحد من دور النقود.. فان الاتحادات لن تقدر أبدا على مجاراة الافراد الاثرياء، وجماعات المصالح فيما تستطيع أن تسكبة من أموال فى هذا الصراع».

وأيا كان الموقف الذى سيتخذه العمال الأمريكيون- من خلال اتحادهم أو من خلال أية تنظيمات سياسية أو جماهيرية- حول طريقة وأساليب خوضهم المعركة والمعارك الانتخابية التالية، فان الشئ الوحيد المؤكد هو أنهم عازمون على أن لا يدعوا القوى المضادة لمصالحهم تحجب دورهم كما فعلت فى الماضى. واذا كان **أى. جى. ديون** محقا فى القول بأن نقابات العمال قد تجد أن من الأجدى الحد من دور النقود، فان من المؤكد أنها ستسعى إلى الحد من دور النقود التى تخرج إلى الحملات الانتخابية من خزائن «رأس المال الكبير» وليس فقط الحد من دور النقود التى تحاول الاسهام بها هذه النقابات نفسها.

لقد فتحت مشاركة الاتحاد العام للعمال فى الحملة الانتخابية هذا العام بابا يصعب إغلاقه بوجهها مرة أخرى، وهو باب المشاركة السياسية ،وليس باب المشاركة المالية. ولو أننا عدنا إلى أرقام النتائج التى أسفرت عنها الانتخابات لتبينا- بالاضافة إلى كل ما سبق- أن أوضح أنماط التصويت كانت تلك المتعلقة بالمستوى المالى للناخبين ، فى حين أن كل الأنماط الأخرى اعتراها التناقض أو التفاوت.. وأحيانا غياب النمط كلية.

أظهرت النتائج أنه ابتداء من الناخبين فى أدنى سلم الدخول المالية (وهو أقل من ١٥ ألف دولار سنويا) حتى أعلى شريحة فيه(فوق ١٠٠ ألف دولار سنويا) كانت النسبة الأكبر من نصيب كلينتون وظلت تهبط النسبة التى حصل عليها حتى بلغت أدناها فى حالة أعلى مستويات الدخول.

ولنوضح المقصود أكثر فان **٥٩ بالمائة من ذوى الدخل الأدنى من الناخبين (أقل من ١٥ ألف دولار سنويا) صوتوا لصالح كلينتون** ، بينما صوتت نسبة ٢٨ بالمائة فقط منهم لصالح دول . وننتقل إلى الفئة التالية، وهم **الذين تتراوح دخولهم السنوية بين ١٥ ألفا و ٢٩ ألف دولار فنجد أن نسبة الذين صوتوا لصالح كلينتون بلغت ٥٣ بالمائة**(٣٦ بالمائة لدول). ثم تهبط النسبة مرة أخرى إلى **٤٨ بالمائة** بين أصحاب الدخول التى تتراوح بين **٣٠ ألف دولار و٤٩ ألف دولار** ، وتهبط أيضا إلى **٤٤ بالمائة بين أصحاب الدخول التى تتجاوز ٥٠ ألف دولار**، وإلى **٤١ بالمائة بين أصحاب الدخول التى تتجاوز ٧٥ ألف دولار** ، ثم إلى **٣٨** بالمائة بين أصحاب الدخول التى **تتجاوز ١٠٠ ألف دولار**.(وبطبيعة الحال فان هذا الهبوط التدريجي والنمطى فى نسبة الذين صوتوا لكلينتون مع الصعود فى مستوى دخولهم، رافقه صعود تدريجى ونمطى أيضا فى نسبة الذين صوتوا لدول لنجد أن أصحاب الدخول العليا التى تتجاوز ١٠٠



دول يحطس خلال مهرجان انتخابى والى جانبه زوجته

ألف دولار صوتوا لصالح دول بنسبة ٥٤ بالمائة.

واذا كان مفهوما أن كلينتون -على الرغم من كل تراجعاته وتنازلاته التى أخذته بعيدا عن المواقف التقليدية للحزب الديمقراطى يبقى **مرشح الطبقات الفقيرة**، وأن المنافس الجمهورى دول يبقى **مرشح الطبقات الغنية**.. فان أوضح دلالات الأرقام فى الانتخابات الأخيرة تشير إلى أن الفقراء لعبوادورا لا يمكن انكاره فى نجاح كلينتون.وبين هؤلاء العمال النقابيون .. وطبعا غير النقابيين(..).

وقد قيل الكثير - أكثر مما قيل عن أى جانب آخر من جوانب نتائج الانتخابات الأمريكية- عن مغزى فوز كلينتون الديمقراطى بأربع سنوات أخرى فى الرئاسة، وفوز الجمهوريين ، مرة أخرى ، بأغلبية مقاعد مجلس الكونجرس.

قيل أن الناخبين الأمريكيين أصبحوا يميلون إلى تقسيم السلطة بين الحزبين ،حتى لا ينفرد أحدهما، كما حدث كثيرا من قبل، بالسلطتين التنفيذية والتشريعية، بمعنى أن الشعب الأمريكى يريد أن يجعل كلا من الحزبين رقيبا على الآخر.

قيل أن الناخبين بهذه النتيجة المزدوجة والمتناقضة. كافأوا كلينتون على نجاح سياسته الاقتصادية . لكنهم عاقبوه على اخفاقاته الأخلاقية والادارية المتمثلة فى قائمة طويلة من الفضائح.

قيل أن الناخبين الأمريكيين أصبحوا فى معركة مزاجية ساخرة ،ولهذا أفرزوا نتائج تبقى كلينتون فى البيت الأبيض ولكن تحت رحمة أغلبية جمهورية عازمة على أن تواصل التحقيقات السياسية والأخلاقية والجنائية معه.. وربما يصل الأمر إلى حد محاكمته ، أو محاكمة زوجته، أو اجباره على ترك البيت الأبيض قبل نهاية فترة الرئاسة الثانية التى فاز فيها. بمعنى أوضح فان الرأى العام الأمريكى- حسب هذا الرأى-يبحث عن الاثارة . يريد أن يتتبع مسلسلاً دراميا مثيرا على مسرح الواقع السياسى ربما لا يقل اثارة عن محاكمة النجم الرياضى، والتلفزيونى السابق، أو جى. سيمبسون.

وقيل أيضا أنه لاشئ مقصود من وراء هذه النتائج ، انها عشوائية العملية الانتخابية وغياب الثقة عامة بالمؤسسات ، فضلا عن تراجع أهمية الدور السياسى للحزبين، حيث **أصبح الناخب الأمريكى يصوت لشخص فرد غير عابئ بانتمائه الحزبى، ينطبق هذا على الرئيس كما ينطبق على أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب.**

ولعل هذا التفسير الأخير أقرب إلى الواقعية ، إذ أن من الأمور التى تدحض القول بأن الناخبين الأمريكيين قصدوا إلى تقسيم «الغنيمة» (وهى فى هذه الحالة السلطة) بين رئيس ديمقراطى وكونجرس جمهورى، ما كشفته الاحصاءات من أن **نسبة ٨٤ بالمائة من الناخبين الذين أعطوا أصواتهم لكلينتون قد صوتوا أيضا لمرشحين ديمقراطيين فى دوائرهم الانتخابية.**

لقد احتفظ المال بدوره فى الانتخابات ،فى انتخابات الرئاسة ولكن بالأخص فى انتخابات الكونجرس .. وخرج منها الفائز الأكبر لا يختلف الأمر هذه السنة عن سنة ٩٤ عندما استولى الجمهوريون على أغلبية مقاعد مجلس النواب والشيوخ (لأول مرة منذ ٤٠ عاما) كما لا يختلف عن سنة ٩٢ عندما فاز كلينتون وأصبح بذلك أول رئيس ديمقراطى يدخل البيت الأبيض منذ انتخابات عام ٧٦ (التى فاز فيها كارتر).. أو عن أى انتخابات سابقة.

لقد أعلن «**مركز سياسات الاستجابة**»- وهو مركز أهلى آخر يرصد العملية الانتخابية والأنشطة السياسية للحزبين الكبيرين والادارات الأمريكية المتعاقبة والكونجرس- أن**مبلغا يصل إلى نحو ملياري دولار قد أنفق على انتخابات هذا العام (أى سبعة أمثال المبلغ الذى أنفقه الاتحاد العام للعمال)** وهو أعلى رقم بالمقارنة للانتخابات السابقة فى أى سنة. مما يؤكد صحة ما قالته صحيفة «**ووركرز وورلد**» (عالم العمال) الشيوعية الأمريكية (١٤/ ١١/ ٩٦):«**لقد انتهت أغلى انتخابات فى التاريخ البشرى ،وحصلت الطبقة الرأسمالية الأمريكية على ما دفعت ثمنه.**لقد تآمر بيل كلينتون وبوب دول لقمع كل القضايا التى تهم العمال والفقراء. لهذا فالانتخابات لم تسفر عن شئ لهم .. ان تدنى أعداد الناخبين المشاركين فى التصويت يعنى عادة- أن عدداً أقل من العمال الفقراء عامة ذهب إلى صناديق الاقتراع. الأمر الذى دفع بالنتائج نحو اليمين. إن أولئك الذين هم أكثر سخطا ازاء الأمر الواقع لم يروا حلولا لمشكلاتهم فى هذه الانتخابات.. لقد ادرك كثيرون انعدام الخيار. لهذا فان **نحو ١٠٠ مليون أمريكى من الناخبين المسجلين امتنعوا عن التصويت.وهذا عدد يفوق الذين صوتوا ،والذى بلغ ٩٦ مليونا..** إن حكم الديمقراطيين والجمهوريين هذا مصمم لتنفيذ برنامج ضد الطبقة العاملة ويكشف عن تحالف كلا الحزبين مع الاغنياء. ولهذا فانه يتيح فرصة لانتزاع الحركة العمالية من الديمقراطيين ووضعها على الطريق نحو صراع مستقل».

وفى تحليل ثاقب كتب المعلق السياسى الشيوعى **شيلى إيتنجر** «ان قبضة اليمين- وهى قبضة الرأسمالية الحاكمة- محكمة على العملية الانتخابية ،وعلى الرغم من أن هناك علامات على وجود مقاومة ضد الاجتياح الرجعى ، إلا أنه باستثناء حالات قليلة فان السياسيين الأمريكيين يتراوحون بين اليمين واليمين المتطرف».

والآن ماذا؟ ماذا بعد النتائج ومؤشراتها ودلالاتها؟

السؤال -بين من لا تشغلهم قضايا الناس العاديين بشأن نفقات المعيشة ونفقات الرعاية الصحية ونفقات تعليم الأبناء ونفقات الاسكان .. الخ-هو عن شكل العلاقات بين جناحى السلطة بين **البيت الأبيض(كلينتون) والكونجرس (بزعامة الجمهوريين)**. هل تقوم هدنة بين الطرفين باعتبار أن نتيجة الانتخابات-كما قال كلينتون- توجه رسالة من الشعب الأمريكى إلى الديمقراطيين والجمهوريين بأن عليهم أن يتعاونوا لا أن يتصارعوا.. أم أن الجمهوريين سيتصرفون على أساس أن نتائج الانتخابات -كما قال أحد معلقيهم الاذاعيين- تعنى أن الأمريكيين يقولون «لقد أعدنا اليكم بيل كلينتون حتى تستطيعوا مواصلة التحقيقات وكشف ما جرى خلال السنوات الأربع الأولى من رئاسته؟».

المواطن الأمريكى العادى يتمنى -وهو لا يملك إلا أن يتمنى -أن تقوم علاقة تعاون لا مجابهة بين البيت الأبيض والكونجرس خلال الفترة القادمة، لأنه يعرف أنه الخاسر الأكبر من اضاعة الجهد والوقت والمال فى معارك الفضائح.

لكن الدلائل تشير إلى أن أمريكا معرضة خلال الفترة التالية لهزات عنيفة وربما كان محقا أحد القادة الجمهوريين فى مجلس الشيوخ حين وصفها بأنها «**ستكون أحداث فضيحة ووتر جيت(فى السبعينيات) بالنسبة اليها مجرد نزهة**».

وربما كانت محقة -بعد كل شئ ورغم كل شئ -صحيفة «**وول ستريت**»فى قولها الغامض أن أمريكا أقدمت على انتخابات ٥ نوفمبر بشعور الخشية من الثورة.. أى الاختيار بين مرشحين تجمع بينهما الرغبة فى تجنب الثورة.

لكن هل يمكن اعتبار نتائج الانتخابات الأخيرة كفيلة بتجنب الثورة.. حتى ولو فى «أهدأ أشكالها ،وهو البحث عن طريقة لانهاء الحكم الجمهورى -الديمقراطى»؟



سبتمبر الأسود..

الذى لم يقع

رسالة باريس

نجلاء العمرى

فى الخامس عشر من شهر نوفمبر ١٩٩٥، وقف رئيس الوزراء الفرنسى الجديد- **آلان جوبيه**- على منصة الجمعية الوطنية ليقدم مشروعه الخاص بتعديل **نظام الضمان الاجتماعى** ووقف النواب ليصفقوا لهذه المبادرة «الشجاعة» . ولكن ،سرعان ما اشتعل الشارع لتشهد فرنسا حركة احتجاجات وإضرابات شلت البلاد لمدة شهر كامل، عرفت فيما بعد بحركة ديسمبر

وفى **الخامس عشر فى شهر نوفمبر ١٩٩٦**،أى بعد مرور عام بالتمام والكمال على تقديم خطته ، لا زال جوبيه على رأس الوزارة رغم هبوط الخط البيانى لشعبيته إلى حد لم تشهده فرنسا فى تاريخها على الاطلاق. ولا تخلو مناسبة دون أن يؤكد رئيس الدولة **جاك شيراك** على تمسكه برئيس وزرائه.وفى الشارع ، حاولت النقابات ان تحيى ذكرى احتجاج العام الماضى. والحصيلة كانت : بضع مئات ،وفى أفضل الأحوال ، عدة آلاف لا يمكنها بأية حال من الأحوال أن تقاس بموجة الغضب التى اجتاحت البلاد وشلتها العام الماضى. ففى العاصمة «باريس»، خرج تلبية لنداء النقابات المختلفة يوم السبت السادس عشر من نوفمبر ، ووفقا لتقديرات منظمى المظاهرة، **٢٥ ألف متظاهر** .بينما ذكرت تقارير الشرطة عدد **الخمسة آلاف فقط**. فمن المعتاد أن تعلن سلطات الأمن نحو ربع ما يعلنه منظمو المظاهرات. وتقوم وسائل الاعلام بذكر الرقمين معاً تاركة بذلك لكل من يرغب أن يختار من بينهما الرقم الذى يلائمه. ولذلك ربما كانت حركة المواصلات مؤشرا أكثر مصداقية ودلالة. فلا يمكن أن ننسى أن توقف المترو فى العاصمة فى ديسمبر ١٩٩٥ كان اكتمالا للصورة ولحالة الشلل .أما فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٦، وكانت نسبة التشغيل فى المترو -رغم الاضراب المعلن- تتراوح ما بين ٧٠٪ و ١٠٠٪ على بعض الخطوط. وهكذا، أمضى الباريسيون يوم إضراب هادئ جدا.ومضت الذكرى الأولى لمشروع الحكومة دون أن تشهد فرنسا-وكما تنبأ بذلك الكثيرون- « **سبتمبر اسود** » أو «موسماً سياسياً جديداً أسود لحكومة جوبيه؟ فماذا حدث لحركة ديسمبر ١٩٩٥؟.

التركيبة النقابية

وهى من العوامل الهامة لمحاولة فهم ضعف الحشد الجماهيرى الذى ميز ذكرى إعلان الحكومة لمشروعها . فالحركة النقابية فى فرنسا تقود ثلاث نقابات كبرى هى: الكونفدرالية العامة للعمل «السى. جى . تى» ،والقوى العاملة ،والكونفدرالية الفرنسية الديمقراطية للعمل. والصراع مع الحكومة أبرز بأكثر من أى وقت سابق الشقاق بين هذه النقابات الثلاث، وهو شقاق بالأساس فى قمة الهرم. والتصالح فيما بينها والذى جسدته صورة **مارك بونديل** سكرتير القوى العاملة وهو يمد يده ليصافح**لوى فانيه** سكرتير الكونفدرالية العامة واعتبرتها وسائل الاعلام سابقة لم تحدث منذ ١٩٤٧- كان قصير العمر للغاية. فمع مرور الوقت ، عادت العلاقة و لسابق عهدها.

فمن البداية ، تميزت « **الكونفدرالية الفرنسية**» بتأييدها لأهم ما جاء فى مشروع الحكومة وهو الجزء الخاص بالتأمين الصحى،وطوال العام المنصرم ، تلاقت مواقفها مع سياسة الحكومة. وكان من نتيجة ذلك «مكافأة» ،سكرتيرة الكونفدرالية «**نيقول نوتا**» بانجاحها فى انتزاع رئاسة«**الصندوق القومى للتأمين الصحى**» بما يشكل من أهمية من منافسها «**مارك بونديل**» الذى كان سابقامضرباً من اليمين. وبذلك ،لم يعد من الممكن أمام «نوتا» أن تتواجد فى الشارع مع أعضاء نقابتها للهتاف ضد الحكومة. وعندما حاولت الانضمام إلى مظاهرات أكتوبر الماضى تعرضت لاعتداءات استدعت اجلاءها على الفور من المكان تحت هتافات « **نوتا وجوبيه، مشروع واحد**».

والوحدة التى فرضتها تلقائية أحداث العام الفائت على كلا النقابتين الاخرتين لم تعد ممكنة. وبالتالى ، عجزت مظاهرات ذكرى عام على مشروع الحكومة عن أن ترفع لافتات موحدة يضاف إلى ذلك، تفتيت من نوع آخر بقيام نقابتين جديدتين تمخضتا عن أحداث العام المنصرم، الأولى خاصة بالسكك الحديدية ،والأخرى بالتعليم وإن لم تتضح

حتى الآن مكانتهما على الخريطة النقابية.

تركيبة الطبقة الوسطى

وتشكل **الطبقة الوسطى** القطاع الأكبر من الشعب الفرنسي وتحدد الدراسات الاقتصادية الاجتماعية، بالفئات التى يتراوح دخلها الشهرى ما بين ثمانية آلاف إلى خمسة وعشرين ألف فرنك. وهى تضم بذلك **الكوادر والمزارعين وبعض المهنيين** . أى أنها تشكل هوية موحدة على مستوى الدخل وعلى مستوى المشكلات التى تواجهها والتى يمكن إجمالها فى ثلاث:**الضرائب المفروضة عليها، ومشكلة ايجاد السكن الملائم واخيرا مشكلة تعليم الابناء**. ولكنها،وعلى الرغم من هوية المشكلات والدخل ، متعددة الأوضاع المهنية بحكم ضمها لفئات غير متجانسة على النحو الذى ذكرناه سابقا. وقد ظهر عدم التجانس فبدا فى قيام كل فئة. بتحديد يوم مختلف للتظاهر والإضراب. فخرج **موظفو البنوك** يوم الخامس عشر من نوفمبر **ومعهم الصحفيون** ، بينما تظاهر **الأطباء** قبل ذلك بشهر- ١٧ أكتوبر، وخرج معهم فى ذات اليوم،**موظفو الحكومة**. وكان من تأثير ذلك إظهار مطالب هذه الطبقة،على أنها مطالب فئوية لا مطالب اجتماعية عامة. وانقسم الرأى العام حولها فيما يشبه اتهام البعض للبعض الآخر بمحاولة الحفاظ على مكتسباته على حساب الآخرين. والجدل كان أشد فيما يتعلق بموظفى الحكومة وما أثاره من انتقادات قطاعات واسعة من الرأى العام خاصة من جانب العاملين بالقطاع الخاص- أى الأكثر تهديدا بالفصل- والعاطلين عن العمل . فقد رأوا فى مطالب الموظفين مطالب غير مشروعة تحت مبرر«**أنه حتى ولو كانت المرتبات ضئيلة، فالموظفون يتمتعون على الأقل بضمانة العمل مدى الحياة**».

المكتسبات

ومع ذلك ، فان حالة الغليان لا تزال قائمة. والشعور العام هو الخوف من المستقبل **واليأس من السياسة** كما عبر عن ذلك مندوبو النقابات فى تعليقهم على إعلان الحزب الاشتراكى لبرنامجه البديل لبرنامج الحكومة. وهو ما اضطر أحد قادة الحزب الاشتراكى إلى الرد قائلا: **إن التحدى الذى نواجهه هو أن نثبت للجماهير أن التغيير السياسى- ويعنى بذلك وصول الاشتراكيين للحكم مرة أخرى- هو بالفعل سياسة جديدة؟**.

وشعار «**سياسة جديدة**» بدأ يشق طريقه داخل الأغلبية ذاتها. فالذين تصدوا لاخر عمليات التخصيص- وهى عملية تخصيص مجموعة بنوك **CIC**- كانوا من الأغلبية الحاكمة وعلى رأسهم **ريمون بار**-رئيس الوزراء السابق وعمدة مدينة ليون .ونتيجة للحملة التى قادها **بار** من داخل الأغلبية، تراجعت الحكومة عن تخصيص المجموعة بعد أن كانت قد وافقت على العملية لجنة«التخصيص». والجدل لا يزال محتدماً بشأن بيع الدولة **لشركة طومسون للالكترونيات** -إحدى أهم الشركات الفرنسية فى مجال تصنيع أجهزة الاتصالات الحربية- وباعتها الحكومة بمبلغ فرنك واحد فقط لا غير، مبررة ذلك بالديون المتراكمة على الشركة.

ومشروع «جوبيه» لتعديل نظام التأمين الاجتماعى، وإن كان قد استطاع إنقاذ جوهره، إلا أن تطبيقه تعترضه عقبات كثيرة ويتم بخطى بطيئة للغاية.**المسألة الاجتماعية أصبحت فى قلب الجدل على الساحة السياسية،وفى قلب الجدل حول الوحدة الأوروبية. وشعار «السياسة الوحيدة الممكنة» الذى ترفضه الحكومة فيما تتخذه من إجراءات بات مثارا للخلاف .. وبذلك يكون غضب ديسمبر ١٩٩٥ قد فتح الطريق أمام سياسات أخرى بديلة ،وإن كانت حتى الآن متعثرة.**



صورة من المظاهرات فى باريس فى ذكرى الاضراب الأولى

النقابات الفرنسية الرئيسية

* **الكونفدرالية العامة للعمل:C.G.T**انشئت عام ١٨٩٥. وشهدت أول انشقاق لها عام ١٩٢١، ثم توحدت عام ١٩٣٦، لينشق عنها فيما بعد«القوى العاملة» عام ١٩٤٧.

* **القوى العاملة .F.O نشأت عن انشقاق عن C.G.T**عام ١٩٤٧ .وتعد قريبة من قوى اليمين.

الكونفدرالية الفرنسية الديمقراطية للعملC.F.D.T: يعود انشاؤها الى ١٩١٩ عندما قامت الكونفدرالية الفرنسية للعاملين المسيحيين معبرة عن الاشتراكية المسيحية.وفى عام ١٩٦٤ ،فى محاولة لتخفيف الطابع الدينى، أعلنت النقابة تحت اسمها الحالى.



إسرائيلي

يحكم مجلس الأمن الروسي!



الحكم والأحزاب والمال والصحافة والاعلام

رسالة موسكو

أحمد الخميسي

وصل نفوذ الحركة الصهيونية في روسيا حد أن مواطنا اسرائيليا هو **بوريس بيريزوفسكي** أصبح مساعدا لسكرتير مجلس الأمن القومي في مجال الشئون الاقتصادية، مما أثار -مع الاعتراضات الشديدة- جانبا من الصراع اليهودي الروسي التاريخي داخل المجتمع.

وما زالت غالبية الروس ترى أن اليهود هم سبب كل الكوارث التي لحقت بروسيا،**فقسم كبير من الشيوعيين يعتبرون أن اليهود كانوا حصان طروادة في هدم الاتحاد السوفيتي والاشتراكية** . أما القوميون ،الذين يعتبرون أن الاشتراكية كانت «كارثة» فانهم لا يجدون إلا اليهود قوة رئيسية وراء البلاشفة بل ولا يتعففون في سبيل التدليل على ذلك عن **اتهام لينين نفسه بأنه يهودي** كما هي الحال في مقال **فالنتين بروساكوف** (١) بصحيفة **البرافدا** الروسية.وفي الحالتين يصبح اليهود لسبب ما القوة الفاعلة الأساسية في التحولات وفي أضدادها: فمرة هم سبب الاشتراكية، ومرة هم سبب تقويضها .

ومع المبالغة التي تنطوي عليها النظرتان إلا أنهما تعكسان شأن ذلك الصراع والعلاقة المعقدة مع اليهود الذين يقدر عددهم اليوم داخل روسيا بحوالي **ثلاثة ملايين** ،ويشكلون عشرة بالمائة من سكان موسكو أي حوالي مليون وثمانمائة ألف. ولا يدخل في ذلك بالطبع تعداد اليهود في **أكرانيا** وغيرها من الجمهوريات السوفيتية السابقة.

ويعد تمركز اليهود عدديا في روسيا ظاهرة تاريخية **فبينما كان عددهم في العالم عام ١٨٥٠ أقل بقليل من خمسة ملايين ،كان نصف ذلك العدد متمركزا في روسيا، وبولندا التي خضعت للامبراورية الروسية في حينه**.وفي أواخر القرن ١٩ وفقا لتعداد السكان الروسي عام **١٨٩٧**وصل عددهم في الأمبراطورية وحدها لأكثر من **خمسة ملايين من أصل عشرة ملايين ونصف المليون في العالم.**

ولكن عدد اليهود الذي تضاءل فيما بعد في روسيا لأسباب كثيرة لم يمنعهم في أغلب الفترات من التأثيروالوصول لدائرة الحكم والسيطرة على المراكز الاقتصادية ويستشهد **ماركس** في مقاله حول المسألة اليهودية بقول **ب. باوير:«إن اليهودي الذي يطيقونه بالكادفي فيينا يقرر**

بسلطته المالية مصير الأمبراطورية كلها، أما اليهودى الذى قد لا يتمتع بأية حقوق فى أصغر دولة من الدول الألمانية فانه يقرر مصير أوروبا». ويعلق ماركس على هذا بقوله «إنها ليست ظاهرة نادرة». وفى ٣ أكتوبر عام ١٩٠٢ أوردت مجلة «فوسخود» اليهودية نقلا عن الوزارة القيصرية أنه من أصل ٧٧٥٠ مشروعا صناعيا يملك اليهود ٢٩٣٣ يعمل فيها ٣٦٪ من مجموع الأيدى العاملة التى كانت تنتج ٢٨٪ من إجمالى الانتاج. وعام ١٩١٤ كان ٤٠٪ من مديرى البنوك فى العاصمة بطرسبورج من اليهود، وكانت معظم مناجم الذهب والبلاتين ملكا لهم، وحتى عام ١٩١٧ كان رأس المال اليهودى يملك فى روسيا ٣١،٥٪ من مصانع السكر، و٣٠٪ من مصانع النسيج، و٩٣٪ من تجارة الحبوب، و٧٠٪ من تجارة الأخشاب(٢). لكن اليهود تجنبوا تاريخيا الاشتغال فى الزراعة والصناعة وكل ما يربطهم بالاستقرار، وحتى عام ١٩١٤ كان عدد العمال اليهود فى روسيا ضئيلا بحيث لم يتجاوز ثلاثمائة ألف، لكن ثلثى ذلك العدد ممن سجلوا أنفسهم عمالا ومزارعين كانوا تجارا. **وأدى اشتغال اليهود أساسا بالعمليات المصرفية والتجارية والربوية إلى مراكمة حالة من العداء الشعبى الروسى لهم**، وهو ما دفع **لينين** لأن يقول عنهم: **«إن اليهود تجار فى الأساس»(٣)**.

ويحفل التاريخ الروسى بانفجارات العداء التى كانت تصل لحد المذابح كتلك التى وقعت فى **أوديسا عام ١٨٧١**، ثم المذابح التى تفشى وباؤها عام ١٨٨١، ثم المذبحة الشهيرة التى وقعت فى مدينة **كيشينوف عام ١٩٠٣**، ثم مدينة **لوجانسك عام ١٩٠٦**. وقد كتب **فيختفانجر** اليهودى الأصل فى روايته «**الدوقة**» أن: «سبب ملاحقة اليهود .. رأسمالهم وسندات المدينين لهم. وهل ثمة وسيلة أضمن من قتل اليهودى الدائن للتخلص من الدين؟»(٤). وتضافرت طبيعة الأنشطة اليهودية المالية والتجارية مع ظهور الدعوة الصهيونية فى أواخر القرن ١٩ مما أدى لمزيد من انعزال اليهود التلقائى وعزلهم المتعمد لتأجيج حلمهم بالحلم الصهيونى. وانتشرت ظاهرة الجيتو فى الأمبراطورية الروسية.

جورباتشوف

وحتى عام ١٩١٧ كان معتنقو الديانة اليهودية فى الأمبراطورية الروسية يخضعون لتقييدات تعين لهم «مناطق استيطان محددة» كما كان محظورا عليهم الاقامة فى العواصم والمدن الكبرى فى روسيا وأكرانيا. وبحلول ثورة أكتوبر ١٩١٧ اختفت تلك القوانين وكان يمكن لليهود أن يذوبوا فى روسيا كما كان لينين يدعو بالحاح، مؤكدا عام ١٩٠٣ على أن «**فكرة القومية اليهودية تحمل طابعا رجعيا تماما ليس فقط عند أنصارها الثابتين بل وعند الذين يحاولون التوفيق بينها وبين أفكار الاشتراكية الديمقراطية»(٥)**.

وتوضيحا لهذه الفكرة قال فى «ملاحظات نقدية حول المسألة القومية»: إن اليهود فى العالم المتمدين ليسوا أمة حيث أنهم ذابوا أكثر من غيرهم» وكان يمكن لليهود أن يستمروا فى الذوبان الذى رصده لينين **لولا قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ الأمر الذى حول اليهودى إلى صهيونى بعد أن وجدت تطلعاته مرتكزا لها على أرض الواقع**. وبعد أن كانت اليهودية ديانة كالديانات الأخرى انقلبت إلى لب وجوهر لعقيدة سياسية. **فثمة فارق حاسم بين اليهودية قبل ١٩٤٨، وبينها بعد انشاء الدولة الاسرائيلية**. وعندما طرحت قضية **حزب البوند القومى اليهودى** فى روسيا كتب **بليخانوف** عن البونديين: **«أنهم صهاينة يريدون ترسيخ صهيون فى الدولة وليس فى فلسطين(٦)**.

وبعد أن كانت مشكلات العلاقة بين اليهود والروس محصورة فى الكراهية لقسم من السكان يتجنب الانخراط فى مجالات الكدح ويمارس الأنشطة الربوية والتجارية والريعية، أضاف ظهور دولة اسرائيل عاملا آخر مستجدا لتلك المشكلات: **الولاء المزدوج لذلك القسم من السكان الذى يحيا فى روسيا ويتطلع بقلبه ووفائه لدولة أخرى بعيدة لم يرها قط من قبل**. وبعد نكسة ٦٧ تزايدت الهجرة من الاتحاد السوفيتى إلى اسرائيل، وكان المواطنون الروس البسطاء يحسون ببساطة أن اليهود خدعوهم، ويعبرون عن ذلك بقولهم «**عاشوا معنا كل هذه السنوات، وفجأة يتركونا جماعات لدولة أخرى؟**».

وعندما يتأمل الوطنيون الروس الآن تاريخ التحولات الأخيرة فى الاتحاد السوفيتى فانهم يمسكون بمصادفة- وقد تكون مصادفة بالفعل لا أكثر- لكنها مصادفة غريبة: **فقد كان مهندس البيروسترويكا أو أبوها كما يقولون الكسندر ياكفيلف يهوديا، ثم كان مهندس الاصلاحات الاقتصادية الأول الذى دمر الاقتصاد الروسى يجور جايدار يهوديا، ثم كان مهندس أوسع عملية نهب تحت عنوان الخصخصة وهو أناتولى تشوبايس يهوديا أيضا**.

ويروى رئيس المخابرات السوفيتية السابق **فلاديمير كريتشكوف** الذى شارك فى الانقلاب على **جورباتشوف** فى أغسطس ٩١- بملاحظة أنه رئيس للكى جى بى- قائلا: «لا يرجع انهيار الاتحاد السوفيتى لأسباب موضوعية ولكن نتيجة لعناصر ذاتية، أى لسلوك وحركة أشخاص محددين. وقد وقف شخصان اثنان عند رأس عملية الانهيار **جورباتشوف والكسندر ياكفليف**.. اللذين يأملان فى الاحتفاظ بأسرارهما القذرة.. لماذا كان الاثنان يدعوان لفترة طويلة لشئ بينما يقومان فى الواقع بتنفيذ جريمة خيانة شعبهما؟.. وما زلت أذكر فى حديث مع القائد السوفيتى السابق **يورى اندروبوف** قول أحدهم «**إن ياكفليف معاد للسوفيت**».. وبدءا من عام ١٩٦٠ بدأت المخابرات السوفيتية تتلقى معلومات عن **اتصال ياكفلوفيف بالامريكيين عندما كان يدرس كمبعوث سوفيتى** فى جامعة كولومبيا بأمريكا، وعام ١٩٨٩ تلقينا معلومات مؤكدة هذه المرة عن علاقته بالمخابرات الأمريكية.. وعندما أدرك أن الكى جى بى على علم بذلك حاول تصوير الأمر وكأنه كان يسعى بتلك الاتصالات



يلتسين بين ابنتيه قبيل خضوعه لجراحة فى القلب

للحصول على معلومات لصالح الاتحاد السوفيتى..(٧).

والآن لنعد إلى مطلع المقال، إلى تعيين **بوريس بيريزوفسكى** الذى يحمل جواز سفر اسرائيلى مساعدا لسكرتير مجلس الأمن القومى الروسى!.

لقد احتج**جينادى سيلزنيف** رئيس مجلس الدوما(أحد مجلسى البرلمان) واحتجت معه على ذلك التعيين أغلب الأحزاب والحركات السياسية.

لأن**بيريزوفسكى** ليس فقط أحد أكبر رجال الأعمال فى روسيا **وأحد أكبر تجار النفط والسلاح وصاحب أكبر احتكار لمصانع السيارات «لوجوفاز»** بل ولأنه أيضا **يسيطر على معظم الوسائل الاعلامية الروسية وخاصة القنوات التلفزيونية**التى يتمتع فيها بحصة ضخمة.

وتنشر صحيفة **«زافترا»** قائمة توضح مدى نفوذ «اليهودى الذى يقرر بسلطته المالية مصير الأمبراطورية كلها».

وبداية يتربع على قمة الحكم فى مؤسسة الرئاسة التى تسيطر مع مجلس الوزراء **أناتولى تشوبايس** اليهودى نائب رئيس الوزراء وأول وزير للخصخصة،ومدير الحملة الانتخابية ليلتسين، ويطلق عليه الشعب الروسى **«الكاردينال الأشقر»** .

الكسندر ليفشيتس وزير المالية فى الحكومة الحالية ومستشار يلتسين سابقا للشئون الاقتصادية.

ستاروف مساعد الرئيس.

يرجى ياسترجيمبسكى الناطق الصحفى باسم الرئيس .

أورسون نائب وزير الاقتصاد.

فلاديمير ريسين النائب الأول لرئيس حكومة موسكو.**لوشكوف.**

الكسندر شوخين نائب رئيس مجلس الدوما.

الفرد جوخ وزير الخصخصة الجديد.

يفجينى بريماكوف وزير الخارجية وقبله **آندريه كوزيريف** (أيضا يهودى).

الجنرال ليف روخلين رئيس لجنة الشئون الدفاعية بالدوما.

ريم فياخروف رئيس مجلس ادارة أضخم مؤسسة صناعية فى روسيا «فازبروم».

يورى باتورين سكرتير مجلس الدفاع.

وفى مجلس الأمن القومى **بوريس بيريزوفسكى** ..

وفى مجالات المال يسيطر اليهود على أكبر البنوك فى روسيا بدءا من **السكندر سولينسكى** رئيس مجلس ادارة بنك **«ستوليتشنى»**،**وفلاديمير جوسينسكى** رئيس بنك **« موست بنك» وميخائيل خودروكوفسكى« بنك ميناتيب»**

وفيتالى مالكين «بنك روسيسكى كريديت» ،**وميخائيل فردمان بنك «الفا بنك»**

وفى الحركة السياسية يبرز ثلاثة زعماء هم **فلاديمير جيرنوفسكى**(الحزب الديمقراطى الليبرالى) ،**وجريجورى يافلينسكى** (كتلة يابلوكو)، ثم رئيس الوزراء السابق **يجور جايدار** وحزبه خيار روسيا.

وفى المجال الاعلامى فان أكبر أربع صحف روسية تقع بالكامل تحت سيطرة اليهود إما برؤساء التحرير أو بالنفوذ فيها وهى :**سيفودنيا وكوميرسانت ونيزافيسميا وازفستيا** علاوة على عشرات الصحف الصغيرة.

وتهدد الأطماع اليهودية **«بترسيخ صهيون فى الدولة الروسية»** بانفجارات حادة فى علاقة الشعب الروسى بالفئات اليهودية ،خاصة عندما تصل الوقاحة حد تعيين مواطن اسرائيلى فى أعلى المناصب القيادية بالدولة مواطن لا يذكر حصوله على جواز سفر اسرائيلى بل ويمرح علنا فى صحيفة ازفستيا بأن **«كل مواطن يهودى فى روسيا هو اسرائيلى بالضرورة»**!.

إن اليهود الذين يخصون اسرائيل بكل ولائهم يعيدون تاريخهم السابق فى روسيا القيصرية بالسيطرة على مصادر الثروة فى روسيا الان ويحرثون بذلك التربة لاحياء المذابح القديمة خاصة فى ظروف البؤس الاقتصادى الحاد الذى يعيش فيه الشعب الروسى.

الهوامش:

١- صحيفة برافدا عدد ١ نوفمبر ١٩٩٦.

٢- ليف كورنييف- جوهر الصهيونية الطبقى- دار ابن رشد عام ١٩٨٦.

٣- لينين المؤلفات مجلد ٢٤ ص٣٩٤.

٤- ليف كورنييف -نفس الكتاب ص٥٩.

٥- لينين المؤلفات-المجلد ٨ ص٧٤.

٦- بليخانوف موسكو لينينجراد ١٩٢٦ المجلد ١٣ ص ١٦٥.

٧- فلاديمير كريتشكوف-كتاب «قضية شخصية» موسكو١٩٩٦ الجزء الأول ص٢٩٣-٢٩٧.

٨-صحيفة زافترا العدد ٢٩ عام ٩٦.



مؤتمر النقابات الألمانية يدعو للدفاع عن الدولة الاجتماعية

الدولة أطلقت العنان لقوى السوق المدمرة.. والنقابات

تطالب باستراتيجية اصلاح اجتماعى أيكولوجى

اختتم فى يوم السبت ١٦ نوفمبر فى مدينة **درسدن** مؤتمر **اتحاد النقابات الألمانى** الذى يوحد خمس عشرة نقابة تضم نحو ٩٫٥ مليون من العمال والموظفين المنظمين نقابيا . وجاء انعقاد المؤتمر فى فترة صعبة بالنسبة للحركة العمالية الألمانية . إذ تمارس الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية والسياسية ضغطا شديدا على كل الحركة العمالية . ففى ظل **البطالة المتفشية والتراجع المتواصل للحزب الاجتماعى الديمقراطى عن الأهداف والمطالب الاجتماعية والسياسية** يصعب على الحركة النقابية أن تدافع بنجاح عن انجازاتها ناهيك عن تحقيق مكاسب جديدة . وتنعكس خسائر الحركة النقابية أيضا فى **انحسارها التنظيمى إذ ترك النقابات ٢٫٥ مليون عضو بين سنة ١٩٩١ وسنة ١٩٩٥** .ويعنى هذا أن قوتها التمثيلية تتضاءل اضافة لاستفحال المشاكل المالية للحركة النقابية فهى لاتملك مصدر تمويل سوى اشتراكات أعضائها . للمقارنة نذكر أن عدد النقابيين المنظمين فى ألمانيا الشرقية وحدها فى عام ١٩٨٩ كان يقدر بنحو ٧٫٨ مليون عضو مع العلم بأن سكان ألمانيا الشرقية يمثلون فقط خمس سكان ألمانيا الموحدة.

وتأتى الأهمية الخاصة لمؤتمر اتحاد النقابات الألمانى من أنه أول مؤتمر للاتحاد يطرح للنقاش قضايا التوجه الاستراتيجى لحركة نقابية كبيرة فى دولة رأسمالية متقدمة بعد انتهاء المواجهة بين النظامين العالميين.

" مؤتمر الإصلاح"

المؤتمر الذى سمى "**مؤتمر الإصلاح**" جاء ليبحث عن استراتيجية جديدة للحركة النقابية الألمانية فى مواجهة المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية الكبرى بعد الوحدة الألمانية ، والمتغيرات التى تشهدها القارة الأوروبية متمثلة فى **زحف التاتشرية أو الرأسمالية المنفلتة بما يعنيه ذلك من القضاء على مكاسب تاريخية للعمال والموظفين.**

تمثل الموضوع الرئيسى للمؤتمر فى النقاش حول مشروع البرنامج الجديد لاتحاد النقابات والذى منذ طرحه فى صيف هذا العام أثار حسب تعبير اليومية الليبرالية **تاتس** " انتفاضة" وسط القواعد النقابية . وقد لقيت موضوعاته الرئيسية انتقادات أساسية من رئاسات عدد من النقابات الكبيرة . وتراوحت الآراء بين وصم مشروع البرنامج بأنه **ليس سوى عملية " توفيق جبانة" مع الرأسمالية** ، وبين مدحه لأن به **تخلص البرنامج من شعارات الصراع الطبقى القديمة** .وطالب النقابيون باجراء ٥٣٧ تعديلا على البرنامج الذى لاتزيد عدد صفحاته عن ٣٤ صفحة

موضوعات الخلاف

اتحاد النقابات الألمانى لم يعترف يوما ما بأهمية وجود نظام اشتراكى عالمى كعامل خارجى يؤثر ايجابا على نضال الحركة العمالية من أجل مستوى حياة أفضل للعاملين . ولكن محاولته الراهنة المتمثلة فى مشروع البرنامج الجديد لتحديد موقع النقابات وأهداف العمل النقابى فى العالم الذى تغير من الأساس جاءت لتؤكد **فداحة الخسارة التى مثلها غياب ذلك العامل الخارجى** .يتبين هذا فى **غياب المطلب النقابى القديم الذى تضمنه برنامج ١٩٨١ بتأميم الصناعات الرئيسية**،وهو مطلب لم يكن يعنى القضاء على الرأسمالية وإنما إيجاد أداة فاعلة للتأثير على تطور الانتاج الاجتماعى خارجة عن السيطرة المطلقة للرأسمال.

ومن أكثر الأطروحات التى تعرضت للانتقاد والرفض قبل المؤتمر ماجاء به المشروع الجديد ورفضه المؤتمر فى قوله " **لتحقيق أهداف النقابات فان نظام اقتصاد السوق الاجتماعى أفضل من النظم الاقتصادية الأخرى** "هذه الصياغة التى رفضها المؤتمر أريد بها الإعلان لأول مرة عن تبنى النقابات لنظام " اقتصاديات السوق الاجتماعية" وكانت الوثائق البرنامجية لاتحاد النقابات الألمانى – رغم أنه كان عنصرا أساسيا فى الحياة السياسية لألمانيا الاتحادية الرأسمالية – **تتضمن توجها انتقادياً واضحا للرأسمالية** .وقد فشل واضعو المشروع فى تمرير هذه الموضوعة أيضا لأن الزمان والمكان الذى جرى فيه النقاش لم يكن مناسبا لاطلاق المدائح **لنظام يقلص يوما بعد يوم من الحقوق والخدمات الاجتماعية وحكم على نحو ٧ ملايين انسان فى ألمانيا بالبطالة** .بدلا من الصياغة السابقة أقر المؤتمر الجملة التالية: **اقتصاد السوق الموجه اجتماعيا يمثل تقدما تاريخيا كبيرا بالنسبة للرأسمالية المنفلتة** ".هذا بالطبع لم يعجب اتحاد أصحاب الأعمال والتحالف المسيحى الليبرالى الحاكم فانتقد ممثلوهم النقابات لأنها لم تنجح فى أن تتبنى " نظام اقتصاد السوق الحر" بلا تردد.

وأحد جوانب الصراع فى المؤتمر تمثل فى الاختلاف من جهة بين الاعتراف بالاطار

رسالة ألمانيا

نبيل يعقوب

المجتمعي القائم الذي تريد النقابات إصلاحه ، أي احتفاظها كمنظمة اجتماعية مستقلة بحقها في السعي لصياغة الأطر المجتمعية تحقيقا لمصالح من تمثلهم ، ومن جهة أخرى بين أن تتبنى النقابات النظام وبالتالي سياساته فتفقد بذلك فعليا قدرتها على العمل كممثل مستقل لمصالح أعضائها وتصبح إلى هذا الحد أو ذاك ذيلا لسياسات الرأسمال.

رغم التنازلات حافظت النقابات على استقلالها

المشروع الذي أقره المؤتمر يختلف كثيرا عن المشروع المقدم للمؤتمر وقد تفادت هيئة الصياغة صراعا أشد بأن قدمت للمؤتمرين بدائل متخذة من التعديلات الكثيرة التي قدمتها النقابات قبل المؤتمر.

أقر المؤتمرون صيغة عن موقع النقابات ودورها في المجتمع "**كمنظمة نضالية تدافع عن مصالح محددة وهي تمثل حركة إصلاح اجتماعي**". وتنص ديباجة البرنامج الجديد **على مقاومة النقابات " لانعطاف النظام نحو اليمين وضد السير نحو رأسمالية منفلتة"**. ويحدد البرنامج هدف السياسة الاجتماعية في "**الحفاظ على مستوى المعيشة المحقق**" ويعكس هذا التحديد الطابع الدفاعي والمحدود لبرنامج واحد من أكبر الاتحادات النقابية الموحدة في أوروبا والعالم . ونذكر هنا بأن النقابات الألمانية تتعرض باستمرار لانتقادات واسعة بسبب عدم اهتمامها بشكل كاف بالعاطلين عن العمل . هؤلاء لن تنفعهم بالقطع صيغة الحفاظ على مستوى معيشتهم المنخفض . وقد بين تركيب المؤتمرين أن **العاطلين لم يكونوا ممثلين رغم أن اتحاد النقابات يضم مليون عضو من العاطلين عن العمل.**

ولكن اليسار النقابي نجح رغم " روح العصر" في إقرار عدد من الصياغات الهامة انطلاقا من تقاليد الحركة النقابية الألمانية ، وتراثها الطويل في الصراع ضد الاستغلال الرأسمالي . فأقر المؤتمر صيغة تصف النقابات بأنها قوة اجتماعية مضادة" تحول دون تدمير الحقوق والمكتسبات الاجتماعية . وبينما أراد المشروع الجديد تغييب الاشارة إلى مسئولية الرأسمال عن المشاكل الاجتماعية المتفاقمة أقر المؤتمر النص على " **مسئولية رأس المال والسياسة الليبرالية عن الوضع الراهن**".

ومجرد التعبير عن الواقع المعاش في البرنامج الجديد كان يعني توجيه انتقاد ملموس للنظام الرأسمالي أو في تسميته التلطيفية " اقتصاد السوق" . يقول البرنامج المقر" **ولكن اقتصاد السوق الاجتماعي لم يحل دون البطالة الجماهيرية ولم يمنع تبديد الموارد ، ولم يقم العدالة الاجتماعية**". كما يصفه بأنه لا هو نظام مستقر ولادائم . وكمثال عن عمليات الشد والجذب في المؤتمر رفضت الأغلبية النص على أن " اقتصاديات السوق الاجتماعية لاتعتبر بالنسبة لنا نهاية التطور التاريخي"..

أطر تنظيمية / وحلول سياسية جديدة

النقاش حول الأطر التنظيمية الجديدة والذي استهدف اعادة تشكيل النقابات المنفردة بدمج بعضها اقتصادا في النفقات ، والذي كان يرمي أيضا إلى نقل جملة من اختصاصات الاتحاد العام إلى النقابات العضو هذا النقاش تأجل إلى المؤتمر القادم.

ولكن المؤتمر قدم تنازلات في مجال صلاحية والزام عقود العمل الجماعية (تعريفة الأجور) فقد وصل بعد صراع ممتد إلى صيغة وسط تتيح لمجموعات من العاملين في الفروع الاقتصادية بأن تصل إلى مساومات تخرج عن التعريفة العامة . وتختلف الآراء هنا بين قائل بأن هذه الصيغة تؤذن بغروب نظام العقود الجماعية لأن أصحاب الأعمال سيخترقون ببساطة أكبر جبهة العمل الموحدة وسيستثمرون فروق المصالح الموجودة بين فئات ومجموعات العاملين . ولكن العديد من النقابيين يشيرون لأن الواقع قد تغير بالفعل وأن العاملين في العديد من المجالات يطالبون بمرونة في تطبيق التعريفة الموحدة ليكيفوا مطالبهم انطلاقا من الظروف النوعية لفرعهم الاقتصادي.

النقابات .. والعولمة

هناك من يقول إن البرامج سواء كانت لنقابات أو لأحزاب لاأهمية لها ، والحكم يكون على السياسات العملية ، ولكن النقاش الذي جرى وحده حول برنامج اتحاد النقابات وسيل الرسائل التي نشرتها الصحف النقابية متضمنة آراء الأعضاء النقابيين وتعديلاتهم تبين اهتماما واسعا بفكر هذه المنظمة التي تمثل أكبر منظمات المجتمع والتي لعبت دورا حاسما في حياة ملايين الناس **فبنضالها التاريخي جرى تخفيض ساعات العمل ، وفرض أجازات سنوية مدفوعة الأجر ، وزيادة الأجور ، وتطبيق قواعد الأمن الصناعي ، وإجراءات الرعاية الصحية للعاملين وغيرها**. والجديد هو التشكيك الراهن في أن هذا الدور أصبح يحتاج لمراجعة أساسية لأن الظروف الاقتصادية قد تغيرت محليا وعالميا.

وفي الواقع أن النقابات مثلها مثل كل المنظمات والحركات الاجتماعية التي تدافع عن المصالح الاجتماعية للعاملين تأثرت كثيرا بفعل هزيمة الاشتراكية التي كانت قائمة. يأتي اضافة لهذا أنها عقدت مؤتمرها في خضم الضجة الاعلامية المتواصلة عن أن ألمانيا يجب أن تتقشف وإلا ستفقد قدرتها التنافسية ، وأن الضمان الاجتماعي لم يعد من الممكن الحفاظ عليه كما كان فما من دولة تستطيع هذا ، وأن نظام المعاشات تضاعفت تكلفته ومن المستحيل تمويله .

وفي طرح وحيد الجانب يراد **اثبات أن العمل أصبح مكلفا جدا ولاسبيل سوى لتخفيض الأجور والخدمات الاجتماعية**. هذا الطرح وحيد الجانب يذكر الأجور ولايذكر الأرباح ، يذكر تكلفة الإنتاج ولايذكر أن ألمانيا تقف في قمة الدول المصدرة في العالم . ويرتبط هذا بالتهديد اليومي أن على العمال أن يقبلوا هذا وإلا رحلت الشركات إلى بلدان الأجور المنخفضة ، ولاتغيب هنا كلمة **العولمة** التي تحتاج للتضحيات والتقشف ولكن في جانب العاملين وحدهم . هذه الأفكار لعبت دورا في النقاش الذي سبق مؤتمر اتحاد النقابات .

أوسكار نيجت أستاذ علم الاجتماع في جامعة هانوفر كان قد حذر النقابات من أن تسقط في "**فخ العولمة**".

قال **أوسكار نيجت** : وجود الاقتصاد المخطط البيروقراطي والذي انهار هو الذي فرض على الرأسمالية أن تتوطن . **والآن يعود للظهور العنصر اللصوصي للرأسمالية ..** وهذا أيضا في مجال المناقشة حول العولمة والتي تدور في إطار مصالح الرأسمال . ويقول: "**ليست المسألة أن نغلق أعيننا عن رؤية الواقع ولكنني أرفض أن تقف النقابات – كما أصبح بعض اليساريين يفعلون – مشلولة كالأرنب أمام أفعى العولمة ..** والشعار هو: أن الشركات سترحل أن لم نتخل عن كل شئ ..فلنخلع كل شئ ونصبح عرايا ، ونقدم أنفسنا للتضحية بها ، ولننجز ضعف مانتجزه الآن من عمل .. ذلك لتبقى الشركات هنا . **ولكن بالسلوك الذليل لن تحصل النقابات على شئ من الأقوياء ، بل إن هذا سيكون بمثابة دعوة لهم ليمارسوا المزيد من النهب والعدوانية ، أصحاب الأعمال يحترمون النقابات القوية وليس العاجزة.**

نتائج المؤتمر أبرزت حقيقتين : الأولى هي أن عمال العالم – أينما كانوا – يدفعون الآن ثمن هزيمة النظام الاشتراكي الذي كان قائما مهما تفاوتت نظراتهم له .

والثانية هي أن استقلالية الحركة النقابية عن الدولة وعن أصحاب الأعمال ، وتمثيل قياداتها لمصالح العاملين هما الشرط للحفاظ على الحقوق والمكتسبات الاجتماعية للحركة النقابية



حقول الالغام فى باكستان

رغم أن مواطنى باكستان كانوا يتابعون بقلق تطورات الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية فى بلادهم ولا يستبعدون أى مفاجأة غير سارة.. إلا أنهم استيقظوا فى صباح الخامس من نوفمبر ليجدوا أن حكومة «**بنظير بوتو**» قد أقيلت بقرار من رئيس الجمهورية «**فاروق ليجارى**» فى عتمة الليل!

نبيل زكى

ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما تعداه إلى حل البرلمان وتشكيل حكومة مؤقتة ووعد باجراء انتخابات عامة جديدة فى **الثالث من فبراير القادم**. ولكى تكتمل «الصورة الباكستانية» فقد احتلت قوات الجيش المواقع الهامة والاستراتيجية فى البلاد واغلقت المطارات وتم منع الدخول أو الخروج من منزل رئيسة الوزراء (السابقة).

وقيل فى وصف هذه الأحداث أنه «**انقلاب دستورى**».

ولم تكن الأوضاع مستقرة فى باكستان فى يوم من الأيام. فقد شهدت البلاد حتى الآن ست حكومات،وخمس رؤساء حكومات وأربع رؤساء جمهورية وثلاثة من قادة الجيش.

وتقع باكستان في قلب قارة آسيا وتحوطها **ايران** من الغرب **وافغانستان** من الشمال والشمال الغربى، **والصين** من الشمالى الغربى والشمال الشرقى، **والهند** من الشرق.

وتمتد باكستان على مساحة حوالى ٨ ملايين كيلو متر مربع وتضم حوالى ١٢٠ مليون نسمة.

ولم يتحقق حلم **محمد على جناح** مؤسس باكستان ، الذى قال فى عام ١٩٤٧:

«نحن أمة متميزة في ميادين الحضارة والثقافة واللغة والأدب والفن والعمارة والاسماء والاصطلاحات والاحساس بالقيم والمثل والقوانين الوضعية والأخلاقية والعادات والتقويم والتاريخ والتقاليد العريقة والجدارة والطموحات .وباختصار لدينا نظرتنا المميزة فى الحياة».

الطرف الأقوى

وما حدث بالفعل هو أنه منذ استقلال باكستان فى ١٤ أغسطس ١٩٤٧ وتقسيم شبه القارة الهندية لإقامة وطن مستقل للمسلمين وخلق هوية منفصلة تميزهم عن الآخرين (الهندوس فى الأساس) ، **لم تنجح حكومات باكستان المتتالية فى إقامة وطن حر وتوفير الأمن والديمقراطية والاستقرار لمواطنى هذا البلد.**

وقد حكم العسكريون البلاد ثلاث مرات خلال ٤٦ سنة. **واستمر هذا الحكم العسكرى ٢٥ سنة من عمر الدولة(وهو ٤٦ عاما)** . وما زال الجيش الباكستانى هو الطرف القوى على المسرح السياسى الباكستانى ويمسك بكل الخيوط فى يده، كما أن قادته يحكمون سيطرتهم على الولايات الأربع التى تتشكل منها باكستان(**البنجاب- السند-بالوشيستان- الاقليم الشمالى الغربى**) ويكتفى أحيانا بدور المراقب، وفى أحيان أخرى يظهر بحجم أكبر فى الصورة.. وفى جميع الأحوال فان «**حكومة الظل العسكرية**»،التى تقوم بدور الوصى على الحياة السياسية،. قائمة بصورة مستمرة.

ويزيد من تعقيد الموقف فى باكستان وجود العديد من الاحزاب والجماعات المتطرفة التى تتولى تكفير بعضها البعض.وعلى سبيل المثال فان حزب «**الجماعة الإسلامية**» الذى ينادى بتطبيق الشريعة يعلن تكفير الجماعات الأخرى.. وجماعة «**دينى معاز**» التى أعلنت الحرب على «المرتدين» تتخذ نفس الموقف، وكذلك حزب«**جماعة علماء الاسلام**»الذى يعلن عن تكفير حزب« **الجماعة الاسلامية**» . أما حزب «**جماعة علماء باكستان**»فانه يعلن تكفير كلا من «**حزب الجماعة الإسلامية**» وجماعة «**علماء الاسلام**» .. إلى جانب جماعات أخرى مثل«**الجهاد**» وجماعة«**المصطفى**» وجماعة «**المشايخ الباكستانية**».. التى تتصارع فيما بينها.

وثمة صراع بين القوميات الخمس فى البلاد ، وخاصة بين **البنجابية والسندية** (وينتمى رئيس الوزراء الاسبق **نواز شريف** إلى البنجاب ، بينما تنتمى **بنظير بوتو** إلى السند) **والبلوشية** ..علاوة على الصراع بين السنة والشيعة واستمرار التوتر الطائفى والمذهبى والعرقى مع المهاجرين الهنود المسلمين والباثان والباشتون.. إلخ.

المهاجرون

والمعروف أنه منذ انفصال باكستان عن الهند .. هاجر عدد من المسلمين الذين تركوا اراضيهم هناك ووصلوا إلى باكستان.. معدمين بلا أرض يملكونها ،واستوطنوا مدن جنوب السند، وعملوا فى الوظائف الإدارية وتكونت منهم بالتدريج **طبقة وسطى**،قد شكل هؤلاء حركة «**مهاجر قومى**» التى تشتبك فى مصادمات دموية شبه يومية مع قوات الحكومة الباكستانية مما أدى إلى توقف الحياة فى مدينة **كراتشى** ، العاصمة الاقتصادية لباكستان وميناؤها الوحيد.


بنظير بوتو فى مؤتمرها الصحفى

ويطالب هؤلاء المهاجرون بمزيد من الحقوق أو على الأقل بمعاملتهم على قدم المساواة مع بقية مواطنى باكستان، غير أن بنظير بوتو كانت ترى أن الصراع مع المهاجرين هو صراع الدولة ضد الارهابيين ،ولم تعتبر أن هناك أزمة سياسية بالدرجة الأولى ترجع أصلاً إلى حرمان حركة المهاجرين من المشاركة السياسية والاجتماعية ،مما أدى إلى هروب زعيمها «الطاف حسين» إلى لندن وطلب اللجوء السياسى.

واتهمت حكومة بوتو حركة المهاجرين أيضا بأنها تسعى إلى الانفصال ،وتفاقم الموقف مع ظهور جناح «حقيقى» المنشق على حركة «مهاجر قومى» الذى يدعمه جناح فى الجيش الباكستانى بالعدة والعتاد لضرب باقى الوحدات والتجمعات الأخرى!.

فتاوى متطرفة

والتشرذم فى الحركات الدينية .. أصبح ظاهرة فى الحياة السياسية الباكستانية، فهناك انقسام داخل التيار الاسلامى واختلافات فكرية بين السلفيين والصوفيين و«التبليغيين» «والحركيين». كما أن المتطرفين الدينيين يشنون حربا ضد بنظير بوتو باعتبار أن حزبها السياسى (حزب الشعب الباكستانى) يريد «ثقافة غربية»،بينما هم يريدون «ثقافة إسلامية».

وقد أعلن امام مسجد اباد شاهى قائلا:« اقسم بالقرآن أن أى شخص يدلى بصوته لصالح بنظير بوتو معتقداً أنها مسلمة لن يدخل الجنة»!!.

وفى ظل هذه الظروف تحتاج باكستان بشدة إلى سياسة خارجية تراعى المصالح الباكستانية فى المقام الأول كما تحتاج إلى ديمقراطية حقيقية واصلاحات اجتماعية جذرية غير أن ذلك لم يتحقق.

فقد استخدمت وكالة المخابرات المركزية الامريكية باكستان كقاعدة للقتال ضد الجيش السوفيتى فى افغانستان ،وتحولت باكستان إلى ساحة لتنفيذ استراتيجية تستهدف استنزاف السوفيت ومنع التوصل إلى حل سلمى للمأساة الافغانية.

وقد أستأجرت المخابرات الأمريكية والباكستانية طوال سنوات الحرب ضد الجيش السوفيتى فى افغانستانأباطرة المخدرات الباكستانيين الذين ظلوا مصدراً رئيسيا لتمويل «المجاهدين الأفغان»(١). بالمال والسلاح ،وتغلغلوا بعد ذلك فى الحياة السياسية لباكستان. وتحولت منطقة الحدود التى تمتد نحو ٢٤٠٠ كيلو متر وتقيم فيها قبائل مشتركة إلى منطقة خارج دائرة نفوذ أى سلطة ومركز للتهريب وتجارة السلاح والمخدرات. وأصبح اللاجئون الافغان طعاماً للمدافع وعبئا ثقيلا على باكستان.

ورغم مرور سنوات طويلة على انسحاب الجيش السوفيتى من افغانستان .. فان الحرب لم تتوقف بين الفصائل الافغانية المتصارعة، وما زالت باكستان ،حتى كتابة هذه السطور ،ورقة فى يد الولايات المتحدة لاعادة صياغة الأوضاع وترتيبهاداخل أفغانستان.

عمق استراتيجى

فالمعروف أن قوات «طالبان» تمثل فى الأصل طلبة كلية الشريعة المتطوعين فى معسكرات اللاجئين فى باكستان.وقد حظيت الحركة بالرعاية من جماعة «علماء الإسلام» ،وهو حزب باكستانى سنى موال لرئيسة الوزراء السابقة بنظير بوتو.

وقامت باكستان بمساندة أمريكية بتشجيع قوات «طالبان» والتى قامت السلطات الباكستانية بتمويلها وتسليحها، على اقامة سلطة فى كابول موالية لها ولامريكا تجعل لباكستان عمقاً استراتيجيا كان ينقصها فى مواجهة الهند.وتسعى باكستان إلى احراز تفوق فى معركة الاختراق الاقتصادى لآسيا الوسطى ،حيث أن هناك مناطق غنية بالغاز والبترول- وربما موارد أخرى ما زالت فى باطن الأرض- ليست لها منافذ مباشرة على البحر .وغنى عن البيان أن الطرق التى تستخدمها تلك المناطق أو الجمهوريات لتصدير ثرواتها مستقبلاً ستكون إما روسيا أو باكستان أو إيران أو تركيا.وقد تمكنت إيران من فتح منفذ عبر خط للسكك الحديدة من تركمانستان إلى ميناء بندر عباس الايرانى.وقد تريد باكستان من خلال حركة طالبان، اعادة فتح الطريق الذى يربط تركمانستان بباكستان عن طريق افغانستان.

أما المشروعات المأمول انشاؤها، فهى مد أنابيب الغاز ثم انابيب البترول بطول هذا الطريق بفضل تعاون أمريكى سعودى.

وقد أسفر التعاون الامريكى-الباكستانى عن وجود مراكز تنصت أمريكية في باكستان تتيح الفرصة للولايات المتحدة لمراقبة إيران وآسيا الوسطى من المحيط الهندى.

وكانت الولايات المتحدة قد ساندت لوقت طويل حزب «قلب الدين حكمتيار» فى افغانستان-الذى تجاوز كل الحدود فى مواقفه المتطرفة والارهابية -ثم تخلت عنه بعد أن دخلت قوات طالبان الساحة بدعم من «إسلام اباد».

منطقة نفوذ

وقد أرادت واشنطن أن تتصدى لأى طموحات روسية مستقبلية فى المنطقة حتى لا تستعيد روسيا مداها الجغرافى-السياسى،وخاصة بعد أن تعززت السيطرة

الروسية في طاجيكستان وكازاخستان وقيرغستان. كما أرادت أمريكا ابعاد العناصر التي تعتبرها موالية للروس وللايرانيين في كابول والذين كانوا يتقاسمون السلطة هناك.

وهذه السياسة الباكستانية التي تخدم المصالح الأمريكية في المنطقة، وتشجع على استمرار الحرب في افغانستان من أجل تحويل الأخيرة إلى منطقة نفوذ باكستانية -أمريكية .. **لا تساعد على تحسين الأحوال داخل باكستان سواء من زاوية الاستقرار أو تحسين الأحوال المعيشية أو تقليص نفوذ العسكر أو إقرار أوضاع ديمقراطية.**

ولا يمكن تصور كل هذا التنسيق الأمريكي- الباكستاني.. واستئناف المعونات الأمريكية لباكستان دون أن تكون هناك صفقة سرية بين واشنطن واسلام اباد تتعلق باحتواء ومراقبة البرنامج النووي الباكستانية.

فالقنبلة «الاسلامية» -كما يسميها البعض-لن يكون لها وجود في ظل الرعاية الأمريكية لباكستان وفي ظل النشاط الضخم الذي بذلته واشنطن طوال السنوات الماضية لاختراق البرنامج النووي الباكستاني.

وكان الرئيس الباكستاني السابق **غلام اسحق خان** قد صرح في يوم ٢٥ يوليو عام ١٩٩٣ بأن باكستان انتجت سلاحاً نووياً، وأن الرئيس الأمريكي الأسبق **جيمي كارتر** طلب من الرئيس الباكستاني الأسبق **محمد ضياء الحق** وقف البرنامج النووي مقابل مساعدات قيمتها ٢٥٠ مليون دولار! ولوحظ أن الولايات المتحدة فاجأت المراقبين بمشروع قانون قدم إلى الكونجرس بشأن معونة الأمن الأمريكية في ميزانية عام ١٩٩٥ يتضمن نصاً يبيح للادارة الأمريكية التخلي عن أي حظر اذا رأى الرئيس أن ذلك يتمشى مع مصلحة الأمن القومي الأمريكي، وفهم الكثيرون أن المقصود هو باكستان.

الحزبان الرئيسيان

والحزبان الرئيسيان في باكستان هما **«حزب الشعب الباكستاني» بزعامة بنظير بوتو، وحزب «الرابطة الاسلامية»** بزعامة **نواز شريف**. غير أن قيادات هذين الحزبين والاعضاء الذين يمثلونهما في البرلمان من **أصحاب الأراضي الشاسعة والاستثمارات الهائلة، ويمتلك بعضهم أكثر من فيلا وقصر في «لاهور» و«كراتشي» و«اسلام آباد»، ويحتفظون بمساكن وشقق وعمارات في أرقى احياء لندن التي تحتل الجالية الباكستانية فيها المرتبة الثالثة أو الثانية من حيث تعداد الجاليات الأجنبية.**

والمجتمع الباكستاني هو مجتمع النصف في المائة.

ورغم أن **نواز شريف** زعيم «الرابطة الاسلامية» يتحدث كثيرا عن الاصلاح، الا أن الرجل ينتمي لعائلة اقطاعية لها نفوذ اقتصادي كبير في إقليم البنجاب ويرتبط بمصالح مشتركة مع رجال الصناعة وأصحاب الاعمال بوجه عام.

ورغم أن حزب الشعب له جذور شعبية ورصيد سياسي منذ أيام الزعيم الوطني« **ذو الفقار علي بوتو**» صاحب التوجهات الاجتماعية ووالد **بنظير بوتو** الذي أعدمه العسكريون .. إلا أن المحسوبية والرشوة والفساد تتفشى بين قيادات الحزب والحكومة التي شكلها هذا الحزب.

وكانت أمام بنظير بوتو فرصة ذهبية لتوحيد الجماهير الباكستانية وراءها بالاستناد إلى التراث الوطني لعائلة بوتو، ونظراً لأنها تصدت بجرأة وشجاعة للحكم العسكري وفرضت اجراء انتخابات في عام ١٩٨٨ أنهت لأول مرة فترة الحكم العسكري.

شعار جذاب

وقد كان شعار **بنظير بوتو** في انتخابات عام ١٩٩٣ هو(أكبر- روتي- مكان) أي**منزل وطعام وملبس» لكل** مواطن. وهذا هو نفس شعار **ذو الفقار على بوتو** في الماضي وما زال له سحره الخاص.

وحصلت بنظير بوتو على تأييد الناخبين مرتين: الأولى في عام ١٩٨٨، والثانية في عام ١٩٩٣، ولكن **بنظير بوتو** أقيلت بواسطة رئيس الجمهورية في المرتين قبل أن تكمل فترتها الدستورية.

فقد كان الرؤساء يتحينون فرصة انعزال قيادات حزب الشعب الباكستاني عن الجماهير ويتخذون قرار الاقالة.

ففي**اقليم السند** الذي تنتمي إليه **بنظير بوتو** توجد إقطاعيات كبيرة وعائلات غنية يعتمد عليها السياسيون-ومنهم اعضاء في حزب الشعب- للفوز بالمناصب. ويوجد أيضا فقر شديد.

وقد تعهدت بوتو عند فوزها في أكتوبر ١٩٩٣ بشن حملة قاسية ضد الفساد حتى في داخل حزبها السياسي. **وقالت إن الشعب يرغب في تغيير النظام وليس تغيير الوجوه.** ومع ذلك ، فانها لم تفعل شيئا ،بل حدث انها اسندت منصب وزير الاستثمارات لزوجها «**زارداري**» الذي ألقى عليه« **مرتضى بوتو**» شقيق بنظير (قبل مقتله) مسئولية الفساد في الادارات الحكومية وأجهزة الدولة.

ويتحالف«**زارداري**» مع الجيش، مما يعني أن هناك قطاعات من العسكريين تفضل التعامل والتعاون مع الاستثمارات الطفيلية.

المشكلات المزمنة

وبقيت مشكلات باكستان المزمنة بلا حل:

* **البطالة تصل إلى نسبة اربعين في المائة** (مما يزيد من تفاقم الأنشطة والحركات المتطرفة).
* وضعت مؤسسات غربية.. باكستان في المرتبة الثانية بين دول العالم من حيث **الفساد المالي والاداري.**
* **الانفاق العسكري في قمة أولويات الحكومات الباكستانية** (مع تشجيع استمرار الحرب في افغانستان والتوترات مع الهند).
* يتم تصنيف باكستان في فئة **الدول الأكثر فقراً** حيث يقل دخل الفرد فيها عن ٣٠٠ دولار في السنة.
* **نسبة الأمية ٦٥ في المائة (٩٧ مليون من السكان).**
* **تدفق الأسلحة والمخدرات بطرق غير مشروعة.**
* عجز مزمن في الميزان التجاري.
* انخفاض احتياطي البلاد من العملات الصعبة.
* **معدل التضخم ١٤ في المائة.**
* عجز يتجاوز ٦ر٥ في المائة في الناتج القومي الاجمالي وهبوط معدل النمو الاقتصادي.

آليات السوق

وازدادت الأوضاع سوءا بعد الاطاحة بحكومة بوتو في ٦ أغسطس عام ١٩٩٠ وتولي نواز شريف رئاسة الحكومة في نوفمبر من نفس العام. فقد قام الأخير بتحويل الاقتصاد إلى ملكية القطاع الخاص وازال القيود على تحويل النقد الأجنبي، **ونقل ملكية الصناعات المؤممة إلى القطاع الخاص، وأسرف في منح المزايا والاعفاءات الضريبية، وأدخل تغييرات في نظام التعريفة الجمركية وأتاح تسهيلات كبرى لجذب رأس المال الأجنبي.**

وكما هو متوقع في حالة تطبيق آليات السوق الحرة، والاندفاع في هذا الاتجاه بلا دراسة بحجة «التخلص من الروتين».. فقد **ارتفعت أسعار السلع الاساسية بجنون وبدأت الفئات محدودة الدخل تدفع الثمن غالياً.**

وشرعت الشركات متعددة الجنسيات في الزحف على إسلام آباد، وتمت الصفقات مع مؤسسات «**اريكسون**» «**والكاتال**» و«**دايو**» للاتصالات وشركة **هوكلا سيدني** البريطانية متعددة الجنسيات، **وتمت اقامة ٣٤٢ مشروعا** بمساهمات أجنبية (أمريكا

وبريطانيا فى المقدمة ثم تأتى بعد ذلك ألمانيا واليابان) وتم السماح للأجانب بالاستثمار فى بورصة الأوراق المالية فى باكستان.

وعندما عادت **بوتو** إلى الحكم بتأييد من أغلبية الناخبين فى عام ١٩٩٣ ،أعلنت أنها سوف تستمر فى سياسة الخصخصة ،التى بدأها خصمها السياسى اللدود **نواز شريف** ،فى محاولة لكسب ود رجال الأعمال.

ولم تكتف **بنظير بوتو** بذلك، بل إنها دعت الجيش عشية هذه الانتخابات-إلى الاشراف على الانتخابات فى محاولة لمغازلة المؤسسة الأقوى (العسكرية) بعد أن تحالفت بنظير بوتو مع الرئيس **اسحق خان** الذى سبق أن أقالها!.

واستمرت حكومة **بوتو** الثانية فى معاملة المهاجرين كمواطنين من الدرجة الثانية وتصويرهم على أنهم يرغبون فى الهيمنة على طائفة السنديين وواصلت رفضها معاملتهم على قدم المساواة مع سائر الاقاليم (**والنتيجة سقوط عشرة آلاف قتيل خلال ستة أعوام فى مدينة كراتشى وحدها**).

بل إن حكومة **الغت تراخيص اصدار ١٢٢ صحيفة**،حتى أن والدتهانصرت **بوتو** قالت أن **بنظير تتصرف وكأنها ديكتاتور عسكرى!**».

تفاقم الفساد

وزاد الفساد واستغلال النفوذ فى الآونة الأخيرة .

فقداقترض **السياسيون مليارات الدولارات من البنوك التى تم خصخصة بعضها**. ولم يسدد هؤلاء الساسة هذه القروض، كما حصلوا على قطع أرض من الحكومات لإقامة منازل ومحال تجارية فوقها.وظهرت علاقات وصلات تربط بين بعض الساسة وتجار المخدرات.

وظهر أن **نواز شريف** رئيس الوزراء السابق وزعيم الرابطة الاسلامية ، الذى يتهم **بنظير بوتو** وحزبها بالفساد... اتخذ موقف المتفرج إزاء قادة فى حزبه قاموا بعمليات مشبوهة (فضيحة التعاونيات المرتبطة بوزير داخليته) كما ظهر أن **بنظير بوتو** التى تتهم **نواز شريف** بالفساد ،وقعت هى نفسها تحت تأثير رجل (زوجها) يشتهى جمع المال وامتلاك النفوذ والافساد والحياة الباذخة .. إلى جانب تصرفات غير نظيفة لقادة فى حزبها.

أما الرئيس السابق **اسحق خان** الذى اتهم كلا من**بنظير بوتو ونواز شريف**..بالفساد فقد اتضح ان اقاربه متوطون فى الفساد.

وقد ادرك القادة الباكستانيون بوجه عام أن بلادهم فقدت دورها المتميز على الساحة الدولية والاقليمية فى أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتى ،وهم يحاولون **استعادة هذا الدور عبر استغلالهم لورقة الاصولية (الافغان العرب) وتكريس دور باكستان فى اطار الاستراتيجية الأمريكية.**

ورغم أن سياسات الحكومة الباكستانية فى الخصخصة اثارت انتقادات شديدة فى أوساط الرأى العام ، إلا أن الحكومة- تمشياً مع تعليمات صندوق النقد الدولى -قامت بتخفيض الانفاق بمقدار ٢٧ مليار روبيه(٦٧ مليون دولار) وتخفيض قيمة العملة بمقدار ٧ر٩ فى المائة وفرض ضرائب جديدة لتحصيل ١٣ مليار روبيه لتخفيض العجز المالى إلى ٤ فى المائة.

وفى تقريرلمنظمة حقوق الإنسان الباكستانية غير الحكومية أن آلاف العائلات تعيش فى حالة عبودية بسبب نظام العمل ومأساة الأطفال الذين يجبرون على العمل.

القطط السمان

وفى كراتشى توجد «**القطط السمان**» التى تستفز الأغلبية بانفاقها المجنون على الكماليات.وقد اصاب هذه القطط السأم من توافر الكافيار لديها.وعلى الناحية الأخرى يوجد هؤلاء الذين يفتشون عن الخبز وعن عدالة مفقودة بينما تعربد الجريمة المنظمة و«نجوم» عالم المافيا.

ورغم أن مجرد وجود **بنظير بوتو** فى الساحة السياسية يبقى الأمل حيا فى الخيار الديمقراطى، إلا أن زعيمة حزب الشعب ارتكبت خطأ فادحاً فى مجال الدفاع عن الديمقراطية السياسية.

فالفقرة الثامنة من الدستور الباكستانى تشبه فقرة فى دستور ١٩٢٣ فى مصر، وهى الفقرة التى تفسد الحياة السياسية وتدمر الديمقراطية .وهذه الفقرة تخول لرئيس الجمهورية حق حل البرلمان وإقالة رئيس الوزراء وتعيين قائد الجيش.

تصفية الحسابات

ورغم ان السيدة بوتو كانت خصما عنيداً للفقرة الثامنة التى فرضها الديكتاتورية السابق **ضياء الحق** على الدستور ، إلا أنها أخذت تحت الرئيس السابق**غلام اسحق خان** على حل البرلمان وبرلمانات الولايات بعد أن اقالها **غلام اسحق خان** وتولى **نواز شريف** الحكم،وعندما جاء دور **نواز شريف** لكى يقيله الرئيس **غلام اسحق خان** .. وافقت بنظير بوتو على هذه الاقالة.وقد حمل **نواز شريف** قضيته إلى شوارع لاهور وكراتشى عندما اقاله رئيس الجمهورية فى عام ١٩٩٣.

وكان أول رئيس وزراء يملك الجرأة لاتهام الرئيس مباشرة بالتآمر للاطاحة بحكومته ،ويحرض الشارع ضده، ويقيم دعوى أمام المحكمة الباكستانية العليا لالغاء قرار رئيس الدولة.وانتصر **نواز شريف** فى المحكمة العليا التى الغت قرارات رئيس الدولة بحل البرلمان واقالة الحكومة.**والخطأ الذى وقعت فيه بنظير بوتو هو أنها تحالفت فى تلك اللحظة مع رئيس الدولة ورفضت الوقوف مع نواز شريف**.ولم يكن **نواز شريف** يملك الأغلبية الكافية فى البرلمان لالغاء الفقرة الثامنة ،كذلك لم تكن بنظير بوتو وحدها تملك الأغلبية الكافية. غير أن وقوف الاثنين معا كان يوفر هذه الأغلبية.

ولم تتخذ بنظير الموقف الذى كان سيضمن الغاء هذه الفقرة الثامنة،والحجة انها تخشى حدوث صفقة بين نواز شريف ورئيس الدولة وبحجة ان تركيز السلطات فى ايدى رئيس الدولة-يمكن أن يجعله قوياً إلا أن تركيز كل السلطة فى ايدى رئيس الوزراء سيكون أمراً بالغ الخطورة!.

وماذا كانت النتيجة؟.

ان عضو حزب الشعب **فاروق ليجارى** ،الذى قدمه الحزب لمنصب رئيس الجمهورية ،وتولى الرئاسة بالفعل.. هو الذى قرر اقالة **بنظير بوتو!**.

وعندما لجأت بنظير بوتو إلى المحكمة العليا.. خذلتها! وهكذا عاشت الفقرة الثامنة التى تلغى إرادة الناخبين،ولم تبق بنظير فى الحكم رغم حصولها على ثقة الناخبين.

ولذلك قيل أن سياسة «**تصفية الحسابات**» هى التى تسود فى باكستان.

قيادات كل الاحزاب تتحمل المسئولية عن استمرار الفقر والفساد والمغامرات العسكرية والافلاس والانهيار الاقتصادى والنكسات التى تتعرض لها الديمقراطية الباكستانية حقول الالغام كثيرة، ولا تجد من يتقدم لإزالتهاأو على الأقل لتخفيف وقع انفجاراتها!.

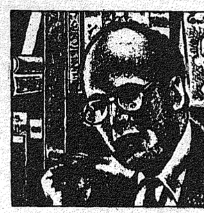
فكر

كلاسيكيات

نحو رؤية جديدة لتاريخ وآليات التطور العلمي والسياسي

لا تُعتبر مؤلفات **تُوماس كُون** Thomas Kuhn مؤرخ وفيلسوف العلوم الأمريكي منطلقاً لرؤية جديدة لتاريخ العلوم فحسب، بل وأيضاً لآليات تطور النظريات العلمية ذاتها. فقد قام في كتابه «**بنية الثورات العلمية**» بتطوير وتوضيح فكرة مغايرة للمفهوم السائد القائل بأن تاريخ العلوم ليس إلا ارتقاء تدريجياً تراكمياً ينتج عن التجربة ويؤدي إلى نظريات أكثر صحة. يقول كون :إن العلم - مثله في ذلك مثل السياسة- ينبثق على **طفرات**: فبعد فترات من **الهدوء والاستقرار** يهيمن عليها «**پارادَيْم**» paradigm [أي نموذج من القوانين والفرضيات النظرية]، تظهر نوبات **منازعة** يمكن أن تنفتح على **ثورات**.

ويرى كون الأستاذ بالجامعات الأمريكية أن تقدم العلوم ليس مستمراً ولا عقلانياً تماماً. إذ يتحد البعد الاجتماعي للمعارف مع أزمات الأفكار التي لا بد منها لصنع تاريخ يتكون من فترات تقليدية ومحافظة طويلة ثم ثورات مفاجئة.ويقول أيضاً : تبدأ **الثورات السياسية** بشعور متنام - قد يكون أحياناً مقصوراً على قسم من الجماعة السياسية- بأن المؤسسات القائمة قد توقفت عن الاستجابة بطريقة مناسبة للمشاكل المطروحة من جانب بيئة ساهمت هذه المؤسسات ذاتها في خلقها. وبطريقة مماثلة تبدأ **الثورات العلمية** بالشعور المتنامي -الذي يكون في الأغلب مقصوراً على جزء صغير من الجماعة العلمية- بأن «پارادَيْماً» قد توقف عن العمل بطريقة مُرضية لاستكشاف أحد أوجه الطبيعة، في حين أن نفس هذا الپاراديم كان يقود هذه الأبحاث من قبل.



توماس كون (١٩٢٢-١٩٩٦)

«الپارادَيْم»

ويرى توماس كون أن تاريخ العلوم يتكون من تتابع حالتين، إحداهما حالة استقرار (أو «علم قياسي»)، والأخرى حالة غير مألوفة (أو «ثورة»). وحين تكون حالة العلم مستقرة فإنه يكون مشمولاً داخل نطاق «پاراديم» الذي هو إطار تعتبره الجماعة العلمية صحيحاً. إن هذا الپاراديم المكوَّن من قوانين ومن فرضيات نظرية يؤسِّس نشاط العلماء ويتيح إجراء الأبحاث. وليس هذا الپاراديم اعتقاداً خاملاً لكنه مجموعة من الافتراضات التي يتكفل العلماء باختبارها على وقائع متزايدة العدد. ومن وجهة النظر هذه نجد أن العلم القياسي أو المستقر هو علم تراكمي : إنه ينشر مجمل المعارف المتاحة بصفة منتظمة. إن الپاراديم العلمي هو طريقة يتشارك فيها الباحثون لرؤية الأشياء في أحد المجالات ويمكن أن يصل إلى حد الهيمنة على عصر بأكمله. وكان هذا هو الشأن مثلاً بالنسبة للفيزياء النيوتنية خلال الفترة من القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين.

الخروج عن القياس

يمثل الپارادَيْم إطاراً للموضوعات الجديدة التي يمكن أن تثير اهتمام الباحثين، وبخاصة أنه يساعد على حل ألغاز نظرية على أساس تكهنات خاضعة للتجربة . وما دامت نتائج التجارب متوافقة مع التكهنات، فإن فرع العلم المعني يحقق تقدماً. ولكن يحدث أن يواجه الباحثون نتائج مخالفة للتكهنات. وفي غالبية الأحوال يتم امتصاص هذه الحالات الشاذة: هكذا تشتمل جميع «الپارادَيْمات» على عدد معين من الألغاز التي بلا حل. ولا يتسبب هذا الخروج على القياس وحده في حدوث أزمة: إذ يتم تنحية اللغز الذي بلا حل جانباً، دون أن يؤدي ذلك إلى رفض النظريات السائدة.

ولكي تحدث أزمة لا يجب ظهور شذوذ رئيسي أو عدة شواذ رئيسية فحسب، بل يجب استمرارها في تغذية التناقض مع الپاراديم المهيمن. كان هذا هو الشأن مثلاً في نهاية القرن التاسع عشر، فيما يتعلق بهذا الكيان اللامادي المسمى الأثير والذي بدونه لم يكن من الممكن إدراك التفاعلات

لطيف فرج

الكهرو-مغناطيسية من علي بعد. ويمكن ظهور شواذ رئيسية أخرى عند استخدام العلم اجتماعياً: لقد أصبح علم الفلك الذي وضعه **بطليموس** (١٢٧-١٥١ ب.م.) مشكوكاً في صحته، حينما واجه -عند إصلاح التقويم- صعوبات لجعله يتوافق مع حركات النجوم [في عصر عالم الفلك البولندي **كوبرنيكوس** (١٤٧٣-١٥٤٣)].

وتجمعت حينذاك الظروف لحدوث فترة أزمة تتسم بنقد المبادىء والأساليب السائدة. وفي ظل سياق اختلال الأمن العلمي هذا ينخرط الباحثون في مناقشات فلسفية وتظهر «پاراديمات» جديدة منافسة.

ويمكن أن تنفتح الأزمة على ثورة علمية حينما يتحول بعض أعضاء الجماعة العلمية نحو تبني پاراديم جديد يستطيع إعادة البناء في مجال المعرفة. ويمثل هذا التحوُّل المفاجيء انقلاباً في رؤية العالم لأن الپاراديْم الجديد سيكون غير متوافق مع سابقه بل ومختلفاً عنه تماماً.

العلوم تتقدم وثباً

الثورات العلمية هي تغيرات فجائية ومتعارضة في الأفكار وفي الأساليب. وهي تستهدف -مثلها في ذلك مثل الثورات السياسية- «تغيير المؤسَّسات بأساليب تحظرها هذه المؤسَّسات ذاتها»، كما أنها تستند إلى معايير تتنافر مع العلم السابق: إذ تُقِر الفيزياء النووية الحديثة فكرة إمكانية «تحول» عنصر إلى عنصر آخر، الأمر الذي لم يكن مقبولاً لدى علماء الكيمياء في القرن التاسع عشر. وعلى هذا فالثورات العلمية هي أحداث متعارضة تعبر عن ذاتها بمجادلات عنيفة بين عدة مدارس، وقد كتب كون يقول: «لا توجد طريقة أخرى فعّالة لتشجيع الاكتشاف العلمي».

وكما نرى في الثورات السياسية، تتم أيضاً مناوئة الپاراديم السائد عن طريق تعبئة **أساليب فكرية سابقة معتبرة بأنها بائدة**: هكذا أمكن للفيزياء النيوتنية (القرن الثامن عشر) معارضة الميكانيكا الديكارتية (القرن السابع عشر) باللجوء إلى خاصيات «خفية» [أو سحرية] تتوافق أكثر مع فيزياء أرسطو (القرن الرابع ق.م.) ومع المدارس الفلسفية الشهيرة في القرون الوسطى. ولهذا السبب واجهت الفيزياء النيوتنية مقاومات عديدة من العلماء المعاصرين لها. إن الوصف الذي يقدمه توماس كون ينطوي على أن التقدم العلمي ينبثق عن تصدعات وعن اضطرابات. وهو في هذا يختلف بعمق عن التاريخ الوضعي الذي يرى التقدم العلمي باعتباره نتاجاً لتراكم نتائج تجريبية.

ومع ذلك لا يجب أن يؤدي هذا التصور إلى الاستنتاج بأن «الثورات» وحدها هي التي تحقق التقدم العلمي. فمن رأي كون أن فترات العلم القياسي أو المستقر تقوم بوظيفة أساسية هي إثراء الوقائع وتعميق النظريات. ولهذا فهو يرى أنه من المحتم سيادة نوع من الامتثالية والتقيد بالأعراف داخل جماعة الباحثين، وبأنه لا يجب تعريض النظريات لنيران النقد بصفة دائمة. ولا تقتصر أعمال كون على الوصف التاريخي، فانه يقدم أيضاً فكرة قيام النظريات والأدوات العلمية «أي الپاراديمات» بتشكيل ممارسة الباحثين، وتحديد ما يمكن تصوره وما لا يمكن تصوره، ولهذا فهي تؤدي دوراً إيديولوجياً قوياً في تأكيد الحقائق العلمية. وينتج عن ذلك بخاصة أن الجماعة العلمية -وليست العقلانية الباطنية- هي التي تحكم بصحة إحدى النظريات.

الانتقادات

أثارت أعمال كون انتقادات عديدة. فقد عابوا عليه بخاصة استناده إلى مفهوم غامض هو «الپاراديم». وذكرت **مارجريت ماسترمان** إحدى تلميذاته أن كتاب «بنية الثورات العلمية» قد استخدم هذه الكلمة بمعانٍ مختلفة بلغت أكثر من العشرين من بينها: «نظرية»، «نسق من القواعد»، «مجموعة رموز»، «رؤية للعالم»، «نظام علمي»، «مجموعة من الباحثين»..الخ.

وقد أجاب كون في عام ١٩٧٠ على هذا النقد بإضافة ملحق إلى كتابه حلل فيه مكونات هذه «الپاراديمات» فقال: الپاراديم هو «قالب لأحد فروع العلم» (خاص بعلم معين) يتكون من أساليب محددة، ومن معتقدات وقيم ومعضلات وحلولها النموذجية التي تكوِّن تقليداً، بمعنى تكوين معرفة يمكن نقلها عن طريق التدريب. إن وظيفة هذه القوالب الاجتماعية والإدراكية معاً هي «بناء طريقة للأخصائيين والعلماء لصنع العلم ولرؤية الحقيقة». وعابوا على كون أيضاً المبالغة في طابع «تغيرات الپاراديمات» المفاجيء، وبإدخال جزء تعسفي في تاريخ العلوم. في الواقع أن كون يعتقد بأن الخيار بين پاراديمات متنافسة لا يتم على أساس معايير عقلانية أو تجريبية محضة، بل لا بد من إدخال العوامل الاجتماعية في الحسبان، مما يؤدي إلى شكل من النسبية: إذ يبدو بأن حقائق العلوم تتوقف على قرار تتخذه جماعة. ومع ذلك فقد أكد كون بأنه يمكن قياس التقدم العلمي بالقدرة المتعاظمة للنظريات على حل المعضلات مما يُكوِّن معياراً موضوعياً ودائماً.

وبالرغم من الخلاف بين فلاسفة العلوم حول أفكار توماس كون إلا أنها من المؤكد قد فتحت الطريق أمام **أساليب جديدة** لوصف عمليات الاكتشاف العلمي التي يسمونها اليوم «**سوسيولوجيا المعرفة العلمية**».

نبذة عن توماس كون

ولد توماس كون Thomas Kuhn عام ١٩٢٢ بولاية أوهايو الأمريكية، وبعد حصوله علي الدكتوراة في الفيزياء من جامعة هارفارد أصبح أستاذاً يقوم بتدريس تاريخ العلم وفلسفته في العديد من الجامعات الأمريكية. وتعود تأملاته الأولى في تاريخ العلوم إلى عام ١٩٤٧ التي أوردها في أول كتاب أصدره بعنوان «**الثورة الكوبرنيكية**» في عام ١٩٥٧. ولكن لا جدال بأن أهم مؤلفاته هو «**بنية الثورات العلمية**» الصادر عام ١٩٦٢ الذي جعله مشهوراً في جميع أنحاء العالم والمترجم إلى العديد من اللغات. وفي عام ١٩٧٠ أصدر كون طبعة جديدة من نفس الكتاب بعد أن أضاف ملحقاً يرد فيه على منتقديه، وقد تولى المترجم القدير **الأستاذ شوقي جلال** مهمة ترجمة هذه الطبعة الهامة إلى العربية والتي أصدرتها سلسلة كتب عالم المعرفة الكويتية في ديسمبر عام ١٩٩٢. وفي عام ١٩٧٧، صدر كتاب كون الأخير بعنوان «**التوتر الرئيسي**»، ثم ظل بعدها يكتب المقالات ويلقي المحاضرات حتى وفاته في شهر يونيو من هذا العام (١٩٩٦).

الديمقراطية الاقتصادية أولاً.. الديمقراطية دائماً

في العدد الماضي نشرت اليسار الجزء الأول من هذه الدراسة التي كتبها د. عصام الزعيم حول «مقومات الاقتصاد الحر في الجمهورية اليمنية نحو استراتيجية وطنية للتصنيع»، وقد تناول الجزء الأول العلاقة بين الثورة التقنية والاقتصادية للبورجوازية في أوربا الغربية والولايات المتحدة فاليابان، والثورة الفكرية والسياسية (الديمقراطية)، منتهياً إلى عدم توافقهما وتطابقهما، ووقوع تناقضات حادة بين اقتصاد السوق وتوسيع الديمقراطية، حيث احتلت قضية توسيع السوق أولوية مطلقة تسبق الديمقراطية وتوسيعها وتعميقها، مؤكداً في نفس الوقت امكانية تحقيق موازنة بينهما.

وننشر على هذه الصفحات الجزء الثاني من هذه الدراسة، على أن ينشر الجزء الثالث والأخير في العدد القادم.

الديمقراطية

١

والنشاط الخاص الصناعى والانتاجى

٢

د. عصام الزعيم

كيف تتحدد وتتطور العلاقة المتبادلة بين المسألة الديمقراطية وبين النشاط الخاص الصناعى والانتاجى؟.

إن تناول هذه الإشكالية يستدعى تحديداً لمدى التعدد والتمركز فى إدارة النشاط الخاص الصناعى ثم إدراجا لهذا النشاط فى مجمل النشاط الاقتصادى محدداً بالنموذج الاقتصادى والاجتماعى الثقافى السياسى السائد.

من ثم نعيد صياغة الإشكالية المطروحة على النحو التالى:

كيف تتحدد وتتطور العلاقة المتبادلة بين المسألة الديمقراطية وبين النموذج الاجمالى الاقتصادى السائد.

بيد أن هذا التحديد المعدل لا يكفى حيث أن إشكالية العلاقة المتبادلة بين المسألة الديمقراطية والنشاط الخاص الصناعى والانتاجى ومجمل النشاط الاقتصادى ونمط إدارته وتطويره تختلف (وأى اختلاف) فى البلدان والمجتمعات التى بلغ تطورها الثقافى (التكنولوجى) والاقتصادى مستويات رفيعة من الصناعة واخترقت ميادين جديدة للتقنيات (التكنولوجيا) ما بعد الصناعية مثل **الولايات المتحدة أو فرنسا أو المانيا أو السويد**، عنها في البلدان والمجتمعات المتخلفة ثقافيا (تكنولوجيا) وصناعياً واقتصادياً ومن باب أولى البلدان التي تصنف ضمن أقل البلدان نمواً، ومنها اليمن.

أين يكمن مصدر الاختلاف الشديد بين الإشكالية فى بلدان الرأسمالية المتطورة وتلك فى البلدان المتخلفة؟.

إنه يكمن فى اكتمال اقتصاد السوق وهيمنته هيمنة مطلقة على البنية الوطنية الاقتصادية الاجتماعية فى البلدان والمجتمعات الأولى، **وفى ضعف اقتصاد السوق وعدم اكتمال نموها وتعايشها مع أنماط اقتصادية أخرى جلها سابقة لاقتصاد السوق فى البلدان والمجتمعات الأخيرة** واليمن (مرة أخرى) منها.

بعبارة أخرى فان تحديد العلاقة المتبادلة بين الديمقراطية وبين النشاط الخاص الصناعى والانتاجى مدرجاً فى النشاط الاقتصادى العام ومحدداً بالنمط الاقتصادى الاجتماعى الثقافى السياسى السائد، يتم فى إطار مرجعى هو النمر المحدود لاقتصاد السوق

تجربة اليمن نموذج لإشكالية الديمقراطية والنشاط الاقتصادى الخاص فى البلدان النامية

وعدم هيمنة السوق فى الاقتصاد الوطنى وعجزها عن تحريك عملية النمو الاقتصادى وإدارتها وعن تعبئة القوى الاجتماعية.

المنطلقات الأساسية إلى تحديد علاقة النشاط الاقتصادى إجمالا بالديمقراطية وعلاقة القطاع الخاص الصناعى والانتاجى خصوصاً بها فى المجتمعات المتخلفة اقتصاديا الآخذة بالتحول إلى اقتصاد السوق.

مثل توحيد اليمن فى مايو آيار سنة ١٩٩٠ للميلاد انعطافا تاريخياً بالنظام السياسى نحو الديمقراطية والديمقراطية التعددية، كان إعلان التعددية السياسية وتداول السلطة السلمى فى دستور الدولة الموحدة تحولاً تاريخيا عن مفاهيم مؤتمر الشعب كله(بكل فئاته الاجتماعية ومشاربها الفكرية) وحزب الاشتراكية الواحد القائد باتجاه التعددية السياسية،وتأطيراً **سياسياً صريحاً للتخلى عن احتكار السلطة والتشبث التعسفى بها والقبول الصريح بالانتخابات الحرة وبمبدأ تداول السلطة السلمى.**

وبقدر ما يبدو إعلان الثابتين الاساسيين الأفقين المشار إليهما أى التعددية وتداول السلطة السلمى،وإشهارهما والتأكيد عليهما فى الخطاب السياسى والايدلوجى حقائق ساطعة لا لبس فيها، فان **تجسيد هذين الثابتين وتأصيلهما الوطنى والمجتمعى وتحقيقهما وممارستهما الحقة تخضع لاعتبارات موضوعية اقتصادية واجتماعية وثقافية وايديولوجية وسياسية**،تتحدد داخليا بالعملية الاقتصادية وأهدافها البعيدة وادارتها كما تتحدد بالعملية الاجتماعية والتربوية والتعليمية والثقافية والاعلامية واهدافها وإدارتها فضلا عن العملية السياسية بوصفها عملية تنظيم وإدارة وتعبئة وصنع قرارات ،كذلك تخضع الاعتبارات الموضوعية المبينة هنا إلى عوامل خارجية دولية وإقليمية سياسية واستراتيجية وأمنية واقتصادية. إن الاشارة إلى عوامل شتى داخلية وأخرى خارجية مؤثرة لا تغنينا عن إطار نظرى تحليلى واستنتاجى لجملة العوامل الداخلية المتمثلة فى البنى المجتمعية (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسلطوية) وفى السياسات العامة المقررة والممارسات السائدة، فضلا عن العوامل الخارجية المؤثرة . لكن تحديد الاطار النظرى يستوجب بدوره واقع التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية السائدة فى المجتمع والمميزة له وتحديد واقع السوق من حيث مدى نموها وانتشارها الوطنى ودورها الفعلى فى توجيه العملية الاقتصادية الوطنية وتنظيمها وتطويرها، وواقع القطاع الخاص الصناعى والانتاجى والتجارى ودوره الفعلى (فى شموليته وفى تناقضاته) فى النشاط الاقتصادى العام وفى رسم السياسات الاقتصادية وتحديد أهدافها الاستراتيجية البعيدة انقضيا،والتحمت خلالهما والمؤسسة العسكرية فى توليفة فعالة بسطت سلطة الدولة وحققت الاستقرار السياسى بدرجات عالية ، بل أن المؤسسة القبلية افلحت فى أن تتواجد بقوة مع القوى الاجتماعية الجديدة من تجار استيراد وأرباب صناعة ومستثمرين رأسماليين فى الزراعة وفى الخدمات،ومثقفين وعمال صناعيين وموظفين لدى الدولة وغير، وفى أن تنظم باضطراد إلى صفوف أعداد منهم أو تتبوأ الصدارة فى القطاعات والمدن القيادية بالتحالف والتنافس مع بعضهم. بالمقابل فان بطء تحرير المجتمع من الأمية (رغم التقدم الباهر المحرز خلال ربع قرن فى تقليص نسبة الأمية بين الذكور وبين الاناث على السواء) وتدهور القوة الشرائية بتوسع الفقر واضمحلال الطبقة الوسطى أو انحدارها الشديد، وتخضرم الدور الاجتماعى والايديولوجى والصحى والتعليمى والخدمى للظاهرة القبلية والظاهرة الاقليمية في المجتمع بفعل نمو المتطلبات الاجتماعية وتوسع التحديات المعيشية والاقتصادية وقصور الدولة عن القيام بأعبائها، وتواصل الافكار المناوئة للحزبية وللعمل السياسى والثقافى وضعف الاعلام الحزبى والنقابى المعبر عن حاجات المجتمع المدنى والمستقل عن السلطات المهنية على اختلافها، وعوامل أخرى أعاقت وتعيق بقوة توسيع الممارسة الديمقراطية وتأكيد الديمقراطية التعددية،وأثرت فى عملية تداول السلطة السلمى كماجرت منذ قيام الوحدة اليمنية وحتى الآن. وزبدة القول أن الظواهر المجتمعية البارزة الاجتماعية والثقافية والايديولوجية (القيمية) تمثل باعتبارها ظواهر متفاعلة مع أطر التعددية السياسية وتداول السلطة السلمى حيزاً غنياً للبحث والتحليل والاستنتاج حول العلاقة المتبادلة بين الظواهر الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالبنى ومراكز القوة والقرار كما هى مرونة أو متشكلة منذ الثورة الجمهورية والجلاء الأجنبى، مع الظواهر السياسية البحتة ومن منظور تحقيق التعددية والتداول السلمى للسلطة.

بيد أن التصدى للبحث والتحليل فى علاقة الظواهر البنيوية الاجتماعية الثقافية القيمية مع المشروع الديمقراطى القائم على التعددية السياسية وتداول السلطة السلمى لا يعفينا ولا يغنينا على أهميته الواضحة عن

التصدى لاشكالية الهوة القائمة بين تبنى دولة الوحدة انتصار السوق وتأكيدها المضطرد زيادة السوق وقيادة القطاع الخاص وانفتاح الاقتصاد ،وبين تخلف السوق وقصور نموها وعوائق عملها وضعف القطاع الخاص الصناعى ودوره المحدد فى العملية الإقتصادية. بعبارة أخرى كيف ترتسم العلاقة الجدلية بين تطبيق الديمقراطية التعددية وتداول السلطة السلمى وبين بناء سوق وطنية موحدة وتطويرها والقريبة، وآفاق التغيير الجذرى الممكنة فى حال السوق ودورها فى الاقتصاد الوطنى والعملية الانمائية الاقتصادية والاجتماعية وفى واقع القطاع الخاص وقدراته القيادية ودوره الريادى والقيادى فى تفعيل العملية الاقتصادية وتوسيعها المضطرد وتعميقها وفى قيادتها عبر التفاعل الديمقراطى مع المؤسسات الشرعية أى المنبثقة بالارادة الحرة عن المجتمع المدنى.

ذلك أن إشهار التعددية الديمقراطية وتداول السلطة السلمى على إيجابياتها التاريخية لا يتحققان بصورة مستقلة عن التركيب الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والايديولوجى، ولا يتقرران بصورة منعزلة عن التحول الاقتصادى من حيث أهدافه المقررة وسياساته وتدابيره ومترتباته الاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية عوامل متوافقة أو متناقضة (وهى بالحقيقة متوافقة ومتناقضة معاً) مع التوجه الجديد (منذ تحقيق الوحدة) إلى الديمقراطية التعددية وتداول السلطة السلمى. كيف يكون التوافق والتناقض معا؟ يكونان فى تدخل القبيلة فى مفهومها الديمقراطى أو ممارستها السلطوية المنافية للديمقراطية، يكون التوافق والتناقض أيضا فى تدخل الدولة بوصفها سلطة للشعب فوق مراكز القوى أو السلطات الدنيا عندما تجنح هذه المراكز والسلطات إلى العسف وفى إحجام الدولة أو عجزها عن التدخل لصالح الديمقراطية ازاء عسف مراكز أو سلطات تابعة للدولة نفسها أو قائمة خارجها.

لقد أقر ممثلو الشعب اليمنى وقادته دستوراً لدولة الوحدة نص صراحة على الديمقراطية التعددية وتداول السلطة السلمى. كما أقروا فى الوقت نفسه تحولا بالاقتصاد الوطنى من قيادة الدولة(وتدخلها المباشر أو بتوجيهها أى تدخلها غير المباشر) إلى اقتصاد السوق وريادة القطاع الخاص وقيادته التدريجية العملية الاقتصادية والتنموية.

فى هذا الاقرار المزدوج السياسى والاقتصادى يكمن التحدى الذى تصدى له معهدكم العتيد معهد تنمية الديمقراطية منذ تأسيسه، ويتصدى له تصدياً جريئاً صريحا اجتهاديا بعقده هذه الندوة.

يتلخص هذا التحدى باجتهادنا فى صياغة العلاقة (الجدلية بالضرورة) بين تأكيد الديمقراطية وتوسيعها وتطويرها والتأسيس مجتمعياً لها على أساس الارادة الحرة والتعددية معاً فى مجتمع تخضرمت فيه المؤسسة القبلية خلال عقدين ووضع نظام وآليات لتنظيمها وادارتها والرقابة عليها وتوجيهها نحو التنمية الحقة الاقتصادية والاجتماعية بعيدة المدى بلاستناد إلى مبدأ رقابة الشعب عليالنشاط الاقتصادى والسياسى العام ومن خلال تفعيل مؤسسات المجتمع المدنى تفعيلا ديمقراطيا مستقل الارادة بما فيها مؤسسات القطاع الخاص نفسه،وعبر تحقيق الحوار الديمقراطى بين هذه المؤسسات وسلطة الدولة؟

تجابه اليمن اذن مهمتان مترابطتان جدلياً : مهمة سياسية فحواها تحقيق الديمقراطية التعددية ،وتوسيعها فى المجتمع وتعميقها وتطويرها بالتلازم مع تفعيل تداول السلطة السلمى. ومهمة اقتصادية فحواها استكمال بناء التخلف الاقتصادى والاجتماعى والتوجه بقوة وثبات نحو التنمية البشرية والمجتمعية. فى إطار المهمة الاقتصادية يندرج دور منشود للقطاع الخاص الصناعى والانتاجى يتحدد بضرورة ويستوجب منطقياً تحديداً صريحاً (ومتطوراً فى مراحل التنمية المتلاحقة) لحقوقه الاقتصادية والسياسية وواجباته الاقتصادية والاجتماعية).

ولما كان القطاع الخاص عاجزاً عن تحقيق نموه الذاتى ونمو الاقتصاد الوطنى برمته بمعزل عن الدولة وإنما يحتاج القطاع إلى تدخل الدولة الاستشرافى والتخططى والتوجيهى والتنظيمى وأحيانا الانتاجى المشاريع، فان تحديد دور القطاع الخاص الصناعى والانتاجى فى تحقيق المهمتين السياسية والاقتصادية المعرفتين أعلاه لابد وأن تقترن بتحديد دور الدولة المركزية الوطنية ومؤسسات الحكم اللامركزى فيهماأيضا.

حتى انهيار الاتحاد السوفيتى ونظامه الاشتراكى الدولى، كنا نواجه اشكالية أخرى هى إشكالية العلاقة المتبادلة بين الديمقراطية والنموذج الاقتصادى القائم على ملكية الدولة والمدار من سلطتها، يجدر الذكر هنا بأن هذه الاشكالية حملت التباسا مصدره اختلاف دور الدولة الفعلى الاقتصادى والسياسى والايديولوجى المحدود فى البلدان حديثة الاستقلال التى أعلنت تبنيها الاشتراكية (وإن بصيغ مختلفة) عنه فى البلدان التى هيمنت فيها ملكية الدولة وسلطتها ورقابتها على النشاط الاقتصادى والمجتمعى كالاتحاد السوفيتى، هذا فضلاً عن إشكالية أخرى مكملة وشائعة المعالجة وهى إشكالية الفصام بين النظرية والتطبيق أو الانحراف فى التطبيق،وهذه الاشكالية تتداخل والإشكالية السابقة فتجعل مهمة أصعب الممايزة بين إشكالية العلاقة بين الديمقراطية والممارسة الاقتصادية المسماة اشتراكية فى البلدان السوفياتية وبين الاشكالية نفسها فى البلدان المتخلفة التابعة اقتصادياً.

لكن انهيار الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى الدولى من حوله من جهة، واندماج شطرى اليمن بتوحده التاريخى سنة ١٩٩٠ من جهة أخرى يعفينا هنا(فى الأفق التاريخى المنظور على أقل تقدير) عن تناول هذه الاشكالية مما يساعدنا على التركيز على إشكالية العلاقة بين الديمقراطية واقتصاد السوق فى بلد متخلف يتبين فلسفة اقتصاد السوق دون أن تكون سوقه الوطنية ثابتة موحدة ومهيمنة على التنظيم والادارة

بشقيهما الاقتصادى والاجتماعى، بل وبلد يتبين الديمقراطية التعددية دون أن يتاح لهذه الديمقراطية أن تشكل نداً فعالاً للسلطوية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وذلك بحكم نشوء هذه الديمقراطية الجديدة وعهدها القصير،ونظراً لضع مؤسساتها التشريعية والقضائية وإزاء المفارقة بين ضمور الحياة الحزبية وضمور مؤسسات المجتمع المدنى المستقلة والسياسية وبين توسعية الجوانب السلطوية من الدولة والمجتمع.

اختلاف المصالح باختلاف المواقع واختلاف المطالب باختلاف المصالح

تشكل الصناعة خاصة والانتاج السلعى عامة موضوعا للتفارق فى المواقع ومن ثم فى المصالح ومن ثم فى المطالب بين رجال الأعمال الذين يستثمرون فى الصناعة وينشدون الربح من استثمارهم فيها وأولئك الذين يستثمرون فى نشاط الاستيراد وينشدون الربح من خلال الاستيراد والاستهلاك.وفى ظروف اليمن الراهنة يطالب تجار الاستيراد من مواقعهم فى تجارة الاستيراد (واستيراد السلع الجاهزة خاصة) بتحرير هذه التجارة وتقليص رسومها إن لم يكن الغاؤها تماماً، كما يطالبون بازالة معوقاتها القانونية والمالية الضريبية والاجرائية والمؤسسية ويندون بمعوقاتها غير القانونية(كالاتاوات والرشاوى والمحسوبية والتأخير الاجرائى التعسفى).

أما الصناعيون على نقيض التجار المستوردين يتمسكون بالحماية الجمركية والصناعية ويسعون لتقليص رسوم استيراد المواد الأولية والوسطية والمدخلات الانتاجية الأخرى اللازمة للصناعةوحظر استيراد السلع المنتجة المنافسة لمنتجاتهم المحلية أو لفرض رسوم جمركية على مستورداتها،وتقديم الدعم التمويلى والترويجى لنشاط التصدير.

من الناحية الموضوعية يعيق تحرير الاستيراد نمو الاستثمار المحلى فى الصناعة والانتاج السلعى إجمالا وبالتالى فهو يعيق أيضا تطوير القدرة الثقافية(التكنولوجية) والمهارة الانتاجية المحلية وتقليص فرص العمل ويحد من توليد الدخول من الاستثمار والتشغيل الصناعيين ،بالمقابل يؤدى تحرير الاستيراد وتوسيعه إلى نقل أنماط متزايدة ومتجددة من الثقافة (التكنولوجيا) وقد يوسع من فرص العمل فى زرع الخدمات المعتمدة على استيراد السلع والخدمات.

بيد أن تحرير الاستيراد يعيق تراكم الاستثمار فى الصناعة والانتاج السلعى ويفضى إلى تبعية ثقافية (تكنولوجية) واستهلاكية وإجمالية تنقل ميزانى التجارة الخارجية والمدفوعات وتطلق العنان للمديونية الخارجية.

اتفاق المصالح المتناقضة والتقاؤها مطالب مشتركة

بالمقابل يتفق التجار المستوردون على المطالبة بمحاربة الفساد والتسيب والابتزاز فى أجهزة الدولة ويطالبون باشراك ممثلين لهم فى عملية صنع السياسات الاقتصادية فى البلاد بمشاورة الحكومة لهم حول القرارات والأنظمة التى تخص أنشطتهم.

إن اختلاف المصالح والمطالب بين تجار الاستيراد وأرباب الصناعة أمر تقليدى ويتركز حول تحديد ماهية السياسات الاقتصادية وأهدافها ووسائلها، وحول فلسفة تنمية الاقتصاد الوطنى وسياسات إدارته؟ ويبرز خلاف أساسى فى هذا الصدد بين رعاة الحماية الجمركية والتجارية أداة لتعزيز الصناعة الوطنية واستثماراتها الفنية وبين رعاة الحرية التجارية وسيلة لخدمة المستهلكين وأداة لتحفيز الانتاج المحلى المؤهل لمواجهة تحدى الاستيراد وحتى التصدير.

بيد أن اختلاف المواقع والمصالح بين الصناعيين وتجار الاستيراد اتخذ مؤخرا أهمية مستجدة وحمل دلالة خرافية بفعل اقرار الحكومة برنامجاً للاصلاحات الاقتصادية تقوم فسلفته الاساسية على تثبيت الميزانية العامة والنقد الوطنى وميزانى التجارة الخارجية والمدفوعات.

حيث جرى رفع أسعار المشتقات البترولية والكهرباء والمياه والاتصالات الهاتفية مما زاد من تكاليف الإنتاج المحلى، كما جرى إلغاء القائمة المعروفة بالقائمة السلبية للاستيراد تحريراً للاستيراد مما عرض ويعرض الانتاج الصناعى المحلى لمنافسة جديدة وجدية، وأعاق ويعيق دافع التوسع فى الاستثمار الصناعى، فضلا عما تقدم جرى تبسيط رسوم الاستيراد باتجاه تحريره مما سمح بدخول منتجات نهائية أجنبية المصدر إلى الأسواق المحلية ومنافستها المنتجات المحلية من حيث الجودة والأسعار، كما جرى رفع أسعار الفائدة المصرفية مما زاد من أكلاف الاستثمار وأعاق فرصة الربحية، وحد بشدة من احتمالات الاقتراض من المصارف لأغراض الاستثمار وقد أثارت هذه التدابيراحتجاج ممثلى القطاع الخاص الصناعى واعتراضهم ،كما ظهرفى المقالة المنشورة تحت عنوان البطالة قبل الفقر فى عدد من صحيفة الثورة بقلم الصناعى البارز **أحمد هائل سعيد** لكن المفارقة اللافتة للانتباه هى اتجاه الحكومة أيضا إلى فرض رسوم الاستهلاك من أجل زيادة دخل الميزانية العامة فى إطار الاصلاح الاقتصادى من شأنها إعاقة الاستيراد حيث أن معظم السلع المستهلكة مستوردة بحكم ضعف الصناعة التحويلية وقطاعات الانتاج السلعى فى الاقتصاد اليمنى، الأمر الذى دفع اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة بدوره إلى توقيع مذكرة احتجاج إلى السلطات المعنية.

فى العدد القادم:

الجزء الثالث

والأخير

من الدراسة

التبــــعية (٢)

التبعية المعاصرة

د. خليل حسن خليل

بعد الحرب العالمية الثانية، تأصل نوع جديد آخر من التبعية ، أسس على **«الشركات العابرة للقوميات»** ،والتى بدأت تستثمر فى صناعات وضعت فى السوق المحلية للدول التابعة ولم يشكل هذا النمط من التبعية، ولم يتمش مع العلاقات الدولية ، لهذه الدول الأخيرة، فحسب ولكن مع هياكلها الداخلية. كذلك فقد وجهت هذه الانماط الانتاج ،وشكلت صور التراكم الرأسمالى ،وكذلك التركيب الاجتماعى والسياسى لتلك الدول.

التبعية الجديدة، وتعويق التصنيع

لكى يمكن تصور ملامح التبعية الجديدة ،ودور الشركات العابرة للقوميات فى تكوينها يجدر بنا أن نلقى ضوءا على القيود التى تواجه التنمية الصناعية فى البلاد المتخلفة:

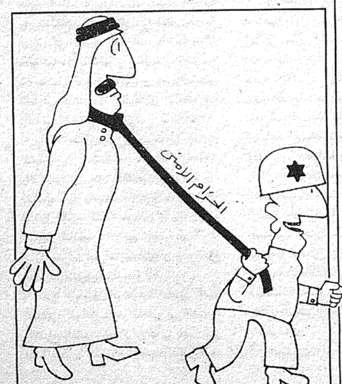
أ- تعتمد التنمية الصناعية فى الدول المتخلفة على قطاع تصدير من أجل الحصول على العملة الأجنبية لشراء المدخلات اللازمة لقطاع الصناعة- وينتج عن ذلك أن تظل الحاجة للابقاء على قطاع التصدير التقليدى، الذى يحد اقتصاديا من تطوير أو تنمية السوق الداخلية، وذلك بالابقاء علي علاقات متأخرة. ويعني سياسيا تدعيم قوة القلة من الملاك التقليديين وفى البلاد التى يسيطر فيها رأس المال الأجنبى على تلك القطاعات، فانها تعنى تحويل أرباح كبيرة للخارج ، وتبعية سياسية لهذه المصالح، فرأس المال الأجنبى غالبا ما يحكم تسويق تلك السلع.

ب- وينبنى على ذلك، أن التنمية الصناعية محكومة بالتقلبات فى موازين المدفوعات -ويؤدى ذلك إلى عجز فى الميزان ناجم من علاقات التنمية نفسها- ونعرض هنا لثلاثة من أسباب العجز:

١- العلاقة التجارية بين البلد المتخلف(أو التابع) ، والمركز المهيمن تحدث في سوق دولية محتكرة يسودها ميل إلى تخفيض سعر المادة الأولية ، ورفع أسعار السلع المصنوعة، وبصفة خاصة المدخلات ، والميل لاستبدال المواد الأولية «الاصطناعية» (الألياف) بالمنتجات الأولية. والارقام مطرده لبيان تدهور معدل التبادل الدولى، للدول التابعة بالنسبة للدول المتبوعة. ومن الأمثلة فى هذا الصدد ، الارقام التى نشرتها اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية، التابعة للأمم المتحدة ،وصندوق النقد الدولى عن أمريكا اللاتينية (عدا كوبا) . هذه الأرقام تقدر خسائر تلك القارة الناجمة عن تدهور معدل تبادلها التجارى بين عامى (١٩٥١، ١٩٦٦، بنحو ٢٦٣٨٣ مليون دولار.

٢- للأسباب السالفة : يسيطر رأس المال الأجنبى على القطاعات الأكثر دينامية، ويحول قدرا كبيرا من الأرباح وعلى ذلك فحساب رأس المال ليس مواتيا للبلاد التابعة، حيث وجد أن رأس المال المغادر للدول أكبر من الوارد اليها.

يضاف إلى ذلك العجز فى بعض الخدمات التى تسيطر عليها الشركات الأجنبية، كالنقل والتأمين والمساعدة الفنية وغيرها، فتزيد من عجز ميزان المدفوعات ، الأمر الذى يحد من استيراد المدخلات اللازمة للصناعة.



٣- وينجم عن ذلك ، خلق حاجة للتمويل الأجنبي لغرضين: العجز القائم ، ولتمويل التنمية بقروض لدفع الاستثمار. هذا وقد تفتت الفائض الاقتصادي الذي كون محليا ، عن طريق تحويل الأرباح إلى الخارج. وبهذا فان رأس المال الأجنبي، يملأ الخروق التي أحدثها.

ج- **الاحتكار التكنولوجي:** التنمية الصناعية محكومة بالاحتكار التكنولوجي الذي يباشر بواسطة المراكز الصناعية الرأسمالية المتقدمة: والدول المتخلفة تعتمد في تصنيعها على استيراد الآلات أو المواد الأولية غير المتوافرة لديها. وهذه ليست متاحة بحرية في الأسواق الدولية، بل هي محتكرة ، ومملوكة بواسطة الشركات العابرة للقوميات، لا تبيعها كسلع عادية، بل تطالب بدفع **Royalties** وغيرها نظير استخدامها أو أنها تحول هذه السلع في معظم الأحوال إلى رأسمال .وتقدمه في شكل استثمارات تملكها .وهذا يوضح ان الآلات التي تبدل في المراكز المهيمنة بواسطة تكنولوجيا أكثر تقدما، ترسل إلى الدول التابعة كرأسمال لاقامة شركات تابعة. وفحص هذه العلاقة يبين ما بها من قهر واستغلال.

الدول المتخلفة ليس لديها عملات أجنبية كافية، للأسباب السابقة ،ورجال الأعمال المحليون تواجههم مصاعب مالية.ويجب أن يدفعوا مقابل نظير فنون مسجلة. هذه العوامل تجبر الحكومات البرجوازية الوطنية ، على تسهيل دخول رأس المال الأجنبي، وذلك لمد السوق المحلية المحدودة، بغرض تشجيع التصنيع. لهذا فرأس المال الأجنبي، يدخل بكل الامتيازات التي تقدم له طواعية الآن، بعد أن كان ينتزعها قسرا إبان الاستعمار: اعفاء من الرقابة على الصرف لاستيراد الآلات،تقدم له المواقع لانشاء المشروعات، أو تعطى له الأرض بأثمان إسمية.. الوكالات الحكومية المالية تسهل له التصنيع. القروض متاحة من البنوك الأجنبية والمحلية. اعفاء من الضرائب ،ويحظى بعمل وطني رخيص، إلى غير ذلك. وبعد الانشاء فان الأرباح العالية ، تنقل غالبا، إلى الخارج.

٤- أثر التبعية على الهيكل الانتاجي:

النظام الانتاجي في البلاد المتخلفة بواسطة تلك العلاقات الدولية كما يلي:

أ- إن الحاجة إلى الابقاء على هيكل التصدير الزراعي والمنجمي في البلاد التابعة يولد جمعا بين مراكز اقتصادية متقدمة تستخرج فائض قيمة من الاجزاء المتخلفة. فالخاصية غير المتكافئة للتنمية الرأسمالية على المستوى الدولي يعاد إنتاجها داخليا بشكل دقيق.

ب- الهيكل الصناعي والتقني يستجيب بدرجة أكبر لمصالح الشركات العابرة للقوميات أكثر مما يستجيب لحاجات التنمية الداخلية. منظور إليها ليس فقط من وجهة نظر مصالح الجماهير، ولكن أيضا من وجهة نظر التنمية الرأسمالية الوطنية.

ج- التركيز التقني والاقتصادي والمالي للاقتصاديات المهيمنة، يحول دون تغيير كبير في اقتصاديات ومجتمعات مختلفة تماما، مما يؤدي إلى هيكل إنتاجي غير متكافئ بدرجة كبيرة، وإلى تركز كبير في الدخول. واستخدام أقل للطاقة الانتاجية، واستغلال كثيف للأسواق الموجودة التي تتركز في المدن الكبرى.

وينطبع تراكم رأس المال في هذه الظروف بخصائص منها:

- يوجد بون شاسع بين مستوى أجور محلية في إطار سوق عمل محلي رخيص، وتكنولوجيا كثيفة رأس المال.والنتيجة من وجهة نظر فائض القيمة النسبي، درجة كبيرة من الاستغلال لقوة العمل. ويحتدم هذا الاستغلال بواسطة الأسعار العالية للسلع الصناعية ،التي فرضت بالحماية والاعفاءات، والاعانات المعطاة من الحكومة الوطنية،والمساعدة من المراكز المهيمنة.وأكثر من ذلك إذا كان التراكم التابع مرتبطا بالاقتصاد الدولي، فانه يتشكل بخاصية عدم التكافؤ في العلاقات الاقتصادية الرأسمالية الدولية، والسيطرة التكنولوجية للمراكز الرأسمالية المتقدمة، وبحقائق موازين المدفوعات، وبالسياسة الاقتصادية للدولة إلى غير ذلك.

ومن الممكن فهم القيود التي فرضها هذا الهيكل الانتاجي على نمو الاسواق المحلية في البلاد المتخلفة. فبقاء العلاقات التقليدية في الريف يعتبر قيدا جديدا على حجم السوق، نظرا لأن التصنيع لا يقدم أملا للمستقبل ذلك لأن الهيكل الانتاجي الذي خلق بواسطة التصنيع يحد من نمو السوق الداخلية ، للأسباب التالية:

١- تعرض القوى العاملة إلى علاقات استغلال تحد من قوتهم الشرائية.

٢- حينما يؤخذ بتكنولوجيا كثيفة رأس المال ،تخلق وظائف قليلة بالمقارنة بنمو السكان ،وتحد من خلق مصادر جديدة للدخل.

هذان القيدان يؤثران على نمو سوق السلع الاستهلاكية.

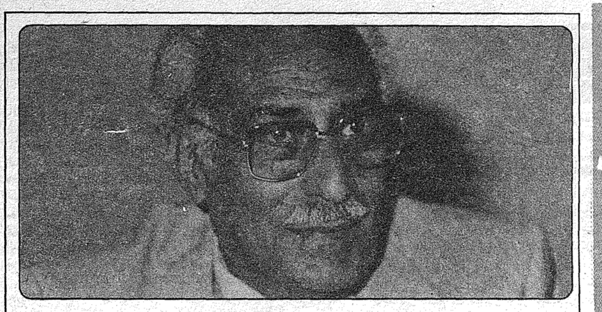
٣- تحويل الأرباح للخارج ينقل جزءا هاما من الفائض الاقتصادي الذي ولد في الدول المتخلفة.

من كل هذا تقوم عقبات أمام القيام المتوقع لصناعات وطنية أساسية، يمكن أن تقدم سوقاً للسلع الرأسمالية التي يمكن لهذا الفائض أن يجعلها ممكنة، اذا لم ينقل للخارج.

من هذا نرى أن تخلف الدول لا يرجع إلى أنها لم تندمج مع الرأسمالية العالمية، بل على العكس لأن العقبات الكأداء لنموها تأتي من الطريقة التي انضمت بها إلى هذا النظام الدولي ولقوانينه في التنمية.

كان لزاما علينا أن نلجأ إلى هذه النظرية للعلاقة بين الاقتصاد الرأسمالي المتقدم ،وهو الاقتصاد المتبوع، وبين الاقتصاد المتخلف «التابع» ،وكيف تستنزف هذه العلاقة : الفائض الاقتصادي للدول التابعة وكيف تؤدي العلاقة إلى تعويق التصنيع،ومن ثم إبقاء الاقتصاد التابع متخلفا. وسوف نعرض في المقالات القادمة لانواع التبعية الاقتصادية، وأهمها **التبعية التجارية، وتبعية رأس المال، ثم التبعية التكنولوجية** ثم نحاول أن نرسم طريقا للخلاص منها.





فخرى لبيب

مدرس وجيولوجى.. وأشياء أخرى

د. رفعت السعيد

الاسم: فخرى لبيب حنا.
تاريخ الميلاد: ٧ فبراير ١٩٢٨.
محل الميلاد: سنورس -الفيوم.
المهنة: مدرس- محترف- جيولوجى- مترجم- مسئول الإعلام بمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا.
الاسم الحركى: أنور.

الجد عامل، خراط فى السكة الحديد، يشقى ليعلم أبناءه.(معاون تلغراف ، ناظر محطه.. إلخ) والأب معاون المحطه أفنى حياته كى يعلم أبناءه«كى يكونوا أحسن منى» هكذا كان يحلم ،وتحقق الحلم.. (ضابط، طبيب، محاسب، جيولوجى.. الخ»).

وفخرى هو الابن الثانى بين سبعة أخوة.. تنقل مع الأب من مدينة لأخرى فأصبح له فى كل مدينة صعيدية ذكريات وأصدقاء.. طما.. ابو قرقاص.. جرجا. الفيوم-اسوان الخ.

تعلم فى المدرسة الالزامية.. حفظ القرآن كغيره من التلاميذ دون حساسية ، فقط كانت الوحدة الوطنية أيامها راسخة،وكان المدرسون يعلمون التلاميذ ان **الدين لله والوطن للجميع**.

المدارس زمان كانت تمتلك مكتبات قرأ فها المقتطف والرسالة وكتب المنفلوطى ،والمدرسون ايامها كانوا مدرسين حقا.. أوقعه حظه فى مدرس للتاريخ حكى لهم بحماس أحداث الثورة الفرنسية من فرط حماسه أسموه «**ميرابو**».. ودعاهم إلى أن يتعلموا كيف يكونون ثواراً.. ومدرس اللغة العربية كان يستحثهم أن يستعيدوا ذكريات ثورة ١٩١٩(ذكرياتها عالقة بذهنه فالأب يستعيدها دوماً، ويستعيد بأسى صورة خاله الذى شنقه الانجليز فى أحداث الثورة)..ومفتش التاريخ تحمس هو أيضا وناشدهم أن يكون من بينهم.. **أحمد عرابى** آخر أو **مصطفى كامل** أخر.

أدمن القراءة.. وفى الثالثة الثانوية كان طالبا فى الفيوم (الأب انتقل إلى هناك).. وهناك التقى بصديق العمر **عبد الله كامل** وكونوا جمعية للقراءة. كل عضو يدفع خمسة مليمات ليشتروا رواية يتبادلون قراءتها.. لكن مدرس الانجليزية (وكان انجليزيا) حاول أن يترفع على الجميع، فترفعوا عليه مشهرين فى وجهه ما كان يرتجف كراهية له..**الاشتراكية** .وكان يستفزهم : الاشتراكية تعنى أن تأكل فى طبق واحد مع خادمك. ويستفزونه . نحن فقراء لا خدم لنا.

«من ممارسة الانقسامية تعلمت ورأيت مدى خطورتها» .. وفى السجن خاض مع الآخرين معركة التوحيد باعتبارها مسألة حياة أو موت

وعالم آخر هو عالم «المحطه» حيث الأب يدير الكون الدائر بطبيعته . هو يرتدى جلبابه يتمشى إلى المحطه حيث عالم متجدد.. مترفون فى عربات الدرجة الأولى . فقراء . باعه . جنود احتلال.. وأهم من هذا ان القطار يأتى مصطحبا معه.. الصحف.

.. انتقل أبوه مرة أخرى إلى المحاميد (أسوان) .. أخذ أوراقه إلى ناظر المدرسة الثانوية. الرجل رفض لأن الطالب قادم من مدرسة أهلية، ويخشى أن يرسب فى امتحان «الثقافة» فيفسد نتيجة المدرسة. كان رده على رفض الناظر.. هادئا وعنيدا. بقى واقفا أمام باب المدرسة.. من الصباح حتى نهاية اليوم المدرسى، فى اليوم الرابع رضخ الناظر واستدعاه.

عام ١٩٤٦ .. عام الصخب الوطنى المرتفع. **اللجنة الوطنية للطلبة والعمال**، والمظاهرات الصاخبة .. هذا العام وحده فى الجامعة.. كان جاهزا ومستعدا للاشتراكية، ففى اسوان الثانوية التقى بمجموعة اقنعت نفسها أنها اشتراكية ، هناك علق صورة **ستالين** على حائط غرفته. نقم على هذا الفقر المدقع الذى احاط به، راسل صديقه **عبد الله كامل** متحدثا عن الفقر والاشتراكية وستالين.

أيام الجامعة كان يسكن فى حجره فوق السطح فى شبرا. جنود الاحتلال اثاروا اعصابه. قرر ان الحل الوحيد هو قتلهم. دعاه زميل له فى الكلية إلى اجتماع. ذهب .. هكذا ببساطة ذهب وجلس واستمع حكوا اشياء غريبة **لينين ، ماركسية، مادية، جدلية** ولم يفهم شيئا احتمل بأمل أن يحددوا له موعداً لقتل الانجليز.

انتقل إلى خلية أخرى فى منظمة ايسكرا شرحوا له الأمر بوضوح..المسألة ليست أن تقتل انجليزيا ، وإنما أن نحرك الشعب لنطرد الاحتلال.

***

الفتى الآن أصبح ماركسيا .انغمس بكليته فى النضال السياسى شارك رفاقه فى تأسيس **النادى المصرى السودانى** .وزع جريدة **الجماهير**.اسهم فى تشكيل **لجان مقاومة الكوليرا** .. وفجأة التهبت شبرا بتكوينها السكانى ذى الكثرة المسيحية. احترقت فى الزقازيق كنيسة، وصمم شباب مسيحيون على أن يحرقوا مسجداً مقابلها. من يمكن أن يقنعهم سوى مسيحى مثلهم لكنه متشح بوشاح الماركسية.. داخل الكنيسة خاض نقاشا طويلا.. انها مؤامرة استعمارية ، علينا الا نشعل نيران التعصب المتبادل . كسب الأغلبية إلى صفه.. أما الأقلية فقد هددها بمنعها بالقوة.

كعادة الأعضاء القاعدين لم يعرف دهاليز الاتفاقات العلوية لكنه ببساطة سمع أن هناك وحدة. وان المنظمة الجديدة اسمها «**الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .حدتو**»،وفى الدهاليز العلوية حدثت خلافات حادة انتهت بأن أعلن **شهدى عطيه وأنور عبد الملك** تكتلهما الشهير «**التكتل الثورى**» أو ما أسمى تكتل: **سيف (أنور) وسليمان (شهدى)** ووجد نفسه مع رفاقه فى قسم شبرا ضمن التكتل.

لكن التكتل انفرط بالقبض على شهدى ،وتشرذم . فوجد نفسه وحيداً مع مجموعة صغيرة. لديهم كتب ماركسية كثيرة واجهزة فنية.(كانوا مخزن حزبيا) ارتفع شعار **التعميل** بصورة حمقاء.. وانبهروا به، كان يعود من الجامعة ليلبس ملابس عمالية لتعرفه المقاهى العمالية فى شبرا باسم«الأسطى الخيمة مختار» ،ومقاهى امبابه باسم«الأسطى عفيفى» وتعلم أن مقابلات المقاهى ، ودردشات الغرباء لا يمكنها أن تثمر فعلا ثوريا.. وبرغم كل الاحباطات والصعاب كان يمتلك إصراراً على التواصل..

التقت شظايا مع بعضها ،وتفرقت ،كل ثلاثة أو أربعة كونوا مجموعة . التقى بجماعة «**العصبة الماركسية**» **انضموا معاً ، لكن الماكر مؤسس العصبه «فوزى جرجس»** لم يكن ليقبل بهؤلاء الشبان المشاغبين فى صفوف مجموعته، أخذ ما لديهم من كتب وآله كاتبة وجهاز طباعة. ثم تركهم. ببساطة وجدوا أنفسهم خارج التنظيم.

رغم المعاناة والاحباط كان يمتلك اصراراً على التواصل. لست أعرف من أين أتى هذا الجيل بكل هذا القدر من الاصرار.

لكنه تعلم درساً مريراً يقول فى حواره معى:« **من ممارسة الانقسامية تعلمت ورأيت مدى خطورتها** »وهكذا تلقن درس الوحدة، وضرورة توحيد الشيوعيين.

هو ورفيق دربه القديم **عبد الله كامل** مع عدد محدد اسسوا تنظيم «**طليعة الشيوعيين**» ضموا إلى صفوفهم **منصور زكى** ، بقروش قليلة استطاع الاسطى **منصور زكى** أن يؤسس مطبعة وأن يطبع نشرات أنيقة ، نشرة خارجية «**الصراع**» ،ونشرة داخلية «**الطليعة**» ،وأتت لهم من الخارج مجموعة من كتب الرفيق ماو فترجموا بعضها وقام «الأسطى منصور» بطباعتها.

لكن ضربة أمنية تأتى سريعا.. ليقبض على القيادة ما عدا هو.

**

كان قد تخرج . أخيرا حقق حلم الأب حصل على بكالوريس علوم شعبه جيولوجيا. كانت أحلامه كبيرة لكنها سرعان ما تهاوت.. فالمتاح الوحيد مدرس أحياء وصحة فى مدرسة جريس الابتدائية الحره بكفر الزيات. تلاميذه الفقراء،(كانوا يمشون طوال المشوار إلى المدرسة حفاة وعندما يقتربون من المدرسة يلبسون الحذاء، حفاظا عليه

لأطول فترة) علموه حقيقة الفقر وشغفهم للتعلم دفعه دفعا إلى أن يتخلص من إحباطه..قال لنفسه بدلا من اكتشاف الخامات الطبيعية كيجولوجي، سأحاول اكتشاف الخامات البشرية.. وطوى أساه ، فبعد كل ما درس مطلوب منه أن يدرس لتلاميذه أن النمر حيوان مزركش اللون حتى يجيد الاختفاء في الغابة.

.. وفيما كان منهمكا في بناء العمل التنظيمي ومواصلة نشاطه الحزبي حيث بدأت المنظمة في الاتساع وضمت عناصر عمالية قيادية.. **قبض عليه في مايو ١٩٥٤** . يفصل من العمل. **ويحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل.**

وفي السجن شاهد مأساة الانقسامية مجسده أمام عينيه. وخاض مع الآخرين معركة التوحيد واتحدت عدة منظمات (**حدتو -النواه- التيار الثوري- طليعة الشيوعيين- النجم الأحمر)** وتأسس **الحزب الشيوعي الموحد** وكان فخري عضوا في لجنته المركزية.

في السجن حاول أن يستعيد تجاربه وهو طالب في كتابة القصة، وكتب رواية عنوانها«مذكرات مدرس».

وعندما يفرج عنه عام ١٩٥٧ يصبح محترفاً ثورياً، ويواصل أيضا معركة التوحيد مع غيره ممن اعتبروها مسألة «حياة أو موت».

وعندما تلتهب العلاقة مع عبد الناصر وتبدأ حملة الاعتقالات الشاملة في أول يوم من عام ١٩٥٩. يفلت ليحاول تجميع البناء التنظيمي . الضربة غادرة وموجعة ،واستعادة البناء صعبة وشيقة في آن واحد. ويقبض عليه.

والمعدن تجلوه وطأة الاحتكاك الموجع. والرجال الرجال تعرفهم لحظات المحنة،وكانت المحنة الناصرية بشعة بكل المعايير **معتقل العزب**بالفيوم.**واوردي ابو زعبل** حيث اهوال التعذيب الوحشي.

ونقرأ بعضا مما كتب «افتتح الاوردي في **٧ نوفمبر** ١٩٥٩. لم يكن الافتتاح في هذا اليوم صدفه . فهو ذكرى الثورة البلشفية..وكأن القوى المعادية للشيوعية في مصر أرادت أن تعلن.. أن هناك قوى راغبة في وقف حركة التاريخ ،ومنع القوى الاشتراكية من تحقيق الاشتراكية ، باستخدام التصفية الجسدية ، سبيلا للتصفية الفكرية».

(فخري لبيب- الشيوعيون وعبد الناصر-ج٢ ص١٩).

وهو يلخص كل مأساة التعذيب النازي في عبارة خصبة «كان التعذيب البدني، أداة من أدوات التعذيب النفسي، كانت مرحلة حاول النظام فيها تنفيذا لخطة التصفية أن يصل بالمعتقلين إلى حالة من التفرد كل في ذاته ، بحيث يسهل سحق هذه الذات المنفردة، والاجهاز عليها» (المرجع السابق- ص١٥).

ويصمد .. ويصمد معه كل الرجال يجتازون المحنة كأشجع ما يكون الشجعان.

وتنتهي فترة السجن.. لتبدأ المحنة الكبرى.

***

عام ١٩٦٤ .. قرار الحل مطلوب ، الكل يضغط من أجله: عبد الناصر .. والاصدقاء والاعداء وحتى السوفيت . هو حاول أن يفلت بالحزب أو حتى ببعض منه اقترح تجميد النشاط الحزبي لعام أو أكثر حتى تستبين الأمور. لكن قرار الحل صدر .. فقد كان مطلوبا أن يصدر.

وبعد فترة من التعطل.. قطعها في مهنة قليلة الربح.. الترجمة . عين جيولوجيا . أي بهجة. ولكن أية حرج. هذا الرجل الأشيب الشعر يذهب إلى اسوان ضمن بعثة رئيسها أصغر منه سنا بكثير.. وفوق هذا يعرف ما يفعل. هو نسي كل شئ.. الزمان والايام وتدريس الفارق بين الفرخة والبطة ، الانهماك في السياسة ،عذاب السجن كل ذلك أنساه، ما قرأ ومادرس عن الجولوجيا.

لكنه التحدي. وهو هنا تحد من نوع خاص.. **شيوعي يريد أن يثبت جدارته** ،وأثبت جدارته .مسح الوادي من أسوان إلى حلوان . ويقول «**أصبحت دون أن ادري أهم خبير في الصخور الرسوبية**» واعد رسالة الماجيستير عن الأحجار الجيرية في المنيا (كان قد أصبح رئيس بعثة المشروع الخاص باستخراج هذه الاحجار -اللازمة لمشروع الحديد والصلب).. عمل في سيناء بحثا عن خامات مكملة لصناعة الالومنيوم.

وتوالت اكتشافاته وجهوده العلمية وأعد رسالة الدكتوراة.. أنه التحدي السياسي الذي يدفع كهلا في الستين من عمره أن يعد رسالة دكتوراة.. ذات التحدي جعله واحداً من أشهر الجيولوجيين.

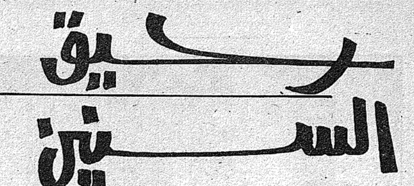
عندما أسس مركزا جيولوجيا في الفيوم سأله أحد زملائه ما الذي يعود عليك من هذا الجهد. وقبل أن يجيب هو، يتولي الاجابة مسئول الامن قائلا: (لأن الناس ستقول أسس هذا المركز **فخري لبيب الشيوعي**) .. وقد كان . ترك الجيولوجيا بعد أن منحها بصمة مناضل شيوعي عنيد يعرف كيف يكون التحدي.. وكيف يتحول التحدي إلى خير للوطن.. وخدمة للناس والمستقبل.

***

ويحين موعد التقاعد. لكن الدكتور فخري لا يتقاعد يعمل في منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا. يكتب قصصا. روايات . كتبا سياسة . ابحاثا علمية. يترجم.. ينضم مؤسسا لحزب التجمع وواحداً من قادته.

باختصار هذا الفتى الصعيدي الذي صمم على تحدي ناظر مدرسة اسوان فظل واقفا بباب المدرسة حتى أرغمه على قبوله: يصمم ذات التصميم. يقف على باب الوطن.. يقول يفعل، يعمل، يفكر..كي يكون كما يريد. مستحقا ما وطن نفسه على التمسك به من فكر ومعتقد.

افتتح الأوردي في ٧ نوفمبر ١٩٥٩ وكأن القوى المعادية للشيوعية في مصر أرادت أن تعلن عن رغبتها في تحقيق الاشتراكية باستخدام التصفية الجسدية



د. سمير حنا صادق

فيلم ناصر ٥٦.. انفعالية حزينة غاضبة

تمر السنون، وتدور عجلة الحياة ،وتضعف عضلاتنا، ويصعب مرور الدم فى شراييننا، فنصبح أقل قدرة على التحكم فى انفعالاتنا.

قال لى صديقى، وهو عالم مرموق، له مكانته فى المحافل المصرية والعربية والعالمية، وهو مشهور برزانته والتحكم فى عواطفه، قال لى: إنه عندما حضر فيلم« **ناصر ٥٦** » سالت دموعه على خديه منذ بداية الفيلم حتى نهايته.

وقالت لى شقيقته،وهى علم من أعلام الثقافة فى مصر، أنها مرت بأزمة نفسية شديدة عندما رأت الفيلم.

وذهبت وزوجتى لرؤية الفيلم عندما تيسر لى إيجاد مقعدين فى إحدى دور العرض وانتابنى حزن عميق.. وانتابنى غضب عارم.

لن يضار **عبد الناصر** أو أحد من أهله بحملة الكتاب المأجورين عليه، فقد مات ،وقد تطبع أغلب ابنائه مع العصر وعاشوا سعداء متمتعين ببحبوحة فى العيش لم يتمتعوا بمثلها فى حياته ،وستبقى ذكراه عطرة عذبة على مدى التاريخ رغم أنف المأجورين.

ولكن الضرر من هذا العواء المستمر،والهدف المستهدف منه هو الهجوم على سيادة مصر، على حماية مصر من الهيمنة الأجنبية،على رخاء وصحة شعب مصر،على سعادة وابتسامة طفل مصر.

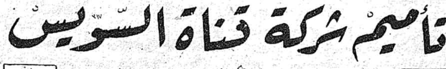
احتوت سياسة عبد الناصر على ثوابت عديدة،وأغلب الهجوم عليه هو فى الحقيقة هجوم على هذه الثوابت:

- **تحرير إرادة مصر من هيمنة الدول الأجنبية** وهو هدف واضح ولا جدال فيه استمر طوال فترة حكم عبد الناصر. إن حكام الدول الأجنبية تنتخبهم شعوبهم بقيادة الطبقات السائدة لتحقيق أهداف تتعلق **بمصالحهم**،وهى غالبا لا تتفق مع **مصالحنا** ، بل كثيرا ما تتناقض مع **مصالحنا** وتحرير ارادة الدولة من هيمنة الأجنبى هو الطريق الوحيد للدفاع عن مصالحنا (عندما اتحدث عن مصالحنا فانني اعنى طبعا مصالح شعب مصر،وليس مصالح حفنة من العملاء من التجار والسياسيين) .ومن هنا كانت معارك عبد الناصر مع كل من حاول الهيمنة على القرار المصرى.

-وتحرير إرادة مصر يعتمد أساسا على **توفير الامكانات والموارد**، فكما قال **رئيس الجمهورية: «من لا يملك رغيفه لا يملك قراره »** لتتضح الحلقة الخبيثة التى يسقط فيها من لا يملك قراره أو رغيفه.

ومن هنا كانت معارك عبد الناصر البطولية الرائعة للتصنيع والتنمية، من هنا كان السد العالى ومصانع الحديد والصلب ومصانع السماد وتوسيع الرقعة الزراعية، وآلاف المصانع والمزارع التى وصلت بنسبة النمو السنوى إلى مستوى يزيد عن أى بلد من بلدان العالم الثالث.

-وتحرير ارادة مصر يعتمد أيضا على **شعب وفى ذكى مناضل**.وقد حقق **عبد الناصر** ذلك، فشهدت مصر نهضة ثقافية شهد لها العدو قبل الصديق،وطبق **عبد**



تأميم شركة قناة السويس

الأهرام

الرئيس يعلن باسم الأمة :

أموالنا وحقوقنا ردت الينا

سنبنى السد العالى معتمدين على سواعدنا واتحادنا ودمائنا

قرار رئيس الجمهورية بتأميم شركة القناة

ينقل للدولة مالها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات

تعويض المساهمين وحملة حصص التأسيس عما يملكون بقيمتها كآخر اقفال

تجميد أموال الشركة وحقوقها فى جمهورية مصر وفى الخارج







صورة تاريخية لعبد الناصر

الناصر شعار **طه حسين «التعليم كالماء والهواء حق لكل مواطن»** ومده إلى جميع مراحل التعليم.وافرز هذا النظام آلافا من خريجى الجامعات والمعاهد قاموا بالنهضة الشاملة فى جميع البلدان العربية وبعض البلدان الافريقية. ووفر عبد الناصر لشعبه سبل المعيشة الكريمة من مسكن ملائم بسعر يقبله العقل وغذاء مدعوم لضمان حمايته من سوء التغذية ،وعلاج مجانى لكافة المواطنين،وفرص عمل تحت شعار «العمل حق».

-وعلم **عبد الناصر** أن مصر لن تستطيع وحدها أن تقاوم قوى الشر فى آلة الرأسمالية الغربية الشرهة المتوحشة، فجمع **الشعوب العربية** حوله،وارتبط مع **شعوب وحكومات العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا بالحياد الايجابى** منذ باندونج،وحرر نفسه من ربقة العداء للكتلة الاشتراكية، فكسب حليفا قويا سانده اقتصاديا وسياسيا وعسكريا فى كافة معاركه، دون أن يسلم شعرة من إرادة مصر.

هكذا كان طريق عبد الناصر.

وهكذا ينبغى أن يكون طريق كل من يريد الخير لشعب من شعوب عالم الجنوب.

ولقد عرف شعب **عبد الناصر** المتحضر ذلك، فقام يوم التنحى تلقائيا- نعم **ت ل ق ا ئ ى ا** يا أيها السادة المفترين على ارادة الشعب- قام الشعب تلقائيا بمظاهرة لم يحدث مثلها فى تاريخ العالم.

وقام العالم العربى أيضا بواجبه، فاستقبل **عبد الناصر** فى الخرطوم بعد ٥ يونيو استقبالا شعبياً مؤيدا رائعا لم يستقبل به زعيم خارج بلاده ،وقام الشعب ايضا تلقائيا- نعم تلقائيا يا أيها السادة الحاقدين- بوداعه فى سبتمبر الحزين، فخرجت الملايين من المصريين المتحضرين فى جنازة لم تحدث أيضا فى تاريخ العالم وشيعت شعوب العالم باكمله جنازته وشهد له الجميع بالبطولة والشرف، ولا زالت صوره تزين المحال والمحافل فى انحاء العالم العربى.

لقد مر الآن ربع قرن على وفاة **عبد الناصر** وثبت وضوح رؤيته: ثبت خطورة فرض أن الصراع بيننا وبين الصهيونية مرض نفسى، وثبت خطأ قبول أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا، وثبت الضرر الفادح من فض التحالف العسكرى بيننا وبين سوريا الشقيقة،وثبت أهمية تكتل البلاد العربية ضد العدو المشترك،وثبت الأهمية العظمى للسد العالى الذى طالبوا بهدمه.

وثبت ما هو أهم وأخطر من ذلك كله: ثبت أنه رغم العواء المستمر لمدة ٢٥ سنة، فقد التف الشعب، حتى الشباب الذى ولد بعد وفاته، فى مظاهرة رائعة حوله فى دور عرض فيلم«**ناصر ٥٦**».

ولقد أصبح عواء هؤلاء السادة محسوبا على الحكومة،فلزموا جحورهم، أو التفتوا إلى توافه أخرى يكتبون عنها.

إننا نقدر أن ما ورثته الدولة بعد حكم أنور السادات أثقل عبئا عما ورثه **عبد الناصر** بعدَ حكم الملكية..

ولكن الطريق الوحيد أمامنا فى الظروف الخطيرة المحيطة هو التخلص من الهيمنة الخارجية والتنمية الشاملة السريعة.

وهو باختصار طريق **عبد الناصر**..



يمين × شمال

تحرير: أمينة النقاش

تنويه لابد منه

ترحب يمين × شمال بكل رسائل القراء وتعتز بها، لكنها تود أن تلفت نظر الأصدقاء أن هذه الزاوية باب للرأي، على صاحبه أن يتحمل المسئولية عنه، ولذلك يصبح من المنطقي عدم الالتفات إلي الخطابات التي لايوقعها أصحابها

المحررة

عتاب غاضب

اطلعت على التعليق السريع الذي سطره قلم الأستاذ صلاح عيسى حول كتابي " الكويت .. الحقيقة " في عدد سبتمبر من مجلة " اليسار" . ومنذ اللحظة الأولى تأكد لي بأن الأستاذ صلاح لم يقرأ الكتاب وإنما على الأكثر اكتفى بالمرور العابر خلال الصفحات .. وهو ماأوقعه فى أخطاء ، أرجو أن تكون غير مقصودة ، قلبت الحقائق رأسا على عقب ، مما أساء إلى الكتاب وقبل ذلك إلى أسس النقد أو التحليل الموضوعي.

فهو بينما يؤكد للقارئ حقيقة أن الكتاب تناول وصفا للكويت ما بين ١٩٦٠ -١٩٦٥ ، وهي الفترة التي تدور حولها مذكراتي ، فانه يسارع إلى القول بأن الأراء المكتوبة " كانت آراء استقطابية حادة كالتى شاعت أثناء حرب الخليج الثانية .." يقول ذلك بينما أن الكتاب تجنب أية اسقاطات أو إيحاءات أو اعطاء أمثلة أو ايراد وقائع أو استشهادات بأى شكل كان لأمور وقعت بعد تاريخ ١٩٦٧ ، مع معرفتي لها واطلاعي عليها ..

لقد أكدت فى المقدمة على هذا الخط الذي حرصت عليه بدقة والتزام حين قلت .. مع علمي بأن هناك تغيرا أكيدا قد حصل فى مجالات مختلفة بحيث تغيرت معها بعض الصور التي رسمتها لها فى هذه المذكرات . إلا أنني أثرت الاحتفاظ بها كما هي وكما سجلتها فى حينها .. حتى يشركني القارئ الاطلاع عليها كما كانت دون اضافة أو تغيير . ذلك أنني انتهيت من كتابتها فى آخر سنة ١٩٦٧ ، ولم أشأ أن أبدل فيها أو أن أضيف اليها أية عبارة بل تركتها كما هي كى يحكم التاريخ عليها.

ويبدو أن الأستاذ صلاح لم يجد الوقت الكافي لقراءة هذا القول الواضح الصريح . كما أنه لم يلاحظ دقة التوثيق لكل ماذكرته من وقائع بالأسماء والتواريخ والشواهد ، فانه يصف أرائي بأنها أراء استقطابية حادة كالتي شاعت أثناء حرب الخليج الثانية .. فأنا لم آت على حرب الخليج لا الأولى ولا الثانية ، لأن احداث الكتاب قد توقفت وانتهت سنة ١٩٦٧ ، ولم أتطرق إلى موضوع العراق والكويت بعد ذلك لابشكل مباشر ولاغير مباشر.

أما الأمر الثاني الذي لابد لي من عدم قبوله ، هو قوله أن الكتاب يعرض بتعاطف الحجج التي استند اليها العراق فى ضمه للكويت أثناء " حرب الخليج" .. وهذا دليل قاطع آخر بأن الأستاذ صلاح عيسى لم يقرأ الكتاب بالعناية اللازمة . ولو فعل ذلك للاحظ بدون عناء أن هناك فصلا كاملا ، وهو الفصل الثامن ، من صفحة ٢٢٩ - ٢٥٤ ، كان للحديث عن أزمة الكويت مع العراق عام ١٩٦١ ، ولاأظن أن الأمر التبس عليه إلى هذا الحد وظن أن ١٩٦١ هي ١٩٩٠ وبين الحدثين ثلاثون عاما ..!!

ففى أزمة ١٩٦١ عرضت لحجج الطرفين بموضوعية وحيادية شديدة ، ولم أؤيد طرفا ضد طرف ، ويكفى أن أشير إلى الصفحة ٢٥٤ من الكتاب والتي ذكرت فيها كيف أن خلفاء عبد الكريم قاسم قد قبلو بأن يتلقوا (ترضية!) من الكويت قيمتها عشرون مليون دينار ليغضوا الطرف عن مطالبتهم بالكويت . وهي حادثة غير متداولة كثيرا ، وأظن أن عدداً كبيراً من القراء لايعرفونها.

ومع ذلك ، فانى أعتبر الأستاذ صلاح (صديقا عن بعد) منذ أكثر من عشرين عاما ، كان خلالها ومازال الكاتب والصحفى والأديب والمؤرخ صاحب القلم الرشيق الذي أغبطه عليه والذى كنت من المدمنين على قراءة مايكتبه بشغف.

عصام الطاهر

المحررة:

صلاح عيسى يشكرك ، ويعتز بصداقتك على البعد ، ويؤكد لك أنه قرأ كتابك مرتين ، مرة قبل أن يكتب عنه ،ومرة بعد وصول ردك الذي لم يغير من رأيه . وبصرف النظر عن تاريخ كتابتك للكتاب - الذي لايستند إلا إلى روايتك أنت نفسك - فقد نشر الكتاب لأول مرة بالانجليزية بعد الغزو العراقي للكويت ، ونشر بالعربية هذا العام ، وقد كتب بروح استعلائية لاترى فى الكويتيين - شعبا وحكومة - أى فضيلة أو مؤهل يستحقون من أجله البقاء ، وهذه الرؤية العنصرية ، هى مايعترض عليه ، ويصفه بأنه رؤية استقطابية كالتي شاعت قبل وأثناء وبعد حرب الخليج .. ولأن كتبخانة باب للتعريف بالكتب ، لالعرضها أو تحليلها أو لنقدها ، فقد اكتفى بالانطباع الذي خرج به من الكتاب ، وماكتبه ، وماكتبته أنت والكتاب نفسه بين يدى القراء ، الذين قد يخرجون بانطباع ثالث .. واختلاف الانطباعات لايفسد للود قضية يادكتور عصام!

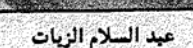
العلمانية هى الحل

تغلغل مفهوم الدولة الدينية المعادى للعلمانية والمجتمع المدنى فى أوساط لانستطيع الاستهانة بها لا من ناحية العدد أو التأثير .. وذلك لقوة العاطفة الدينية ولسوء الأحوال الاقتصادية والتى استغلها دعاة الدولة الدينية مصورين الدولة الدينية بالفردوس المفقود مما خلق نوعا من أنواع النوستالجيا - المسيطرة على الطبقات المهمشة بصفة خاصة - للعصور الأولى للاسلام.

والدعوة إلى الدولة الدينية تعتمد فى الأساس على شحذ العواطف لذلك فان منطقيتها واضحة أشد الوضوح .. فماذا بعد« الإسلام هو الحل ..! » أيجرد تطبيق الجانب العقابى من الشريعة تحل كل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أشك فى ذلك .


د. نصر حامد أبو زيد


أبو العز الحريرى



عبد السلام الزيات

والتاريخ يثبت أن الدولة الدينية انتهت بوفاة الرسول(ص) وماسقيفه بنى ساعدة إلا حدث سياسى فى الأصل والمتابع لأحداثها والحوارات التى دارت بها سوف يعلم أن الحجة العقلية لا النقلية هى التى جاءت بأبى بكر خليفة للمسلمين .

وحينما جاء عمر .. استخدم عقلة فى بناء الدولة فأنشأ الدواوين ونظم الأسعار بل وإجتهد مع وجود النص القرآنى الصريح فمنع المؤلفة قلوبهم الزكاة.

والفتنة التى حدثت فيما بعد بين على ومعاوية أساسها اختلاف الرؤى فى كيفية بناء الدولة . أخلافة قائمة على الشورى أم تلك القائمة على السيف .

ومن كل ماسبق نستطيع القول بأن كل من جاء بعد الرسول استخدم عقلة ورأيه وهذا ليس مخالفا أبداً لسنة الرسول .. ألم يقل " أنتم أدرى بشئون دنياكم " ..؟

من هنا نصل إلى أن علمنة المجتمع هى الأساس .. فنحن فى أحوج حالة للعلمانية فى ظل محاولة الكهنوت السيطرة على كل شئون المجتمع .. والعلمانية ليست إلغاء الدين وإنما هى محاولة لإنقاذه من أن يستغل لتحقيق مكسب سياسى مؤقت فالدين نور وهداية للأفراد ولن يتحول أبدا إلى إطار سياسى أو أيديولوجى .. فالسياسة مثلاً أمر نسبى يتغير بتغير المصالح والدين أمر مطلق لايتغير أبداً فكيف يسيطر المطلق على النسبى .. أليس فى هذا إفساد لكل من السياسة والدين معاً..

والعلمانية - أخيراً - ماهى إلا التفسير العلمى للواقع للوصول به إلى أرقى حالاته .. العلمانية هى أن يبدع كل إنسان فى مجاله بعيداً عن أى قيد أو تحكم .. هى ليست إلحاداً أو كفر ا كما يزعمون وإنما هى سعادة وخير للمجتمع .. كل المجتمع ..

محمد أحمد فرحات
المنوفية

أبو زيد ومنطق القبائل

القبائل وزعماؤها ينتفضون صباحاً وثورة ضد نصر أبو زيد وزوجته ليس لأن كتبه بها انحرافات فى العقيدة كما يدعون ولكن لأنه تجاوز الخطوط الحمراء وخبط فى المصالح الشخصية لرؤساء القبائل والعشائر وفضح السراديب السرية والنفعية لهؤلاء الزعماء فكان الرد على نصر أبو زيد وكتبه ومساجلاته على مآذن الجوامع لتكفيره وفى ساحات القضاء لتفريقه عن زوجته واعطاء الفتاوى الشرعية للمتطرفين ليقتصوا منه على قارعة الطريق وهكذا أصبح الحوار مع أستاذ الجامعة الذى تنحصر أسلحته فى القلم وكل قوته هى أسانيده التى تتضمنها كتبه أصبح الحوار معه بالصياح بدون علم وتكفيره بدون دراية وبدون قراءة حتى أعماله أنهم بدلاً من أن يرسوا الحوار كسمة عصرية للوصول للحق والحقيقة يتخذون الفوضى منهجا والهمجية دربا ويسعون لبناء مجتمع مظهره وشكله الخارجى هو الدين ومحتواه هو التبعية المفرطة للغرب.

إن نصر أبو زيد والكوكبة من مفكرينا وعلمائنا هم زادنا لمجتمع الغد وأى مخلص للوطن وللاسلام يجب أن يضع نصر أبو زيد وزملاءه فى قرة عينه لأن حالة الجمود والتخلف التى نحن بصددها تحتاج لمفكرين عظام يمتلكون الوعى والمعرفة والجرأة لاقتحام أعشاش الدبابير وأساطير الجهل والتخلف وهدم كل مايعوقنا عن بلوغ أهدافنا.

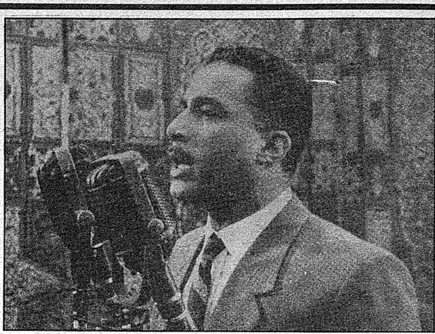
إن هذه الكوكبة من مفكرينا هم صانعو مستقبلنا الذى نبتغيه فى إطار عصرى يهضم أحدث مافى عصرنا من أنساق فكرية وأعظم مافى تراثنا وحضارتنا العربية الاسلامية من قيم استنارة .

عبد الحميد القداح
المنصورة

الاكتفاء بالهتاف !

يبرز دئما التساؤل ؟؟ متى يشهد مجلس الشعب المصرى الجلسات الساخنة .. وانتهى عامه الأول .. بدون سخونة الاستجوابات .. بل الحوارات .. برغم أنه يضم ممثلين عن التجمع والوفد والناصرى .. فمازلت أتذكر السادة محمد عبد السلام الزيات ومحمود القاضى وممتاز نصار وقبارى عبد الله وأبو العز الحريرى وكمال خالد وضياء داود .. الخ . وكانت لهم صولات وجولات .. لكن هل ضعف الجلسات نما من أن المجلس الحالى أصبح يمتلك بطلان عضوية أكثر من مائة عضو .. وتلك التركيبة المعاصرة .. مثلما نرى فى تعليمنا المصرى تتحرك بالتلقين والحفظ .. والغاية هى النجاح آخر العام .. فصحافة أحزاب المعارضة ترصد بعض حالات الفساد فى الشارع المصرى .. وإذا عمت ظاهرتا الفساد والبطالة فى أى مجتمع ماذا يتبقى له ؟؟ فالفساد ليس كظاهرة الارهاب يمول من الخارج .. والندوات المغلقة داخل مقار الأحزاب لاتتحقق منها الجماهيرية والوعى بتحريك العمل الحزبى إلى الأفضل .. ومجلس الشعب أو النواب فى أى مجتمع إن تحرك بنجاح وثقة بعيدا عن التضليل ومواكب النفاق لحقق بعدا إنسانيا فى نهضة قطاعات المجتمع المختلفة .. ومازلنا نكرر أن العقل المصرى بحاجة إلى منظومة جادة فى آليات البناء والتكامل والحرية والمساواة .. ومجلس الشعب المصرى هل يستطيع حقا التحرك فى محاور الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية من أجل بناء مجتمع انسانى متكامل ينهض بذاته وبأبنائه أم سنظل نهتف بالروح بالدم نفديك يافلان .. والفلان موجود فى كل عصر ..

يحيى السيد النجار
دمياط



فيلم «ناصر ٥٦» لمحمد فاضل

أحمد يوسف

لم يتمتع فيلم عربى معاصر بالضجة الاعلامية، الايجابية أو السلبية على السواء، على النحو الذى قوبل به فيلم «ناصر ٥٦»، منذ بداية التفكير فى انتاجه قبل أربع سنوات،وعبر مراحل الانتاج بتمويل من التليفزيون المصرى، حين واجه مشكلات عديدة متوالية ،وحتى عرضه مؤخراً بعد أن أثيرت شكوك عديدة فى أنه قد ينتهى حبيساً فى العلب، لأسباب سياسية ليست بعيدة عن التخمين. وها هو أخيراً يجد فرصة للعرض ،فى فترة الصيف التى تواجه فى العادة ركوداً جماهيرياً، فاذا به يجد رواجاً يقول البعض أنه كان متوقعاً على خلفية السياق السياسى المعاصر، بينما عزا البعض الآخر هذا الرواج إلى أسباب الدعاية والإعلام وحدهما. وبين هذا الفريق وذاك يكاد فيلم«ناصر ٥٦»- كعمل فنى- أن يمضى بعد أن تنتهى كل تلك الضجة إلى زوايا النسيان، دون أن يوضع فى مكانه الصحيح من تاريخ السينما العربية.

ففيلم «ناصر ٥٦» هو الفيلم العربى الأول الذى يتناول بأسلوب أقرب إلى التسجيلية أو الوثائقية لحظة تاريخية من حياة زعيم سياسى معاصر، يتمتع بالتأثير«الكاريزمى» الهائل الذى كان لعبد الناصر ، كما أنه الفيلم الذى يمكن للعديد من مشاهديه أن يجروا مقارنات مستفيضة بين الأحداث التى عاصروها والطريقة التى تم تجسيدها بها على الشاشة،وفى هذين المجالين جاءت معظم الكتابات «الصحفية» وكأنها تدور «حول» الفيلم وليس عن الفيلم، وهذا لا يعنى بالطبع أن نضع «الموضوع» التاريخى شديد الأهمية جانباً، لكى نناقش الأمور التقنية السينمائية، ولكنه يعنى أن نتذكر أنه حتى فى مجال إعداد الأفلام التسجيلية- بالمعنى الحرفى للكلمة- من شرائط ووثائق سينمائية، حول موضوع أو حدث سياسى ما ، فانه يبقى دائما أمام الفنان فرصة للإبداع الفنى، بين اختيار بعض الشرائط والوثائق دون الأخرى، أو اختيار «شكل» فنى محدد لترتيب هذه الشرائط وقصاصاتها، للخروج من ذلك كله برؤية أو «مضمون» خاص ،وقد تنتهى أحياناً بعض الأفلام التسجيلية التى تستخدم نفس الوثائق -على أيدى الفنانين المختلفين- إلى أشكال ومضامين ربما تصل إلى درجة التناقض، فهل لا يبدو ذلك الأمر أقرب إلى الاحتمال مع فيلم «روائى مثل« ناصر ٥٦» ، الذى لا يعتمد على المادة التسجيلية، وإنما يختار أن يعيد إحياءها وتجسيدها، من خلال سيناريو محفوظ عبد الرحمن الذى لا يخلو من إضافة شخصيات هى من بنات الخيال، أو«تشخيص» ممثلين يعرفهم المتفرج باسمائهم وشخصياتهم من خلال أعمال فنية أخرى، أو حدية المخرج محمد فاضل فى أن يحذف أو يضيف، أو أن يقوم على تنفيذ المشاهد المكتوبة باستخدام كل الإمكانات المتاحة لديه للغة السينما الروائية؟.

الموضوع والمضمون والشكل

من الغريب أيضا أن يكون فيلم« ناصر ٥٦» هو الفيلم العربى الأول الذى تمتع السيناريو التفصيلى له بالوصول إلى أيدى القراء مطبوعا فى كتاب قبل العرض السينمائى على الجماهير، ومع ذلك فانك تكاد لاتجد دراسة نقدية واحدة تتناول العلاقة بين مشروع السيناريو والفيلم الذى تم عرضه على الشاشة ، ليس لأغراض تنحو إلى النزعة الاكاديمية فى مقارنات تفصيلية قد لا تهم القارئ أو المتفرج، وإنما من أجل تقييم متأمل لحصاد هذه التجربة الفنية، ودراسة الأساليب الابداعية المختلفة فى تناول «موضوع»واحد ،ومن ثم العلاقة الجدلية الحميمة بين «الشكل» و«المضمون».

إن الانطباع العام الذى تخرج به بعد مشاهدتك الفيلم ، أو تتبعك الكتابات النقدية حوله، هو أن «الموضوع» وحده قد احتل فيها المكان الأثير، حتى أنك تشعر أحياناً أن الأغلب الأعم من المشاهدين والنقاد قد تركوا أنفسهم لحالة من استدعاء اللحظة التاريخية التى يجسدها «ناصر ٥٦» ، بين



عبد الناصر على الشاشة: بطل تراجيدى فى سجن الصورة الإعلامية

الحنين إلى الماضى هرباً من الحاضر القاسى، أو الرغبة فى البحث عن أسباب كل سلبيات الحاضر فى هذا الماضى الذى ينظر له البعض على أنه «**عهد بائد**» ! ونحن لا ننكر على هذا الفريق أو ذاك تلك الحالة الوجدانية -المنتشية أو الرافضة- لما يرونه على الشاشة ، فهذا على أية حال جانب مهم من تجربة التذوق الفنى، وإن كان الأهم هو أن يجعلنا العمل الفنى- أيا كانت الاستجابة له- أقدر على فهم الحاضر، وصنع المستقبل، أو ربما كنا أكثر تواضعاً فى طموحاتنا لننتظر من العمل الفنى أن يكون مجرد خطوة فى الاتجاه الصحيح على طريق صنع أفلام تتناول تاريخنا، القريب أو البعيد، فهل استطاع فيلم« **ناصر ٥٦** » أن يحقق أيا من هذين الهدفين؟.

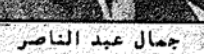
جوهر القضية فى رأيى هو أن ندرك الفرق بين «الموضوع» و«الشكل» و«المضمون» فى العمل الفنى، بقدر إدراكنا للعلاقة الوثيقة بينهم جميعا، فالعمل الفنى لا يستمد قيمته أبداً من أهمية موضوعه ، فاذا كانت هناك مئات أو آلاف اللوحات عن«المسيح» ، فان ما يبقى منها فى تاريخ الفن لا يتجاوز عدداً محدوداً من المعالجات الفنية التى حققت الأصالة فى الشكل والمضمون، كما أن معالجة شكلية تقليدية ومصقولة لمثل هذه«التيمة» قد تعمد إلى أن تضفى على المسيح رونق الاغنياء الذين يرفلون فى النعيم، فلا تترك فى النفس أثراً عميقا مثلما تتركه تلك اللوحات التى جسدت آلامه أو ثورته على الظلم وصراعه مع الشر. لذلك فان الشكل الفنى الذى يختاره الفنان ينبع من رؤيته الخاصة لمضمون موضوعه الذى يتناوله. وليس ببعيد عنا قصة الفنان الايطالى**كارافاجيو** فى السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر، حين طلبت منه الكنيسة أن ينجز لوحة عن القديس« **متى** » وهو يكتب انجيله، لتوضع فوق مذبح احدى كنائس روما، فاختار الفنان أن يكون القديس رجلاً عجوزاً من عامة الناس، أصلع الرأس، حافى القدمين، رث الثياب، أتته « **كلمة الله** » فى صورة ملاك شاب يبدو كما لو كان قد هبط من السماء ، ليملى عليه الانجيل، فاذا بالقديس العجوز يمسك بالقلم فى صعوبة، وانعقد حاجباه من الجهد الذى يبذله، فقداسته الحقيقية-كما رآها **كارافاجيو** -تنبع من كونه رجلاً عادياً ألقيت على كتفيه مسئولية هائلة، وبالطبع فان الكنيسة آنذاك رفضت لوحته الثورية، وأجبرته على انجاز لوحة تقليدية أخرى، لقديس أنيق متأمل هادئ ، يكتب فى صفاء روحى كامل ما يمليه عليه الملاك الجميل،ومع ذلك فان القديس«متى» العجوز الفقير هو الذى ظل قريبا إلى قلوب المؤمنين.

الصورة المصقولة المسطحة

ليس هناك من شك فى أن عبد الناصر- كزعيم سياسى- كان ثوريا حقيقياً ،ومع ذلك فان صناع فيلم« **ناصر ٥٦** » اختاروا الشكل والمضمون التقليديين لتجسيد

ناصر ٥٦ على الشاشة بطل تقليدى يتحلى بصفات تسمو فوق كل من حوله


أحمد زكى


جمال عبد الناصر

هذه الثورية على نحو يذكرك -على سبيل المثال- بأفلام الواقعية الاشتراكية عن لينين، وهو الاختيار الذى يميل إلى تجسيد البطل التاريخى باضفاء العديد من ملامح النقاء على شخصيته، وربما كان الدافع إلى ذلك لدى كاتب السيناريو **محفوظ عبد الرحمن** **والمخرج محمد فاضل** هو الدفاع عن شخصية زعيم معاصر بحجم **عبد الناصر** ،لم تستطع أن تنجو من معاول الهدم من قوى معادية له ولسياساته طوال ربع القرن الأخير، حتى أن جيلاً كاملاً لم يعد يعرف الحقيقة عن هذه الشخصية التى أصبحت بالنسبة له تتسم بنوع من الغموض، فهل هو الزعيم الذى جعل العالم العربى يحتل مكاناً ومكانة مهمين فى السياسة والتاريخ المعاصرين، أم أنه الديكتاتور الذى دفع بالوطن إلى هاوية مظلمة يقولون أننا ما زلنا نعانى من آثارها حتى اليوم؟!.

ومن الحق القول أن اختيار اللحظة التاريخية التى يتناولها الفيلم ، بين يوم جلاء الاحتلال البريطانى عن مصر فى **يونيو ١٩٥٦**والعدوان الثلاثى الذى بلغ ذروته فى الأيام الأولى من نوفمبر من نفس العام، هو اختيار يجسد دراما وطن يسعى إلى الاستقلال ، بينما يجد نفسه- فى بطولة تراجيدية- مضطراً لمواجهة قوى عاتية تريد إعادته إلى أغلال العبودية، ولا يستطيع انسان منصف أياً كانت انتماءاته السياسية أن يتجاهل أن الوطن كان عليه أن يخوض هذا الصراع إلى نهايته وفى مثل هذا السياق لابد أن **عبد الناصر** نفسه كان بطلاً تراجيدياً على نحو ما، نقطة ضعفه التراجيدية- إن جاز أن نسميها كذلك -هى الحلم بامتلاك الارادة الوطنية واقامة وطن حر، بكل ما تحمله كلمة «وطن» من معنى.(لم يفت صناع الفيلم- أو بالأحرى مخرجه فى مشهد غير موجود فى السيناريو- التأكيد على هذا المعنى فى لقطات تسجيلية لشوارع القاهرة فى تلك الفترة، وعلى شريط الصوت نسمع أغنية **عبد الحليم حافظ «بكره وطننا هيصبح جنة وأنت معانا..»**ولك أن تحدد مشاعرك تجاه ما آل إليه هذا الحلم الجميل النبيل)!.

للأسف الشديد فان «**ناصر ٥٦**» الذى رأيناه على الشاشة لم يكن بطلاً تراجيدياً ، بل لم يكن بطلا دراميا ،وإنما كان بطلاً بالمعنى التقليدى للكلمة، يتحلى بأخلاق تتسامى فوق كل أخلاق الآخرين(لا حاجة بنا للقول أن أجمل الأعمال الفنية حول أكثر الشخصيات قداسة هى التى جعلتهم بشراً عاديين ، فبطولتهم الحقيقية هى الصراع الذى يحتدم بداخلهم بين الخوف أو الشجاعة، أو بين الركون للمسالمة أو قبول المخاطرة، أو بين الرضا بالحياة الفاترة أو الذهاب لأقصى الطرفين الساخن والبارد). إن «**ناصر ٥٦**» يبدو فى حياته شديد التواضع والبساطة والنزاهة والتقشف والترفع عن الصغائر، كما أنه فى حياته العامة يعرف دائما ما لا يعرفه أقرانه ، تجد لديه دائما الاجابة الجاهزة عن كل الاسئلة، يكاد أن يعرف هدفه قبل أن يبدأ طريقه ، هادئ ،وسط الصخب، رزين وسط الجموح، ثابت القلب فى مواجهة الخطر، لا يعرف الغضب أو القلق أو التردد. وقد يكون ذلك فى جانب منه حقيقياً، لكن تصويره على الشاشة لا ينبغى أن يميل إلى المبالغة حتى لا يبدو مثل الصور المصقولة عن قديسين تخلو ملامحهم من الصفات الانسانية.

من جانب آخر، فقد وقع الفيلم- فى السيناريو والاخراج- فى التسطيح الكامل لعشرات الشخصيات من حول **عبد الناصر** ، يظهر بعضهم ويختفى قبل أن يعرف المتفرج العادى شيئا عنهم.(الحقيقة أن كلاً منهم- اذا أتيح له التصوير الدرامى الناضج- يجسد ملمحاً مهما لصورة بطولة الشعب العربى، التى لا تكتمل بطولة **عبد الناصر** بدونها)، بينما يظهر البعض الآخر فى صورة كاريكاتورية شديدة التبسيط: **عبد الحكيم عامر(طارق الدسوقى)** برعونته وخفة ظله،و**حسين الشافعى** باقتباساته المتكررة فى حواره عن القرآن والأحاديث، **وأنور السادات(محمود النبراوى)**فى إرضائه المتزلف **لعبد الناصر** بكلمات ناعمة، **وصلاح سالم وجمال سالم**بتصرفاتهما العصبية التى لا تثير إلا ضحك وسخرية الأطفال!.

الأخيار والأشرار

عشرات الشخصيات التى تحمل أسماء تاريخية حقيقية يستخدمها الفيلم على نحو آلى رتيب، دورها الوحيد فى «**ناصر ٥٦**» هو أن تؤكد على بقائها فى ظل البطل الزعيم، وهو ما يقلل كثيرا من التأثير الدرامى لهذه الشخصيات على المتفرج، بل ربما كان هذا التناول يوحى أيضا- دون وعى- بانفراد ناصر وحده بالقرارات المصيرية، وأنت لن تدرى- على سبيل المثال- لماذا يريد الفيلم أن يجعل من شخصية المفكر والكاتب **فتحى رضوان** شخصية مترددة متناقضة مع نفسه(للأسف فقد اهتزت الصورة أكثر مع اختيار ممثل متواضع، مزيته الوحيدة هى التشابه الشكلى مع **فتحى رضوان** ، رغم أن الممثل كان ينظر بين لحظة وأخرى خارج الكادر ليقرأ سطور حواره على لوحة مكتوبة!)، كما أنك لن تدرى أيضا لماذا تراجع العالم السياسى **مصطفى الحفناوى (مخلص البحيرى)** عن آرائه التى كانت تنادى دائماً بتأميم القناة، عندما بدا أن

حلمه قد أصبح قريباً على يد **عبد الناصر** ، إلا أن يكون ذلك جميعه يمضى فى طريق استكمال كل الملامح البطولية لشخصية «**ناصر ٥٦**».

على الجانب الآخر، فان معسكر «**الأشرار**» يتجسد فى «الباشاوات» الذين تراهم دائما فى كل المشاهد مجتمعين فى قصر منيف، ليكرروا نفس الكلمات، حول انتظارهم لسقوط **عبد الناصر على أيدى الانجليز** ، حتى أنهم يوزعون على بعضهم البعض المناصب الوزارية لحكومتهم الوهمية القادمة بأسلوب لا يخلو من البلاهه(!)، بينما يعبر الفيلم عبوراً خاطفاً على شخصية **مينزنس(حسن كامى)** الذى يصوره الفيلم رجلاً مغروراً سخيفاً ثقيل الظل، على الرغم من أنه يجسد -فى الواقع التاريخى ومن خلال المراجع التاريخية المحايدة- أكثر النزعات الرجعية التى تعادى التحرر، حتى أنه لم يتوان بسبب ولائه المشبوه للغرب عن أن يقوم بنشاط محموم لتحقيق التغلغل الأمريكى داخل بلاده استراليا.

إن تلك المعالجة المتعجلة لاحداث مائة يوم حاسمة من تاريخ مصر والأمة العربية- بل فى تاريخ العالم كله- بدت كأنها إعادة «تشخيص» لتاريخ كان من الممكن تحقيقه على نحو أفضل وأكثر اقناعا من خلال الوثائق والشرائط السينمائية التسجيلية وحدها، لأنها المعالجة التى افتقدت صدق المادة التسجيلية كما افتقدت رهافة التناول الروائى المتخيل، ولأنها لم تخرج فى اطارها العام عن ترديد المفاهيم «الرسمية» عن تلك الفترة، وربما كان اعادة احياء هذه المفاهيم فى السياق المعاصر الذى يحمل بعض سمات التردى يمثل ضرورة سياسة على نحو ما، لكن الفيلم -كعمل فنى- افتقد الكثير من التأثير، كان من الممكن أن يجعل هذه المفاهيم ذاتها ضوءا يفضح الواقع الذى نعيش فيه، حتى أن الفيلم يبدو فى التحليل الأخير نوعاً من «**الحل الوسط**» بين الرضا عن النفس لإنجاز مثل هذا العمل «الجرئ» ،والرغبة فى عدم المضى إلى آخر الشوط درءا للصدام مع الأفكار السياسية السائدة، فكأن الجرأة التى يتحلى بها ليست إلا جرأة مقيدة مكبلة.

دمعة فى زاوية العين

وإنك اذا قارنت أعمالا فنية، تاريخية أخرى للكاتب **محفوظ عبد الرحمن** ، لادركت كيف أن «**ناصر ٥٦**» لم يستطع أن يحقق الرقة الدرامية وعمق التحليل كما



فردوس عبد الحميد فى دور زوجة الزعيم

فى مسلسل«**ليلة سقوط غرناطة**» ،الذى يتناول فى حلقاته الثلاث عشرة وقائع ليلة واحدة تسقط فيها غرناطة، التى لن ترى فيها الاندلس الغابرة بقدر ما ترى أوطاناً معاصرة تضيع على أيدى حكام متخاذلين ، أو فى مسلسل «**أيام من حياة المرشدى عنتر**» الذى يحلق فيه على نحو يخلو من التقريرية والمباشرة آليات تحلل الكيان الاجتماعى للوطن خلال فترة السبعينات وربما كان من الأفضل **لمحفوظ عبد الرحمن** أن يترك العنان الإبداعى لتصوير حقبة «**ناصر ٥٦**» ، هذا الخيال الذى لم يظهر الا على نحو خاطف مبتور فى شخصية **حامد الجميل (حسن حسنى)** الموظف المفصول من شركة القناة، والذى كان لقاؤه- المتخيل دراميا- **بعبد الناصر** يمثل لحظة تنوير للزعيم السياسى بضرورة أن تعود القناة إلى الوطن، كما أنه الخيال الابداعى الذى تجسد فى شخصية المرأة العجوز **غنيمة الكحال(أمينة رزق)** التى تقابل **عبد الناصر** بعد تأميم القناة، ليتبادلا العزاء فى عمال السخرة الذين ماتوا أثناء حفرها، لأن العزاء لا يصبح له معنى إلا بعد الثأر (وإن كان التنفيذ على الشاشة قد مال إلى النزعة المسرحية)،وهو أيضا الخيال الابداعى فى مشهد مكتوب فى السيناريو لم يتم تنفيذه على الشاشة، **لعبد الناصر** وهو يطوف فى قارب بخارى صغير قريباً من تمثال **ديليسبس «سمسار» حفر القناة**، كأنه يرى فيه رمزاً لعصور من القهر آن لها أن تنتهى.

كانت تلك هى اللحظات المتوهجة من سيناريو «**ناصر ٥٦** » ، التى تجسد الافكار من خلال اطلاق الحرية الابداعية ،وهو ما استطاع المخرج **محمد فاضل** تجسيده ،فى مشاهد غيرموجودة فى السيناريو، لذلك القلق الذى استبد بعبد الناصر عندما أعلنت أمريكا عن رفضها لتمويل مشروع السد العالى، فى محاولة لإذلال الشعب العربى واجباره على التبعية. إن «الرجل» لا يستطيع أن ينام، تصوره الكاميرا فى أرقه من زوايا وأحجام متعددة متلاحقة، يده المتوترة تهصر الأوراق ، ويمضى إلى البحر كأنه يسأل عن الطريق الصحيح، بينما تتصاعد الموسيقى الأوركسترالية فى قوة عاصفة، لتنتهى بانفراد آلة القانون بنغماته الشرقية المشجية.

كل اللحظات التى أجاد فيها **أحمد زكى** «تقليد» عبد الناصر- ولا نقول تجسيده أو تمثيله لأنه لم يجد لديه شخصية درامية مكتملة- ربما تكون قد اثارت اعجابا أو انبهارا عابراً عند المتفرجين، لكن اللحظة الأكثر تأثيراً هى تلك التى بدا عندها أن المعركة الدامية قد باتت أمراً محتوماً. ففى عين الممثل الموهوب تلتمع دمعة وليدة تترقرق ولا تنسال، عندها فقط ندرك كم كان **عبد الناصر** بطلاً تراجيدياً، أو انسانا حقيقياً يعرف قيمة الثمن الباهظ لتحقيق كرامة الوطن، وتحمل مواجهة قدر الإنسان.

فنون

سعد الله ونوس



الحكاية ..

أقوى من الحياة ومن الموت

عبلة الروينى

عندما سمع الشاهد عبارة **سعد الله ونوس** « أشعر أن موتى لن يكتمل إلا إذا رويت حكايتنا » قال هذا تحريف ففى إحدى اللقاءات النادرة وكنا نسترجع أيام الدراسة الثانوية وحياتنا فى **طرطوس** ، أذكر جيدا أنه قال لى « أشعر أن حياتى لن تكتمل إذا لم أرو حكايتى مع .. »

لم يكذب الشاهد ، ولم يحرف سعد الله شيئا ، فلا شئ يكتمل ، كانت الحياة أو كان الموت .. ينبغى فقط أن نستخلص من زوال الأشياء اكتمالها ، ينبغى فقط أن تكتمل الحكاية وأن يواصل الحكاء رواياته.

هذا درس **سعد الله ونوس** وسيرته الذاتية التى حاول كتابتها فى نصه الجديد « رحلة فى مجاهل موت عابر ».

تجربة مثيرة ، يختلط فيها الأموات بالأحياء ، تتوارى ملامح الأمكنة ويختفى الزمن فى زمنية ممدودة.

بين الصحو الغارب بالحلم والتاريخ والجسد يتابع **سعد الله ونوس** مونولجه المتقطع وغوصه الأصفى فى دخيلة نفسه .. هل هو الواقع المتفسخ يواصل انهياراته وتمزقه فوق أرض تدور حول نفسها بالدم والصديد ،

أم هو السرطان والموت المتربص من كل ناحية ؟ أم هى محاجة الله تلك التى قدر عليها أيوب النبى ، ولم يمتلك سعد الله طاقتها الروحية فظل سؤالا أعزل من الأمل والايمان يفترسه عذاب متجدد وعدميه ساكنة.

ثمة ظلم يلتصق دائما بكل عذاب..

ثمة نقصان متواصل، وليس لسعد الله من أحد يحاجيه ،**ليس سوى الكتابة طمأنينته الوحيدة ، ليس سوى المسرح إمكانية لإعادة تشكيل الخلق واكتساب ذاته لحريتها..**

وحدها الكتابة هى الفضاء الذى يلملم فيه شتاته ، يجمع شقيه المتنافرين ، وتمنحه القدرة على مواجهة وضعه الفانى فى اكتمال الحكاية.

فى الغرفة ٢٠٨ بالعناية المركزة بمستشفى الشامى بدمشق يفيق سعد الله على صوت المرأة العجوز تتابع مسيرة حبة الدواء فى جوفها فى تكرار موجع « ذابت .. ماذابت » بينما صراخ مريض القلب بالغرفة المجاورة

يواصل أيضا تكراره « ذابت فاسكتى ونامى » .. يكف سعد الله عن الطعام تواصل المعدة تشنجاتها والحلق جفافه ولاقدرة على ابتلاع حتى الريق.

يلاحقه السرطان بسؤال المصير ، ذلك القلق المتنامى منذ الطفولة منذ أن واجه بغياب الشمس .. فمنذ المائة الأولى قبل الميلاد ، كانت عائلته تواصل مسيرتها الرتيبة بدون سؤال .. قتل الأخ أخاه ويقى الجد الأكبر غائصاً فى حمأة طينية عميقة .. ويقى رأسه طافياً فوق الوحل .. عيناه جاحظتان .. ولونه مريد ولسانه يتلجلج بكلمات وأنات غامضة.

منذ ذلك التاريخ كان السرداب يفضى إلى سرداب آخر ، والعتمة تفضى إلى عتمة أخرى بينما تسيطر على الجميع فكرة واحدة تدلت وراثياً من الجد الأكبر إلى باقى أفراد العائلة .. **فجميعهم يعتقدون بأن السرداب سيقودهم إلى الشمس وبرارى خضراء ازدهارها مسكر وخضرتها أبدية** .لكن مارآه الطفل كان مختلفاً .. قال لأبيه لاتوجد شمس ولاتوجد برارى .. لاتوجد إلا هذه السراديب التى نسير فى جوفها ، أما الأمل الذى يحدونا فانه كاذب وأما عزائمنا فان رخاوة موروثة تثبطها.

ولعله صراع سعد الله الأول ضد الخرافة .. والمؤسسة التى تسقط فى الكراهية النائمة والخضوع العاجز .. مسيرة رتيبة مازالت الأسرة تتعثر فى سراديبها المعتمة من دون شمس ولاعدالة يومية .. مسيرة تقاطع الانسان الحى فى حركتها الآلية وسأمتها التى تعنكب فى صميم الروح فتفسد صفاءها.

لم يتعلق **سعد الله ونوس** منذ طفولته بوهم الشمس ، ولم يمتلك قدرة أيوب على الانتظار ومحاججة الله .. كان ثمة يقين يكبر داخله وهو يطالع ارث عائلته الخائب ويلح عليه بانه ينبغى أن نحاج العالم ونحاجى أنفسنا أولاً وقبل أى شئ ..

يتقاطع السرطان ..

صورة الدم ، جرعات الدواء ، أصوات المرضى .. وذلك العرى الذى يبدو هتكا وفضيحة فى كل مرة يجرده الطبيب من ثيابه .. وبقوة مضاعفة يواجه سعد الله وضعه الفانى بالحكاية..

كل شئ يعاود البداية ويرد إلى أصله الأول .. هكذا تتقافز الحكايات فى الذاكرة : أسطورة الخلق ، تواريخ الأسرة ، مدرس الجغرافيا بالمدرسة الثانوية ، **حصين البحر** تلك القرية الصغيرة من **طرطوس** فى الشمال السورى ، ثم تلك الحكاية التى لن تكتمل الحياة أو الموت إلا بروايتها .. أنها أقصى اللهفة وأقصى الخيبة أيضا .

فى **طرطوس**،فى بواكير الصبا ،صار أسيرها تلك المتمردة الشقراء التى لم تسبقها صبية من القرية إلى ارتداء البنطلون وقصة الشعر الغلامية .. خلال سنتين أحبها حباً شبيهاً بالعبادة فى كل مرة يراها يشعر بأنه يتمغنط وأنه لا يستطيع الابتعاد عنها .. وفى الغرفة العلوية حين بدءا يلتقيان خلسة يكتشف وسط الذهول أنها فتاة أخرى ، أنها وجه آخر وجسد آخر وتفاصيل أخرى .. وجد شعرها خشناً كالليف وفمها كبيراً تتراكب فيه الأسنان بعضها فوق بعض ، وحول حلمتى ثدييها شعر ، وجسدها كله يغطيه زغب فملأه النفور .. كان مناخ القرية محاصراً بالقيود والتقاليد البالية .. وكان سعد الله فى ذلك الوقت يتلمس الوجودية وماتنعم به البلاد الأخرى من حرية وجمال فكان يكتب بيانات عن التحرر والحرية ويلصقها بعد منتصف الليل على أبواب الدكاكين.

منذ ذلك الوقت أدرك عذابه الدائم ، وسعيه المتواصل نحو الحرية ولعله فى تلك اللحظة عرف أن الحب (كما كتب لى يوما) هو بالضبط الحكاية التى لم تعش أو التى لا تعاش ، وأنه ذلك المستحيل الذى تضيق به الحياة اليومية .. فما يعاش هو استهلاك مخيب لايورث إلا الاحساس بالضجر والخواء .. نوع من الاستهلاك هو نقيض الحياة ذاتها.

هذا بالضبط مارأته الذبابة فى غرفة نوم الزوجين فى قصة سعد الله القصيرة **(بعد ظهر دمشقى)** ففرت هاربة من تلك الآلية وذلك الاستهلاك المخيب.

يتقاطع السرطان ..

ويتقاطع الذباب فى حكايات عديدة(**الذبابة الجائعة**)(**الذبابة المحبوسة**) (**ذبابة الحساء**) وذبابات أخرى فكر سعد الله فى أن يضم حكاياتها فى كتاب يحمل عنوان (**ذبابيات**) خاصة وقد أدرك أن الانسان يفتقر كثيراً إلى الحساسية والحياة اللتين يتحاب بهما الذباب.

منذ الطفولة وهو يتابع تلاحم الذباب فى الحب ، يقترب الذكر من الأنثى بخطى فيها لهفة ، تخلو من غطرسة الديك وعنف التيس . يلتحم الذكر والأنثى ، صحيح أنه يعلوها قلياً ولكن يبدو أن ذلك لايعوق حركة الأنثى ولايقيد جناحيها حين يلتحم ذكر الذباب بانثاه يبدو كأنهما دخلا فى حالة من الوجد الغامض ، وقررا ألا ينفصلا مادامت فيهما قوة أو حياة.

ومرة حاول سعد الله أن يعرف كم يمكن أن يستمر هذا الالتحام ، فأصابه الملل قبل أن يبدو عليهما أنهما سيفكان التحامهما ، فأسرع بدهسهما من دون أن تطرف له عين.

الحكاية نفسها

ميراث الخيبة وخوف الاقتراب نفسه.

لكن المرأة التى لم تكتمل حكايتها تصعد إلى خشبة المسرح فى مشهد جنائزى ، لم يحلم سعد الله يوماً بمسرح معلق ، لكنه جاء به ليكمل الحكاية.

كان الفضاء مسرحاً أو خشبة مربوطة من أطرافها الأربعة بحبال متينة وغليظة تلتقى فوق مركز الخشبة ملتفاً الواحد على الآخر ، ومشكلاً رباطاً ثميناً ومتيناً يرتفع ويختفى فى الفضاء.

لم تعاتبه ، فقد أصبحت وراء العتاب والحزن والغضب .. أنها فى الموت بينما هو لايزال يحاول أن يشرح نفسه.

لم يعرف كيف يحب يوماً .. ولم يكسب حريته تماماً

هذ أيضا ارث الخيبة.

ارث الرجل العرضى ، الهش ، الخائف ، لايجد مايوازن به هشاشته إلا العنف أو السلطة والتبديد المتواصل.

ارث المرأة العفوية المعنية من دون عدالة ، وماؤها المنهمر حتى الانغمار والغرق.

لم نكن أنفسنا يوما .. الرجل الذى لم يبدأ والمرأة التى لم تنته الرجل الذى وضع المسافة والمرأة التى نسفتها .. كلاهما هزم من دون اكتمال ، هزم حتى النخاع .. حتى الحفيد الخامس أو السادس هزم فى موضع القلب ، فى اختلال المسافة بين الحب والحرية هل تغضب سعد الله تلك القراءة لسيرته الذاتية أم تغضبه النتيجة التى تختم بأصابعها على أجساد الجميع وأرواحهم.

(**رحلة فى مجاهل موت عابر**) ليست سيرة شخصية لسعد الله ونوس ولكنها سيرتنا الخاوية التعبى وحكايتنا المنقوصة.



لطيفة الزيات

النضال الصوفي

مايسة زكي

خطر في بالي وأنا أسترخي في جلستي على طرف السرير أني أستطيع الآن أن أنظم أوراقي التي رقدت محفوظة في مخابئها السرية

أقسى ما تعانيه النفس في قراءة ما أفضت بهلطيفة **الزيات** في أوراق منشورة، أنك معها لا تملك تلك الرفاهية التي تتيحها لك الأعمال الأدبية عادة من حيادية المعادل الموضوعي الفني الذي درسته ودّرسته **د. لطيفة الزيات**. فعلى ما تنطوي عليه مجمل أعمالها من تقنيات فنية راقية ومنوعة، إلا أنك في نهاية الأمر تقرأ في سيرة ذاتية ممتدة متلونة الآداء النثرى.

أنت أمام من تحاول أن تفهم ذاتها أولاً قبل أن تنقلها لك، وأن تنقد نفسها في أحيان أخرى عبر الكتابة متلمسة في عناء سبل التجاوز والانتقال من مرحلة إلى مرحلة. وتتحول الكتابة في بعض الأعمال إلى كتابة عن الكتابة ذاتها والتي لا تنفصل عن محاولة أبدية للخروج، للتواصل وللاكتمال. ومن خلال هذا المنظور، منظور الممارسة الوجودية للكتابة نستطيع أن نفهم **موقع العمل السياسي والاسهام الاكاديمي** اللذين ينطلقان من مسئولية عن تغيير الواقع ووعى بحركة التاريخ من حيث علاقتهما بوجودها الذاتي وتقتيرها الابداعي:

«..على طيلة سنتين وهي تهدم في يسار الدفتر الرملي اللون ما تبنيه في اليمين وخطوط المشروع لا تكتمل. تعليقات الانسان السياسي فيها، حياً لم يزل ... ترفض محاولة تصوير.. تجربة فشل فردية كتجربة الانسان ترفض الخروج على الناس برسالة يأس من الحياة»(١). وربما وجد ذلك الصوت وجوده الخالص في ثلاثية الوعى السياسي**(الرجل الذي عرف تهمته)**١٩٩٥ والتي يختلط فيها التوقيع الشعرى بالسخرية اللاذعة.

ومن خلال كتابات **لطيفة الزيات** نشتبك أكثر مع فترات صمتها وعزوفها عن الإفضاء، وكأنها في إمساكها عن الكتابة كانت تمسك عن الحياة «في غياب الوله الخالص بالحياة الذي هو مادة الفن»(٢) في محاولة مضنية للفهم أو وفق تعبيرها :«تلف في أرجاء المشهد وتدور، تجزئه وتعيد تركيبه»(٣).

ويصعب تجاهل تلك العلاقة بين تاريخ حياتها والكتابة باعتبارها فعل وجود وأمارات تلك العلاقة على امتداد إنتاجها. فعلى مستوى الصورة الأدبية البحث يتكرر مشهد الأوراق في مواقف محورية من أعمالها. ففي رواية **صاحب البيت**. وفي موقف محورى حيث اللقاء بزوجها بعد أكثر من عام قضاه في السجن:«وتشبثت سامية بالأوراق، تنفرط وتعاود جمعها، وكأن كيانها بأكمله، يتوقف على إعادة ترتيب الأوراق، واستقامت وهي تتنهد، ووضعت الأوراق على المائدة تسويها بيديها وبندول الساعة يزحف جيئة وذهاباً والأوراق لا تنتظم»(٤).

وعند شبه نهاية القصة الطويلة **(الشيخوخة)** تعلق عليّ حلم محورى جاء في ثنايا القصة :«ويخطر ببالي وأنا أعيد سماعة التليفون أن حزم الأوراق في حلمي لم تكن ملفوفة بورق أزرق زرقة ورق الخطابات، وإنما كانت مجرد أوراق بيضاء معدة للكتابة.ويخطر في بالي في ذات الوقت، أنه يتعين على لكى أملأ الأوراق البيضاء أن أستعيد مفردات لغتي»(٥)، وهو التعبير الذي اختارته كمعادل لاستعادة الذات حيث تكرر في موقع آخر وفي عمل آخر أن **الجريمة التى اقترفتها فى مرحلة من مراحل حياتها وهى جريمة وأد الذات هى أفدح الجرائم قاطبة.**

وتنهى أوراقها الشخصية المنشورة عام ١٩٩٢ بالسطور التالية بعد انتهاء حملة التفتيش في سجن القناطر بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٨١ :«وخطر في بالي وأنا أسترخي في جلستي على طرف السرير أني أستطيع الآن أن أنظم أوراقي التي رقدت مخلوطة في مخابئها السرية»(٦).

إن صيغة اليوميات التى تنتهجها الكاتبة فى أحيان كثيرة لتنطوى على قدر من الإنهاك والمغالاة فى القسوة على الذات من أجل الإمساك بتلابيب الأمس وأول أمس، ما غاب وعاد يدق تلافيف الذاكرة، المعنى الكامن فى الهروب والمراوغة، حتى أنها فى (بدايات) كما فى (الشيخوخة) تعقد البناء بحيث تضيف قصة «حبها الأول» كما كتبتها في تاريخ سابق بلقاءاتها التالية المتلاحقة بذات الرجل في **(بدايات)**، بينما تضيف يوميات سابقة عن علاقة صاحبة القصة بزوجها الراحل إلى يوميات لاحقة تفصل بينها وبين الأولى عشر سنوات عن علاقاتها بابنتها في**(الشيخوخة)** في محاولة لفهم التغير الذى طرأ، أو ربما البنية

المتحكمة في إخفاقاتها و«تعثراتها» المتكررة، أو كما جاء في حلم بالقصة: الطيور السوداء التي تلاحقها وتعترض طريقها وتتعلم كيف تسير بها.

ويحضرني هنا وصف رائع لتلك الرغبة المحمومة فى المعرفة والتواصل جاءت به في قصتها (**على ضوء الشموع**) : «حاولت أن تتعرف على النبات الأخضر فى الحقل. بدا لها من الضرورى أن تفعل . ومدت يداً مرتجفة وقطعت ورقة من أوراق النبات وقربتها إلى أنفها. وتركزت كل حواسها فى حاسة الشم. ولم تتعرف على النبات. قطعت الورقة نصفين وذاقتها، مضغت جزءاً منها واستحليته وهى تتذوق لتعرف ولم تزدد علماً بصقت الرحيق ومضت تتدحرج فى الحقل(٧).

وتتكرر الصور ومفردات الجمل من عمل إلى عمل وتلح وتجد معظم أصولها فى (**حملة تفتيش**): البئر العميقة فى البيت القديم الذى تلجأ إليه عندما تثقلها الجراح حيث «كمال اللاشئ» وعشقها للسطح.وهى صورة الحركة المحورية عند الكتابة فى (**الباب المفتوح**)حيث الانزلاق للموت أو التحليق. وفى (الهشيم) التى كتبتها عام ١٩٦٩ تقول: «أنا أعرف أن الكتابة هنا تعرضنى للموت وعلى أحسن تقدير لنفى فى الطابق المسحور فى جوف الأرض»(٨)حيث**خطورة الكتابة هنا فى كونها فعلاً سياسياً يستحق التجريم فى نظام يقوم على القهر ويدفع إلى البشر دفعاً**.

وتتجسد عين المحقق التى هى عين الله فى الصوت الذى يصدر من كوة فى أعلى البرج فى (**الهشيم**) ،وبرج الحمام الذى يتحول إلى برج مراقبة وعين صاحب البيت الذى لا يغفل ولا ينام فى (صاحب البيت) .وتتكرر صور الأطفال ذوى العيون خضر وزرق وعسلية ، والأم المتدثرة خلف النافذة تنهيها من جمع البرد فى طبق من صاج ، والشغالات يسرن بأحذية مطاطية فى الممرات لا يصدرن صوتاً، والملائكة متعانقين فى سرير أمها الفضى وحساب الملاكين على اليمين واليسار والحصا المفروش في الأرض.. وحتى تلك المنطقة التى سكنتها فى المنصورة فى طفولتها وعانت من الجور الطبقى أعادت إنتاجها وتطويرها مع الاحتفاظ بالصورة المحورية فيها: صورة المجنون الذى يصدم رأسه فى السور ويماثل حركة القطار، وذلك فى قصة(**الممر الضيق**) تعليقاً على سياسة الانفتاح ومقارنة مضمرة بين مجتمعى الثلاثينات والثمانينات.

وهنا نصل إلى أعمق أنواع الحوار بين أعمالها فيما بينها من جهة وبين حياتها ورؤيتها لتلك الحياة من جهة أخرى. فتظل تحمل رعب الجرى اللاهث عند منطقة الخان فى طريقها من مدرستها حتى بيتها القديم فى دمياط تفادياً لرؤية المرضى : مرضى زهرى الدم ومرض الفيل القابعين تحت ظلال عواميد الخان الضخمة، وتخرج فى (**على ضوء الشموع**) تتجول فى الحديقة هروباً من منظر الطفل نحلت ساقاه ،وانتفخت بطنه والطبيبة تكشف عليه داخل البيت الريفى .فتعود لتفحص ضعفها الانسانى فى الرواية التى بدأت تكتبها عام ١٩٦٢ وظلت تكتبها حتى نشرتها عام ١٩٩٤ تحت عنوان «**صاحب البيت**) . تفحص تعلقها بالبيت القديم على أنه كما اكتشفت فى (حملة تفتيش) كان نصباً تذكارياً لا بيتاً تنذر العودة إليه بطقس طاسة الخضة كما جاء فى (صاحب البيت) حيث تنضم إلى جموع الأويات التائبات يرتدين السواد ،وهو ذات الاكتشاف الذى وصلت إليه فى تأملها لبيت زواجها الثانى فى قصة(**على ضوء الشموع**) . فهى تفحص في كل الأحوال هروبها إلى«حظيرة» التقاليد القديمة والأسر الطبقى.

وفى (**الباب المفتوح**) تعيد**لطيفة الزيات** إنتاج دورها فى عام ١٩٤٦ فى عام ١٩٥٦ ،وكأنها بتلك المعالجة الزمنية الابداعية تتحايل بحيث تعيش الزمنين وتشارك فيهما. وبقدر ما نطابق بين واقعة حريق القاهرة وانهيار علاقة البطلة ليلى بعصام ابن خالتها بعمق شعورى ووصفى أخاذ ، فانها تعيش انهياراً داخلياً ونكوصاً إلى أصول البيت وتقاليده ،فى عز ثورة ١٩٥٢- وياللمفارقة وهو العام الذى تزوجت فيه من زوجها الثانى -لتفيق على أحداث ١٩٥٦ وباعترافها هى شخصياً أن الصحوة عادت إليها مع أحداث تأميم القناة والعدوان الثلاثى.

واذا كانت الكاتبة يمضى بها العمر قدر ما يمضى وتعيد كتابة (**صاحب البيت**) المرة تلو المرة ،فانها تعود ما تزال إلى الفتاة ، فى سن الخامسة والعشرين تفحص سر إخفاق مشروع حياتها وتعثره فى أعقاب عام ١٩٤٩، تعود مرة أخرى إلى «المستنقعات» التى كانت تحول دون انطلاق النبع الذى تحول بنهاية (**الباب المفتوح**) عام ١٩٦٠ إلى شلال جارف منتصر ، لتكتشف أن المستنقعات كانت ما تزال تشدها ، تسحبها إلى مخبأ البئر العميق.

ترد على المعمار الضخم لرواية (**الباب المفتوح**) بأحداثها وشخوصها والحرص الدءوب على كل فلتة واختلاجة شعور وتعدد منظور الشخصيات مع غلبة منظور ليلى بذلك الصوت المفرد اللحوح المتوتر واللهاث المحموم الذى يدمن استخدام واو العطف ويردف فعل قالت أوقال بعد القول. تستبدل المشروع الضخم فى البحث عن باب مفتوح بالتفتيش عن ثغرة مجرد ثغرة تسمح بالنفاذ . وتطاردها صور متكررة فى إيقاع حلزونى خانق يضيق الحلقة، ويتردد كأنه البيت المتكرر فى قصيدة تطاردها أو تطارد «سامية» الصورة المستمدة من **مستنقعات البيت القديم: نواهى الآم وسلطة الأب «صاحب البيت»**فى كل أشكاله وصوره. ويختلط مشهد الملاكين على اليمين واليسار يحاسبانها بكل من رفيق زوجها المعتقل السياسى الهارب وصاحب البيت الذى يهددهم وجوده وتدخله والأول يساعد والثانى يهدد!. ويتزايد الضغط الحلزونى فلا تكتمل لحظة لقاء ولا حتى لحظة ضياع. وتأتى إلى الرواية محملة بنمط علاقاتها التى تفنى فى الآخر أكثر من تحديد للرجل المناضل الذى تزوجته ، زوجها الأول ، فتستخدم ذات التعبيرات التى استخدمتها فى تجربة زواجها الثانى: نظرة تحيى ونظرة تميت، والومضات الخاطفة أو اللحظات التى تشكل حياة كل منهما وما تلبث أن تزول، هى تحرص على كل لحظة وتجمعها فى عقد منتظم.

يختلط عليها معنى الرفقة ومعنى البيت، وتختلط عليها مشاعر الحب والفناء فى الآخر، لتلمس فى نهاية الرواية معنى الرفقة الذى أرقها على المستوى الوجودى والسياسى، كما فى(**الهشيم**) و (**كلمة السر**) حتى تصل فى النهاية إلى وجه الشبه بينها وبين رفيق الذى بدا نقيضها فى بداية الراوية .هو الذى يستطيع فى لحظة حوار خاطفة أن يسبر أغوار ضعفها وتعلقها بالبيت

وتوجهت من دورة المياه إلى باب العنبر وبدا الطريق ممراً ضيقاً وعراً معتما وتجاوزت ركام المر وحطامه وعتمته وفتحت الباب على اتساعه وانفلت إلى فسحة الحوش وضى الشمس

القديم،رغم أنه يود أن يموت شاخصاًإلى السماء ببصره بينما تود هي لو تنشق الأرض بها دون ضجة، ويبدو الزوج القوى الواثق بعيداً وهو الذى يستمدان منه الوجود وصورتهما في المرآة حتى أنها تقوم باستبدال جنسي رائع بينها وبين رفيق غريمها:

«ورفيق منتشيا يعتلى القمة التي ليست بعدها قمة وهو يواجه رجال الشرطة وينسال عرقه أصفر كعرق المحتضرين وقد انفضت لحظة التحفز والتربص للخطر ومحمد(زوجها) يقول لها بعد مشوار طوله أربع سنوات:

«- أنا آسف ، يظهر سكتنا مش واحدة»(٩).

وعلى قدر ما يبدو انتصار الزوجة على وهم صاحب البيت بانقضاضها عليه في نهاية الرواية،وكأنه اللقاء المنتظر لا لقاء زوجها، مفاجئا سهلاً ومثيراً للشك والريبة الواقعية والفنية ، فان انقضاض **لطيفة الزيات** على السجانة في سجن القناطر في ١٣ نوفمبر ١٩٨١ شديد الاقناع فنياً، وهي التي ذكرتهابـ «**ريا**» **صلاح أبو سيف** ممسوحة الصدر و الأرداف والتي أرعبتها طفلة. وذلك على ما تتقنع به الأوراق من صيغة مذكرات شخصية بريئة من ناحية الحبكة الفنية.

وتثير نهاية **(حملة تفتتش)** أوراق (كذا: ألما) وجوديا نفاذاً في علاقتها بنهاية **(الباب المفتوح)** . فبعد انتصارها على السجانة والمأمور«وتوجهت من دورة المياه إلى باب العنبر، وبدا الطريق ممرا ضيقا وعراً معتماً ،وتجاوزت ركام المر وحطامه وعتمته، وفتحت الباب على اتساعه، وانفلتت إلى فسحة الحوش وضى الشمس»(١٠).

فأى جدل عميق بين صعوبة الحياة وعناء الكتابة على ما في (الباب المفتوح) من جهد ابداعى وعكوف على تصوير التجربة. لقد استغرق الوصول إلى الباب أو المشروع الذى قدمته الكاتبة عام ١٩٦٠ كل تلك السنين حتي تحصل المرأة في الثامنة والخمسين على حريتها غير منقوصة.

ما بين نشر الكتابين أو اللحظتين أكثر من ثلاثين عاما. تماما كما لم تستطع المرأة في منتصف العمر أن تتخلص من مأزق زيجتها الثانية فوراً كما تصورت في أعقاب الرواية وإنما تم الطلاق بعد خمس سنوات في عام ١٩٦٥ ، وليس كما تصورت المرأة في مقتبل العمر أن شجرة المشمش الحلم دانية قطوفها في أعقاب ١٩٤٩.

وإذا تتبعنا ذلك الخيط الزمنى والمعادلات الزمنية خطوة أخرى، فلنتوقف عند ثلاثية قصصية في نهاية مجموعة **(الشيخوخة)** . إن الكاتبة مقترة في إنتاجها القصصى ولذلك يصبح لتواريخ إنشاء تلك القصص دلالة مثيرة على المستوى الفني. وتلك الثلاثية هي**(الصورة)** **(الرسالة)** ، **(على ضوء الشموع)**.

فتبدى في (الرسالة) تخوفها وهى تقدم على علاقة عاطفية من الناس وتقول : «لم أكن أعلم أنى صورة مخيفة في عيون الناس»(١١). أسروها في جعبتها ودورها السياسى. وتفحص الكاتبة مفهوم الصورة في موقف معاكس فتكتب عام ١٩٦٤ وهى على مشارف طلاقها الثانى عام ١٩٦٥ قصة**(الصورة)** حيث تصر الزوجة التى تكاد تنهار وهى تكتشف حقيقة زوجها الذى يشاغل إمرأة أخرى سوقية تجلس أمام مائدة مجاورة ،على أن تأخذ صورة للأسرة كاملة: الزوجة والزوج والابن. ويتدرج وصف الصورة في الصفحة الأخيرة من القصة حتى تلقيها في الرمل لتطمس معالمها فلا يبق منها إلا «وجه الرجل وهو ينضح بالألم ويد المرأة وهى تقبض على ذراع الرجل(١٢)، ذات الوصف الذى يلخص تصويرها لاستماتها في الاحتفاظ بعلاقتها الحميمة، ومحاولة لاستعادة ما كان أو ما توهمت أنه كان.

وتختم القصة بتلك السطور : «وعندما عاد عزت بالفكة كانت الصورة قد تحولت إلى قطع صغيرة تناثرت في الهواء وكان الطيف قد اختفي. توسطت الشمس السماء، وبدأ الناس يجرون حتى لا تحرق الرمال الساخنة أقدامهم. وأدركت آمال أن أمامها مشواراً طويلاً»(١٣).

بعد بناء المشهد فالصورة تواجهنا بايحاء كلمات «فكة.. قطع.. تناثرت» ثمة تناثر وتقطع وتفكك. واختفت ألوان الطيف الجميل الذى ظلت عيناها تداعبه ويشاغلها طوال المشهد. وبينما جرى الناس تخوفا من الرمال الساخنة كان عليها هى أن تمشى مشواراً طويلاً ربما على تلك الرمال الساخنة نفسها والنور في عينيها.

وفى عام ١٩٧٢ تكتب**(الرسالة)** التى تشبعها بصيغة أفعل تفضيل: ما أندر.. ما أفدح.. لتصف ذلك اللقاء الأسطورى برجل

أسطورى فى رحلة قطار استغرقت ست ساعات ،فى محاولة لضبط نغمة الرسالة التى تجدد بها اللقاء أو الأسطورة و «ما أفدح الرصيد حين يكون خاطفا»!(١٤).

وفى عام ١٩٨٥ تكتب رحلة أخرى إلى الريف فى (**على ضوء الشموع**). ويدعو الأمر إلى تأمل تلك الصدفة الابداعية: فقد استغرق زواجها الثانى ثلاثة عشر عاما والمسافة الابداعية بين قصتى (الرسالة) و(على ضوء الشموع) ثلاثة عشر عاماً كذلك وكأنها حقاً صدفة ترصد تبدد الأسطورة و«تهاويمها» على ضوء الشموع.

وتقدم لطيفة الزيات فى هذه القصة حساسية بالمكان لا تفتقدها أبداً، فجولتها فى حديقة البيت الريفى الذى جفت أعشابه وأشجاره **تعكس من ناحية تراجع الآمال التقدمية فى رفع الفقر والمرض عن البسطاء بعد عشر سنوات من قانون الاصلاح الزراعى** ،وتذكرها من ناحية أخرى بنضوب حياتها فى القاهرة التى هربت منها. ولأول مرة يتساوى الصعود والهبوط» فى ممرات تلك الحديقة حيث تتنازل عن حبها للسطح واختبائها فى البئر هروباً، وتواجه الواقع سافراً لتكتشف أن بيت الخولى ليس بيتاً على الاطلاق فهو دور معلق بلا سور ، مكشوف ومخترق، ولا باب له يصونه تماماً كالشقة الأنيقة التى تسكنها مع زوجها وتطل على النيل، ولتسقط كما المرأة المريضة عارية أمام الطبيعة مدركة ألا عودة إلى البيت(القديم الجديد).

وإذا كانت الكاتبة قد أرقتها علاقة المطلق بنسبية الزمان والمكان ورواغتها الأمكنة والبيوت والممرات والأبواب ، فان معالجتها الزمنية فى (**حملة تفتيش**) وقطعاتها ووصلاتها تكشف عن عدسة تقارب وتباعد بين التجارب تراها من منظور ثم تبعد فتراها من مسافة أخرى، ربما لتصل ما انقطع.

ننتقل من نهاية تسجيلها لسيرتها الذاتية فى مارس ١٩٧٣ فى الجزء الأول (١٩٧٣) حيث مشهد الطالبة على شط النيل تُستر عرى الشهداء عام ١٩٤٦ ،إلى استكمال للسيرة تحت عنوان (١٩٦٧) يبدأ بيوم من أيام يونيه ١٩٦٥- ويخيل إليك أنها تقول يونيه ١٩٦٧-حيث نهاية مشروعها الفردى للسعادة بالطلاق الثانى. وتتوسط ذلك الجزء هزيمة ١٩٦٧ لتعلن مسئوليتها عن الهزيمة فى اجتماع المجلس الأعلى للآداب وتنهيها بموت جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ وطبيب العيون يسلط النور على عينيها ،وهى تردد ما أقسى النور فى العينين! **تلضم الوعى إثر الوعى، الوعى الشخصى بما آلت إليه بالوعى الجمعى السياسى بما آلنا إليه وعلاقة الاثنين معاً.**

ولكنها فى الجزء الثانى من (حملة تفتيش) تحت عنوان (١٩٨١) تتأمل مجهر العدسة على مسافة أبعد **فترى أعمق وأشمل وتكتشف أن الهزيمة لم تكن هزيمة ١٩٦٧ بقدر ما كانت هزيمة ١٩٤٩ حيث أدت بوابة سجن الحضرة الذى انهزمت داخله،وانطلقت رهافتها «الكريستالية» الطبقية فى مواجهة قسوته، إلى بوابة الزيجة الثانية حيث الاختباء فى البئر أو العودة إلى الحظيرة حيث الأصول فى رواية(الباب المفتوح) وإمكانية أن تقوى بمساندة الناس كل الناس ، ولكن أى ناس؟!.**

وتكشف عن ذلك الانشطار الذى تعانيه المرأة إذا ناضلت واذا أحبت فى مجتمع قاهر..ففى قصة (**بوابات**) مفتتح مجموعة (**الشيخوخة**) تقول تصف الفتاة الجامعية فيها« كانت تقف إذ ذاك والملايين فى نهاية الحرب العالمية الثانية على مشارف عالم جديد ، أو **توهمت** ،عالم يصالح كل المتناقضات تتفتح فيه آمال التحرر الوطنى ، تسقط فيه كل الحوائط ويتساوى فيه التشوق إلى المعرفة مع التشوق إلى الحب»(١٥).

وقد عاشت **لطيفة الانشطار** بين الانسان السياسى والوجودى، بدلاً من التصالح أو الاندماج، وظلت تغيب-وتلك لفظتها الأثيرة -إمرأة عن إمرأة فيها، ولكى تناضل عليها أن تتزوج من مناضل وتستغرقها لحظات النضال تماما، ولكى تستمتع بالحب والجنس عليهاأن تنخرط تماما فى عالم تغترب فيه، يتحول فيه الجنس بمرور الوقت إلى طقس مدمر، لا طقس فناء فى الآخر بل طقس وأد للآخر، وينتفى فيه كذلك وتماما أى ملمح للندية المتعة. تعود سلطة الأب تفرض نفسها مجدداً فى الزوج. فى حين تساعدها عدسة المسافة البعيدة فى ١٩٨١ على أن تذكر أيام سجن الحضرة مرة أخرى وشجرة المشمش فى حديقة منزل بيتها فى صحراء سيدى بشر ،وتلك الفتاة الجامعية المناضلة فى متتالية غنائية لاهثة، تجرد المشهد من مستنقعات البيت القديم وذعر الهروب ،تحوله إلى النبع الصافى السارى الذى روى شجرة عمرها : «لو لم تبق مزدهرة ما انفضت العتمة(١٥ب) والبيت الوحيد الباقى.

ونتوقف فى (**حملة تفتيش**) عند تاريخى كتابة الأوراق الشخصية عامى **١٩٧٣ و١٩٨١** ولماذا هذان العامان تحديداً؟ توشك الصور أن تكتمل وتتكامل فى محاولة لفهم تلك المرأة الكاتبة التى تجمع بين المتناقضات ، لا بل تجمع بين حدى الشئ، أى شئ. المرأة التى أسرها جمال الشاعر الهمشرى وتوحدت فى طفولتها وهى تتأمله لساعات ، بالحق والخير والجمال ، المرأة المشدودة إلى الموت بخيوط وحيث لا حبل سرى. المرأة التى تميز بين الموت السلبى والموت الايجابى وهى التى تحفر لنفسها أخدوداً تحت الأرض. المرأة التى تجد الملاذ فى الكل والتى تود لو تقف على القمة التى لا تتسع لقدم إنسان «كالطود أقف، شامخة بوحدتى ومتعذبة ، رأسى تطاول السماء ويداى تشقان الفضاء»(١٦).

المرأة التى تتوحد مع الجمال والموت:

«وقد توصلت إلى التوحد مع المطلق فى مرحلتين مختلفتين من عمرى ،وفى مكانين يختلفان عن بعضهما اختلاف النهار والليل، الجمال والقبح. توصلت إلى التوحد في ميدان سان ماركس بفينسيا لحظة غروب وأنا أتوحد مع الجمال ،فى ظلمة بئر بيتنا القديم وأنا أتوحد مع الموت»(١٧).

ولا يتصل الجمال بالموت كما يتصل فى العشق الصوفى،والوجه الاخر له على المستوى السياسى اتصال الأنا بالكل. تلك لحظات الحياة التى تلضمها الكاتبة وتقبض عليها كالقابض على الجمر. وتكتشف سر سعادتها رغم أن المعركة التى أرادت لها أن تكون حرباً تحريرية شاملة توشك أن تتجمد من جديد فى المستنقعات المسمومة»(١٨).

لقد أسرتها قصة مجدى الذى اقتحم بطائرته مبنى التوجه العسكرى الاسرائيلى، والتى تختم بها الجزء الأول(١٩٧٣) من (حملة تفتيش) تتجاوز به موت أخيها عبد

أذكر أنا ذلك المشهد الرائع الايقاع والنظم: مشهد إصابة المدنيين فى حرب المقاومة عام ١٩٥٦ وذلك الحس الصوفى الذى يجمع الميلاد والموت فى انتصار صوفى أخاذ حيث تنفلت الأم التى قذفت بوليدها إلى البحيرة من قبضة الرجل الذى يمنعها

الفتاح الذى افتتحت به الأوراق الشخصية والألم الوجودى لشعر كريستينا روزيتى:

الملاح يعود إلى البيت
إلى البيت يعود
من البحر الطويل الطويل يعود.

كان العشق الصوفى هو وسيلتها الوحيدة للانتصار على الموت المبنى فيها وتتذكر زوجها الثانى الذى لم يفهم مجدى أبداً وما فعله «**ومن المستحيل أن يفهم من لم يكن عاشقا ولا صوفيا**» إن الموت ليس وارداً فى قاموس العشاق والصوفيين .فشجرة العشق هى العاشق والمعشوق معاً.وشجرة العشق لا تموت. والموت ليس بطرف فى معركة ، العاشق يعيش فى جلد الناس ويعيشون فى جلده، ومن ثم فهو لا ينتصر على الموت ولا ينهزم، وهو يتناهى إلى لحظة التوحد، لحظة تستحيل ورقة الشجرة إلى الشجرة وقد كان مجدى عاشقاً.

***

لقد كانوا يتقدمون موجات بعد موجات.. كنا نطلق النار عليهم ويتقدمون . كنا نحيل ما حولهم جحيما ويتقدمون.. كان لون القناة قانياً بلون الدم وهم يتقدمون.

الجنرال جونين

القائد العام الاسرائيلى لجبهة سيناء»(١٩).

تجمعت مرة أخرى صورها الأثيرة ،**شجرة العشق التى لا تموت وموجات التدفق الجماهيرى** ورفعتها إلى لحظة سعادة من لحظاتها القليلة و«انكسرت العزلة».

وفى عام ١٩٨١ عاودها ذلك التوحد مع الجمال : «فى ليلة قمرية وأنا أرقب الشجرة من خلف باب من الأعمدة الحديدية المتقاربة ، أرهفت سمعى وكدت أقسم أنى أسمع على مبعدة سريان النسغ من الجذور إلى الغصون إلى الزهور الحمراء، وإن لم أستطع أن أقطع إن كان هذا الذى سمعته سريان النسغ فى الشجرة أم سريان الدم فى عروقى. هزتنى اللحظة وعلا وجيب قلبى على كل صوت»(٢٠).

وتتكامل وتتبلور ظلال صورة أخرى من صور الكاتبة الأثيرة عام ١٩٨١ وتنمو فى بناء نهائى. فهى تقول : «المرأة فى منتصف العمر تلطمت بما فيه الكفاية وتبلدت لتنسى الحد الفاصل بين أن يتعرى الإنسان بإرادته فى مواجهة الموت عشقاً وأن يستكين الانسان للعرى حتى الموت هواناً(٢١).

فهى تذوب خجلاً من عرى الهوان الذى وصلت إليه فى (**على ضوء الشموع**) وهى تواجه هوان المرأة الريفية وهى تتعرى مرضا وجهلاً وفقراً . لكن من المؤكد أن عرى أجساد الرفقاء الذين سقطوا غرقى من كوبرى عباس عام ١٩٤٦ اكتسبت جلالاً على مر السنين ربما غاب ممن الفتاة فى مقتبل العمر: وعلى شط النيل تجلس الفتاة التى وجدت الملاذ في الكل تستر العرى ، عريها، عريهم ، عرينا. تجلس ليلاً وصبحاً وضحى حتى ينتهى الغواصون من مهمة **انتشال الجثث** ، تلف بعلم مصر الأخضر جثة بعد جثة، تتسابق يداها وأيدى الآخرين، الكثير من الأيدى والجثث ترتفع كالأعلام عالية على أيدى العاشقين،وشجرة العشق حية لا تموت ولا النحن التى هى أنا والنحن»(٢٢).

وتهز المأمور أو «**صاحب البيت**» فى سجن القناطر تطالبه باسترداد ثوبها الذى تملكه «للخروج من هذا الجحر)(٢٣) أثناء حملة التفتيش.

«وبدأت **أنتشل** من الركام عباءات البنات (المحجبات) وأغطية الرأس والوجه واليدين والحركة مستمرة فى شراسة واستماتة والبنات يعاودن اللجوء إلى الدورة، المرة بعد المرة، مستترات وأنا أقطع العنبر ذهابا وإياباً إلى دورة المياه... وأعود أستكمل بحثى..وفى المرة الثالثة ..وفى المرة الرابعة شعرت وقطع الحجاب تتجمع قطعة بعد قطعة ،والبنات يسترن بعد عرى، والأشياء تتكامل، أن حملة التفتيش لم تعد تعنينى فى شئ وأن أحدا لم يعد يملك القدرة على تعريتى أو النفاذ إلى. دمعت عيناى وأنا أكمل مهمتى وأسدل العباءة الأخيرة على صباح وأحتضنها فى صدرى. وقد انسابت فى عينى دموع تحجرب ملحاً فى عينى فتاة جلست على شط النيل عام ١٩٤٦ ، تنتظر غريقاً بعد غريق(٢٤).

أذكر أنا ذلك المشهد الرائع الايقاع والنظم: مشهد إصابة المدنين فى حرب المقاومة ١٩٥٦، وذلك الحس الصوفى الذى يجمع الميلاد والموت فى انتصار صوفى أخاذ،حيث تنفلت الأم التى قذف بوليدها فى عمق البحيرة من قبضة الرجل الذى يمنعها وغابت آلام فى البحيرة وهى تصرخ صرخة مزغردة ، فرحة ، منتصرة مجلوة(٢٥)،وفى موقع آخر تلد إمرأة «وحاولت .. بطاقة لا تستطيعها إلا أم أن تركز انتباهها فى الطفل

الذي يهدده الموت في بطنها.. وما لبثت الصرخة أن اتصلت واستطالت ، قوية ، مجلوة مزهوة مزغردة .. صرخة الحياة(٢٦).

هل وصلنا إلى النهاية بعد أن تكاملت الصور واتحدت بناء فنياً وحياة، إلى نهاية الأشياء التي كانت تخشاها لطيفة الزيات وتحجم قلمها حيث تتخذ الكلمات على الورق نهائية مخيفة؟ هل وهي تنتشي بحريتها غير منقوصة وهي تدخل سجن القناطر عام ١٩٨١ لتصبح «**شرسة وجميلة**» لا يهزمها أي سجن، كانت قد وصلت في ذات الوقت إلى نظرة تمثال المرأة في متحف التاريخ الطبيعي بلندن،ونظرة جدتها وأبيها ميتاً، تلك النظرة التي أسرتها وأخافتها في ذات الوقت وهي طفلة،ووصل التشوق إلى المعرفة إلى منتهاه:«**نظرة من عرف كل شئ، وتقبل كل شئ ولم يتبق ما يود أن يعرفه ولا ما يخاف أن يعرفه»(٢٧).. نظرة الموت.**

****

أخيرا اقترنت الكاتبة بـ «المطلق قرين الموت» (٢٨).والمفارقة أن تلك المرأة المرأة التي ظلت تلقن نفسها وتواجه نفسها بخطئها في إملاء الديمومة على الواقع المتغير ونسبية الزمان والمكان ظلت مثالية التكوين، تقبض على زهر المشمش الأبيض بين الأغصان الخشبية الناتئة ،وتصور حريق القاهرة بدخان أسود لعين ، يحيط بثوب زفاف جميلة ناصع البياض وتبحث عن «فصوص برد لا تذوب» (٢٩) لقد تغير وعي المرأة عبر السنوات التي ألحت في النص عليها في أعمالها ولم تتغير الذات، وظلت تبحث عن اليوم الذي كنا رفاقاً فحسب يوم سألنا من أين آتي الانفجار العمد، يوم تجمعنا نعمل معاً ننزح أطنان الزجاج ، نزيل من حولنا أسباب الخطر»(٣٠).

وغاب عنها في بحثها المضني العنصر الكوميدي(٣١) ،وهي الضحوكة التي تستفيض في وصف الضحكة المرادة: لا خشونة هناك في الضحكة التي كثيرا ما تردد في سمعي، لا اختناق ، لا افتعال، لا بلادة، لا هيستيرية، لا غواية، ولا دعارة ربما كان الصفاء الخصب الذي أتى من حيث لا ندري بهذه المجموعة من الأطفال (٣٢).. وبخدود بارزة ووردية بعيون سوداء وعسلية خضراء وبنفجسية زرقاء ورمادية »(٣٣) وذلك الطفل الخاص الذي فاتتها لحظة أن تأتي ، به لحظة خاصة صوفيه نادرة واستغرقتها رحلة الوصول إلى ذات صافية نقية تقاوم كل أساليب التدريب والتحجيم ، سواء تدريب اللياقة الاجتماعية في المجتمع البرجوازي، أو تدريب النضال السياسي اذا كان منطقه «لعب يلعب فهو لاعب» (٣٤) والذي لفظته في (صاحب البيت).

تلك الرحلة المتفردة التي تعترف في انسانية وشجاعة غير مسبوقة برواسب الماضي وقدرته على توجيه مسارات حياتنا وتلك المشقة في التحرر منه التي قد تستغرق العمر كله، وذلك الوجود الموزع وتلك الذات التي وعت مؤخراً إنها ليست واحدة وليست بسيطة على الاطلاق ولها شروط في الوجود توفرها بالغ الصعوبة لذا رصدته الكاتبة بالحاح،«وهي تجري من زقاق مسدود إلى زقاق ،تصل دون أن تعي أنها وصلت إلى الشارع الرئيسي»(٣٥).

الهوامش:

من أعمال لطيفة الزيات:

١) على ضوء الشموع ، الشيخوخةوقصص أخرى ، دار المستقبل العربي ١٩٨٦، ص٩١.

٢) المرجع السابق ص٩٨.

٣) بدايات، الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ ص١٠.

٤) صاحب البيت ، دار الهلال، روايات الهلال، ١٩٩٤ ص٤٧.

٥) الشيخوخة، مجموعة : الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ص٥٤.

٦) حملة تفتيش -أوراق شخصية، دار الهلال، كتاب الهلال،١٩٩٢ ص١٧٥.

٧) على ضوء الشموع، مرجع سابق ص١٠٠.

٨) الهشيم، مجموعة الرجل الذي عرف تهمته دار ، للتوزيع والنشر، شرقيات ١٩٩٥ص١١.

٩) صاحب البيت ، مرجع سابق ، ص٦١.

١٠)حملة تفتيش ، مرجع سابق ، ١٧٥.

١١) الرسالة، الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦، ص٨٦.

١٢) الصورة، الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ ص٨٢.

١٣) الصورة، المرجع السابق ص٨٢.

١٤) الرسالة، مرجع سابق، ص٨٥.

١٥) بدايات، مرجع سابق، ص٨.

١٥ب) حملة تفتيش ، مرجع سابق، ١٣٠.

١٦) الرسالة، مرجع سابق ، ص٨٨.

١٧) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص٥٥.

١٨) حملة تفتيش ، مرجع سابق ، ص٩٦.

١٩) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص١٠٩.

٢٠) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص١١٧.

٢١) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص٨.

٢٢) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص٦٢.

٢٣) حملة تفتيش ، مرجع سابق ، ص١٧٣.

٢٤) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص٧٥.

٢٥) الباب المفتوح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٠، طبعة ١٩٨٩ ص٣٣٣.

٢٦) الباب المفتوح، المرجع السابق، ص٣٣٩.

٢٧) حملة تفتيش ، مرجع سابق ،ص ٢٠.

٢٨) مفهوم يتردد في قصة الشيخوخة وحملة تفتيش.

٢٩) في الرسالة وحملة تفتيش وصاحب البيت.

٣٠) الهشيم، مجموعة : الرجل الذي عرف تهمته، مرجع سابق ص١٥.

٣١) صاحب البيت، مرجع سابق ،١٠٦.

٣٢)الهشيم، مجموعة الرجل الذي عرف تهمته، مرجع سابق، ص١٨.

٣٣أ) الهشيم ،مرجع سابق ص١٧.

٣٣ب) هذا لا ينفي أن تصوير علاقة الأم بالأبنة في(الشيخوخة) من أعمق وأرهف ما يمكن وكذلك مفهوم البلوغ في كل من (الباب المفتوح) و(المر الضيق) بما هو انفصال عن الأم والأب في اعتراك حقيقي مع الحياة. وفيما عدا ذلك تنحو الكاتبة إلى ذكر الطفولة بوصف أسطوري بهيج.

٣٤) تتردد كثيرا في صاحب البيت.

٣٥) صاحب البيت ،مرجع سابق ،ص١٠٧.

التجارب المصرية .. ودعوة إلى العالمية

فاطمة إسماعيل

فى إطار من الدعوة الأوروبية التى تزايدت مؤخراً حول ضرورة دخول فن دول العالم الثالث فى القرية العالمية أقام " معهد العالم العربى " بباريس ندوة دولية حول هذا الموضوع شارك فيها اثنا عشر ناقداً من أنحاء العالم . وكان لنا رأى فى هذا الموضوع إذ أن التجربة الفنية المصرية فى هذا الإطار تمثل قضية محيرة وشديدة التعقيد خاصة حين تتعلق بها وبالآخر معاً ، وماتثيره من تساؤلات يفوق قدرتنا على تأويل الإجابات . ولذلك فقد كانت مداخلتى طرح مزيد من التساؤلات وعدم رغبة فى تأويل الإجابات ، فهى تجربة استفسارية ، ولذلك فهى تطرح مزيداً من الأسئلة بهدف إيجاد حوار حقيقى نسعى فيه لتجاوز مسافات الإعاقة عن اللحاق بركب العالمية .." **تلك الجنة المنتظرة".**

نطمح فى هذا المقام فى البحث عن تلك المسافات سواء من خارج التجربة أو من داخلها ، نبحث فى ضرورة تحييدها وبعثرتها حتى تقبل بالتعددية .. فمن يجزم بصحة مقولة " التثبت بالأصلى" دون الخاص .. أو الخصوصى ..؟

إحدى تلك الإعاقات تمركز " لغة الفن" الذى أدى إلى التعامل مع العمل الفنى كمجموع أو كنص متجانس قادر على إصدار مقننات ومعممات ، وبالتالى تجاهل غير المتجانس ، والمتوتر والذى يحمل متناقضات تجعله يقرأ من داخل نفسه بعيداً عن تلك اللغة التامة ..

فلو سلمنا أن هناك فروقاً جذرية فى بنية اللغة الفنية بين الثقافتين الغربية والعربية فمن غير الجائز إذاً أن نقيم حواراً منهكاً يسقط فى نهاية الأمر فى وحدة - حسابية رقمية تقوم أساساً على تجانس الوحدة إذ أن المتجانس والمتبعثر يدعو إلى اكتشاف الاختلاف والتعدد وإنكار الواحد لصالح الموجود.

أحد تلك الفروق الجذرية يقع فى بنية اللغة حيث تقوم على اختلاف صورة " الخيال" . فالخيال التقليدى الذى اتجه نحو **الفانتازيا** وتعامل مع الفضاء المتجانس فى بداية التجربة الغربية قد أكمل أدواره فى تاريخ الفن وأطرت صوره واستقرت كذلك **الخيال " المصطنع"** الذى ألفه العلم الحديث والتكنولوجيا استطاع أيضاً تاريخ الفن تقنين صوره التى تسبق الفانتازيا والخرافى ورصد لغته والاحتفاء بها فى محتواه ..

تختلف تلك البنية بطبيعة الحال عن التجربة الغربية التى يقوم فيها" **الخيال الدينى** " بتشكيل الجزء الأكبر فى بنية " الفكر" .. فالتجربة التى لم ينفصل فيها الدين عن الحياة - كما حدث لأوروبا فى العصور الوسطى - والتى مازالت تعتمد فى تصوراتها الخيالية على الوجدان العاطفى وتعتد فى فكرها على القبليات ، أى على تصورات قبلية ليست مبنية كالرياضيات .. فهى تقف عند المستوى التصويرى لا التصورى فى جوهره تختلف كما ذكرنا عن تلك التجارب التى تعتمد على القبليات العلمية التى تحايث التجربة الطبيعية وتحمل فى ذاتها قبليات موضوعية اختلافاً جوهرياً فى نسيج التركيبة العقلية ، مما يجعل كلاً من التجربتين خاص بالنسبة للآخر.

اقتصر تاريخ الفن على رصد لغة الفن الغربى وأعطاها حق" الأصلى" وتحولت بمقتضى هذا الأصلى إلى " **لغة تقيمية معيارية"** ،وبالتالى كان لها حق استبعاد اللهجات الفنية المشتقة قياساً للمعيار ، وكل ماينتج يرقم حسابياً بدرجات اقترابه وابتعاده عن الأصل الواحد .

يمثل هذا التحول للغة الفن خطورة شديدة على مفهوم مصطلح " المعاصرة" . إذ أن " لغة التقييم" تسقط تصور " الهوية" وتكتفى بما تقدمه من خصائص وصفات .. وهنا تصادر لغات أخرى عن الدخول فى المعاصرة.

ونطرح سؤالاً هل يكفى التحديد المادى / المكان والزمان لتحديد هوية تجربة ما ؟..

كيف تعاملت التجربة الغربية ولاأقصد الغربية الجغرافية ؟

كيف تعاملت تلك التجربة مع ماطرحته التجربة الغربية من فنانين عرب على مستوى عالمى والتى ذكرها الناقد **سعد عرابى** فى محاضرته ولاأريد تكرارها تصوراً منها أنها تطرحه فى إطار من العالمية ..؟

ألم ينظر لهذا الوجود باعتباره إختراقات فردية .. داخل سياق" اللغة الفنية الأصلية"؟!

لماذا لم تستنطق " خصوصية" ما من تلك التجربة ..؟..

أذكر فى هذا المقام حدثاً هاماً قد يؤكد على ماذكرنا فى لقاء مع الفنان الإيطالى **أنزوكوكى** بمصر .. بعد تجوالنا فى متحف الفن المصرى الحديث وبعد زيارة لاستديوهات بعض الفنانين المصريين كان تعليقه المقتضب

" **فاطمة .. لايوجد عندكم فن معاصر..".**

تحولت " المعاصرة" إلى لغة تقيمية تجيز وترفض وأدركت تلك المسافة التى تضعها " لغة الفن " . التى تنازلت عن وجودها التصنيفى.

إن الإعاقة التى سببتها لنا" اللغة الفنية" والتى وضعتنا فى نطاق السلب من التجربة العالمية كانت أمراً فى غاية الأهمية للحفاظ على حيوية تلك التجربة .. فقد حافظت على وجود قطبى الثنائية لإحداث ديناميتها .. فبغير السلب كانت التجربة العالمية .. ثابتة هامدة لذلك كان لابد من المبالغة فى إحداث مسافة الإعاقة للحفاظ على قطبى الثنائية ، فكلما زاد التناقض تزيد حالة النشاط فى وعى الحركة

السؤال الآن .. ماذا يحدث حين تتحول تجارب السلب إلى نواة محركة داخل نطاق التجربة العالمية؟

بطبيعة الحال لايمكن أن يحدث تحريك للسلب حتى يصبح فاعلاً ويظل القطب الآخر على حاله !

ألا يعنى ذلك بالضرورة تحولاً آخر يحدث فى تجارب القطب الفاعل ؟

كيف يحدث ذلك وتجارب القطب الفاعل

(أبيض وأسود) لوحة للفنان محمد حجى

قابضة على روح "الثنائية؟
لاأشير هنا من قريب أو بعيد عن" **أزمة الغرب**" أو خلافه وإنما أردت القول أن الغرب حين يفكر حسب نمط القرار التقليدى هو فى واقع الأمر لايقيم احتمالاً بسقوط النظام أمام واقع منتظم له قوة الوجود الفعلى..

ماهى شروط الحصول على وجودنا فى فرادة جزئية دون أن تكون مغلقة أو مقاسه بواسطة الفضاءات المتاحة فى العالمية ..؟

الإجابة عن هذا التساؤل هى تسجيل جديد وإقرار بالتعامل مع القضية الخاصة بالعالمية تحت تأثير الآخر ، لاأدعو هنا لإغفال تاريخ الفن أو تجاهله ، وإنما الخروج عن السياق . فهذه التجارب السالبة يجب أن تنمى حسب علاقات جديدة تخص وجودها الذاتى ، فقد ثبت فشل التقاط جملة قديمة واضافة لواحق جديدة لها وتطويرها من داخلها وتقديمها للعالم على أنها ابتكار جديد كما طرحته الـ Transauant - guada..

فالذاكرة التاريخية فى الفن التشكيلى جمل ثابتة ، راسخة لاتتطور ولاتتأخر وإنما تتعاقب وتتوازى وتستبدل زمنياً بجمل جديدة.

تأتى حكمة الغرب اليوم لنا بالدخول فى العالمية من خلال التجذر فى الهوية" مقولة رائعة تكفر عما جاءت به بداية القرن حين مُحيت هوية وثقافة شعوب عربية كاملة فاليوم وأنا أتحدث مع مغربى أو تونسى أو جزائرى لايستطيع التعبير عن نفسه وعن فكرته إلا إذا حدثنى بالفرنسية ..!

لاأبكى على اللبن المسكوب .. إن مهمتنا غاية فى الصعوبة فلابد أن نكون كما نحن ومقدرات أمورنا فى يد أنظمة أخرى تديرها .. فأمريكا تعلن اعترافها بحركة طالبان بأفغانستان ، وتعضد النظام السعودى والكويتى ، وتشاركها أربعون دولة من دول العالم فى ضرب العراق فيدمر مركز حضارى عريق ومتحف فنى عربى مفتوح كان بمثابة منطقة منيرة فى الوطن العربى.

هل حقاً هناك دعوة صادقة لنا لأن نؤلف مزيجاً قابلاً للتعاكس فيما يسمى " بالعالمية "..؟

مشاغبات



الجنازة حارة والميت لامؤاخذة!

لم أسعد كثيراً بالموقف العربى، الذى نظر إلى معركة تجديد انتخاب الدكتور بطرس غالى أميناً عاماً للأمم المتحدة، باعتبارها معركة قومية ينبغى أن يوظف لها العرب كل إمكانياتهم وان يدفعوا إلى ميدانها بكل اسلحتهم..

ومع أننى لا أؤيد الموقف الأمريكى الرافض لترشيح غالى، فاننى أرحب به، فهو موقف كاشف، يدل على مدى النفوذ الذى يصل إلى حد السيطرة الذى تملكه الولايات المتحدة على المنظمة الدولية، والذى بات واضحاً ،وفاضحاً، أنها لا تستطيع أن تأخذ قراراً ، أو تعين موظفاً إلا بموافقة واشنطن، التى تنفق عليها ،وعلى نصف الدول الأعضاء بها ، وتملك حق الفيتو على كل قرار.. كبر أو صغر!.

بصراحة فضاحة، فان إصرار الولايات المتحدة على المعارضة فى التجديد لغالى، الذى تؤيده الأغلبية ، لا معنى له إلا أن الأمم المتحدة، بتكوينها الراهن، لا تعبر عن الشرعية الدولية ولا تمثلها ،ولا يجوز لها أن تزعم ذلك!.

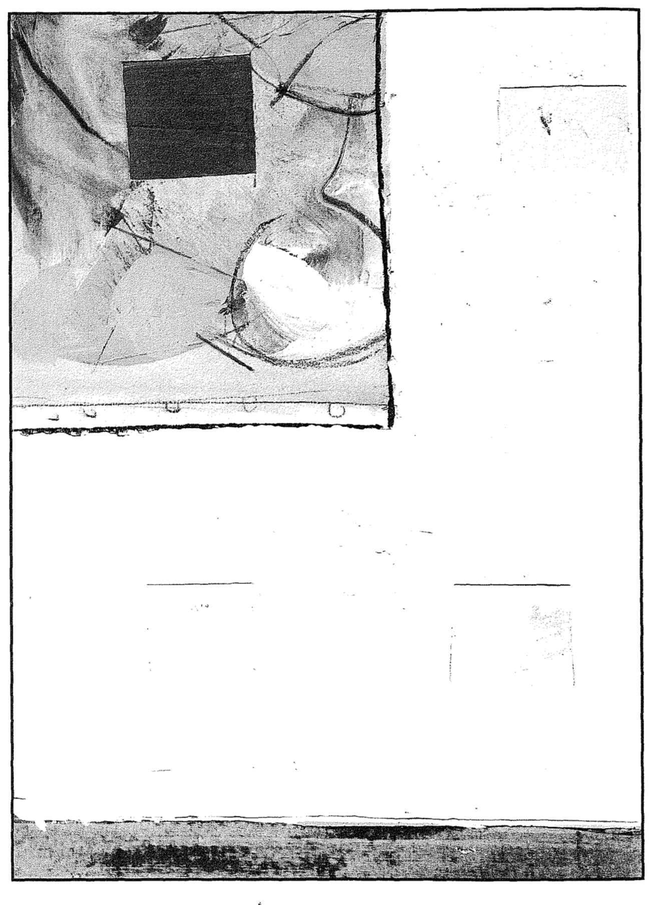
بوضوح أكثر فان الموقف الأمريكى ،دليل على مدى كذب الشعارات التى تروج لها الولايات المتحدة وتدعى بأنها أساس النظام الدولى الجديد وحيد القطب ،الذى يستلهم النموذج الديمقراطى الأمريكى، وإلاَّ لخضعت -باعتبارها أقلية- لرأى الأغلبية، ولاحترمت النتائج التى تسفر عنها الانتخابات،وللجأت للمفاوضات لحل النزاعات، بدلاً من أن تلجأ إلى أساليب النظام الدولى القديم، فترفع سلاح الفيتو فى وجه الأغلبية، وهو سلاح إرهابى وغير ديمقراطى، يفرض رأى الأقلية على الأغلبية ، بالقوة لا بالمنطق، وبالاكراه لا بالإقرار..!.

ولا أعتراض لدى على وجهة النظر التى ترى فى المعركة حول إعادة ترشيح غالى، احتجاجاً على سيطرة الولايات المتحدة على الأمم المتحدة، وإن كنت أرى فى هذا القول مبالغة، اذ الحقيقة أن المعركة من النوع الذى ينطبق عليه المثل الشعبى المعروف« الجنازة حاره .. والميت -لامؤاخذة- كلب» ،وهذا الكلب هو منصب الأمين العام للأمم المتحدة،فهو منصب شرفى ولا قيمة له، ولا سلطات حقيقية لشاغله، فمنذ تأسيس الأمم المتحدة، ومراكز النفوذ فيها تتركز فى الدول الخمس التى انتصرت فى الحرب والتى تسيطر على مجلس الأمن وتملك حق الفيتو ،والمجلس هو الجهة الوحيدة التى لها حق اصدار «القرارات» ،بينما الجمعية العامة، التى تضم بقية دول العالم،مجرد «مكلمة» لالقاء الخطب،ولاحق لها إلاّ اصدار «التوصيات» -وليس القرارات- ،أما الأمين العام للأمم المتحدة، فهو مجرد موظف كحيان، يختار عادة من الدول الصغيرة أو الفقيرة لمجرد ايهامها بأنها تشارك فى النظام الدولى، مع أن هذا الأمين العام لا يهش ولا ينش..

ما يدهشنى هو أن يستجيب العرب، لدعوات تحدّى أمريكا، لكى يحصلوا فى النهاية على منصب تافه لا قيمة له، ليمنحوه لرجل ليس لدى معظمهم قناعة بأن شغله قد أفادهم أو سوف يفيدهم أو يفيد غيرهم، بدلاً من أن يتحدوها ، فيما يجب ،ومايفيد فيه، التحدى..

ما يدهشنى هو هذا الحرص العربى المبالغ فيه، على التواجد الدولى الوهى،وهذا التكالب على القشور.. وعلى الدعاية ، فما يفيدنا -كأمة- ويفيد أمثالنا من الجنوبيين الضعفاء، ليس أن يشغل أحدنا منصباً بلا صلاحيات فى الأمم المتحدة،ولكن أن يتغير نظام المنظمة الدولية، لتعبر عن شرعية دولية حقيقية، ولتصبح منظمة للأمم المتحدة وليست للولايات المتحدة!.

صلاح عيسى



اسكتش لدراسة علاقة العضوى بالهندسى على أحد منازل «كوم غراب»

الفنان: عادل السيوى



اسكتش لأحد منازل (كوم غراب)

للفنان : محمد عبله غرب